الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية ـ أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية رقم التسجيل :

قسم : التاريخ الرقم التسلسلي :

# الحياة العلمية بمنطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس ( 1317 – 1358 هـ / 1900 – 1939 م )

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص : الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا بين القرنين 15 و20 م

إعداد الطالب :

✍ الزبير بن بردي

إشراف الأستاذ الدكتور :

✍ محمد حوتية

السنة الجامعية : ( 1434 ـ 1435 هـ / 2013 ـ 2014 م )

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية ـ أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية رقم التسجيل :

قسم : التاريخ الرقم التسلسلي :

# الحياة العلمية بمنطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس ( 1317 – 1358 هـ / 1900 – 1939 م )

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص : الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا بين القرنين 15 و20 م

إعداد الطالب :

الزبير بن بردي

إشراف الأستاذ الدكتور :

محمد حوتية

السنة الجامعية : ( 1434 ـ 1435 هـ / 2013 ـ 2014 م )

بسم الله الرحمن

الرحيم

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

**(( مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ ))**.

رواه أبو داود والترمذي. وأخرجه : أبو داود ( 3641 )، وابن ماجه ( 223 )، والترمذي ( 2682 ).

# الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

- والديّ الكريمين حفظهما الله.
- إخوتي وأخواتي.
- كل من يسعى لطلب العلم والمعرفة.

# شكر وعرفان

الشكر والثناء أولا لله سبحانه وتعالى على نعمه وفضله الواسع، وتوفيقه لي في إنجاز هذا البحث. وما دام شكر النّاس من شكر الله، فإني أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى :

الأستاذ الدكتور محمد حوتية على تفضّله بالإشراف، ولما أسداه لي من نصائح، وتوجيهات، وإرشادات طيلة فترة الإعداد.

الأستاذان : الدكتور عاشوري قمعون، والدكتور علي غنابزية، اللذان منحاني الكثير من وقتيهما لمتابعتهما معي هذا البحث، ولما أمدّاه لي من مصادر ومراجع أفادتني كثيرا في بحثي.

الأستاذان : مبارك جعفري، ومحمد السعيد بن بردي اللذان وجّهاني بتصويباتهما في هذا البحث.

المؤسسات العلمية والثقافية، بداية من دار الثقافة، ومكتبة المصطفى بزاوية سيدي سالم، ومكتبة متحف المجاهد بولاية الوادي، والتي قدمت لي يد المساعدة، وذللت لي بعض سبل البحث، وأمدتني بالمعلومات.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدّم لي يد المساعدة، ولو بنصيحة، أو أشار عليّ بفكرة، فأنا مدين له بفضله عليّ.

# مقدمة

# مقدمة

شهدت مناطق الجنوب، ومنها منطقة وادي سوف، منذ أواسط القرن 13 هـ / 19 م، غزوا فرنسيا، غير أن السيطرة النهائية على كامل المنطقة لم تتم إلا في أواخر هذا القرن. وقد نتج عن ذلك أبلغ الأثر على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يضاف إلى ذلك السياسة الاستعمارية ضد السكان، والتي تركت آثارا كبيرة في المجتمع الذي اضطر إلى التفاعل مع الواقع الجديد، دون الانقطاع عن الاحتكاك بالمجتمعات المجاورة.

إن تراث الأمة الثقافي، وإرثها العلمي، أحد الأسس الهامة في بنائها الحضاري، وإحدى الدعائم التي تضمن استمرار ازدهارها. ورغم اشتهار منطقة وادي سوف بزراعة النخيل، وممارسة التجارة، فإنها في مقابل ذلك، غنية بتراثها الثقافي، زاخرة بعلمائها الفطاحل، طافحة بموروثها الأصيل النابع من مقوماتها العربية الإسلامية. ورغم الظروف القاسية التي كانت تعانيها المنطقة خلال الحقبة الاستعمارية، إلا أنها شهدت حركة علمية وثقافية مميزة، نظرا لمجاورتها تونس، التي تعد حاضرة علمية خصبة بمراكزها العلمية المشهورة، وأهمها جامع الزيتونة، الذي تشد إليه الرحال من طرف الكثير من أبناء المنطقة، الذين نهلوا منه شتى العلوم، كما أسهموا بها في مختلف المجالات، رابطين بذلك جسور المعرفة والتواصل الثقافي والعلمي بين المنطقتين، والتي كانت قائمة عبر العصور.

وغايتي من هذا البحث إبراز الحياة العلمية بالمنطقة في ظل الحقبة الاستعمارية، وعلى هذا الأساس كان عنوان البحث : **الحياة العلمية بمنطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس ( 1317 – 1358 هـ / 1900– 1939 م )**.

وكانت الدوافع إلى اختيار البحث في تاريخ وادي سوف، وفي تلك الحقبة المذكورة عديدة، أهمها :

1) الرغبة في البحث في تاريخ وادي سوف، ومحاولة تغطية فترة تاريخية هامة من تاريخه بوجه خاص خلال الحقبة الاستعمارية، وأيضا قلة الدراسات التي تناولت موضوع الحياة العلمية في تلك الحقبة الزمنية.

2) العامل الزمني الذي فرض عليّ اختيار موضوع يتأقلم والفترة الزمنية المحددة لإنجاز البحث، ولهذا حاولت أن أتناول موضوعا محليا أكون فيه أقرب إلى المادة العلمية.

3) الأهمية التي تتبوأها منطقة وادي سوف سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، وتمتعها بموقع استراتيجي جعلها عقدا مرتبطا بدول الجوار، مثل : ليبيا، وتونس، وحدوث تفاعلات مع تلك المجتمعات في مختلف النواحي، مع إبراز التواصل العلمي بينها وبين تونس، والدور الذي قام به طلبة وادي سوف بتونس في شتى المجالات.

4) الإلمام بالتحولات التي شهدها التعليم بوادي سوف منذ بداية الاستقرار النهائي للفرنسيين بالمنطقة سنة 1299 هـ / 1882 م، وظهور ازدواجية التعليم، وهذا بوضع أول أسس للتعليم الفرنسي بإنشاء المدارس

الفرنسية ذات المناهج الغربية، مع وجود التعليم العربي الإسلامي، الذي انتشر بفضل المساجد والمدارس القرآنية والزوايا، ومن خلال أيضا دور العديد من شيوخ وعلماء المنطقة الذين سنسلط الضوء على أشهرهم.

5) افتقار المكتبة التاريخية المحلية والوطنية لدراسة أكاديمية ترصد تاريخا هاما للحياة العلمية بمجتمع وادي سوف في هذه الفترة الزمنية، وكيف تعاملت مع واقعها الاستعماري، فكان هذا الاجتهاد في رسم تلك المعالم العلمية، والإصلاحية بالمنطقة.

وتتمثل إشكالية البحث في طبيعة الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتها بتونس في الفترة الاستعمارية ( 1317 – 1358 هـ / 1900 – 1939 م )، ولا يمكن في اعتقادي دراسة هذا الموضوع دون معرفة كيف كانت الأوضاع العامة بوادي سوف في تلك الحقبة ؟ وعلاقتها بتونس، وبالخصوص الحياة الاقتصادية، والاجتماعية ؟ ومن جهة أخرى، كيف كان التعليم بوادي سوف ؟ وبم تميز ؟ وما أنواعه ؟ وما هي عقبات الإدارة الاستعمارية التي أعاقت نوعا ما مسيرته ؟ وما هي دوافع الرحلات العلمية لطلبة وادي سوف إلى بلاد الجريد التونسي، وجامع الزيتونة ؟ وما مدى مساهمتها في تجسيد الروابط والعلاقات بينها وبين تونس في هذا المجال ؟ وكيف ساهم هؤلاء الطلبة في الحياة العلمية والثقافية بتونس ؟ وكذا ما مدى مساهمتهم في الحياة العلمية بالمنطقة ؟ وإلى أي حد ساهمت الطرق الصوفية في الحياة العلمية، وفي ربط العلاقات مع تونس ؟ وما طبيعة الحركة الإصلاحية بوادي سوف ؟ والدور الذي لعبه المصلحون رفقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحياة العلمية والثقافية بالمنطقة ؟

أما الأهداف التي يسعى هذا البحث لتحقيقها فأهمها :

– تسليط الضوء على جانب من جوانب تاريخ المنطقة، ألا وهو الجانب العلمي.

– إضافة بحث يتناول الحياة العلمية بوادي سوف، يكون مساعدا وموجّها لبقية الدارسين والباحثين في تاريخه الثقافي.

– الإشادة بالدور الذي لعبه شيوخ وعلماء المنطقة في نشر التعليم والعلوم بوادي سوف.

– إبراز دور المنطقة وتفاعلاتها الحاصلة على مستوى التواصل العلمي والثقافي مع تونس.

وبخصوص تحديد الفترة الزمنية لموضوع البحث ما بين 1317 – 1358 هـ / 1900 – 1939 م، فذلك يرجع لعدة اعتبارات، ولما تمثله هذه الفترة الزمنية من أبعاد تاريخية، من أهمها :

– تعد سنة 1317 هـ / 1900 م، بداية فترة الدراسة، العقد الثاني من القرن 14 هـ / مطلع القرن 20 م، ويوافق أيضا بداية الاستفاقة الفكرية، والسياسية، التونسية، والجزائرية، متمثلة في موجة الحركة العلمية والإصلاحية المتفاعلة نتيجة تأججها بالعالم الإسلامي.

كما أن بداية القرن 14 هـ / نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 م، تمثل تاريخ ميلاد العديد من شيوخ وعلماء وادي سوف، الذين كان لهم دور في الحياة العلمية بالمنطقة وبتونس أيضا، وأغلبهم قد درس بتونس، من أهمهم : الشيخ الحسين حمادي ( 1320 – 1402 هـ / 1902 – 1982 م )، والشيخ الصادق زبيدي ( 1317 – 1383 هـ / 1900 – 1963 م )، والشيخ عمار بن الأزعر ( 1315 – 1388 هـ / 1898 – 1969 م )، والشيخ عبد العزيز الشريف ( 1316 – 1385 هـ / 1898 – 1965 م ).

– أما سنة 1358 هـ / 1939 م، تاريخ نهاية فترة الدراسة، فهو تاريخ بداية الحرب العالمية الثانية، التي غيرت من طبيعة الأحداث التي كانت جارية بالجزائر عموما؛ وعلى المستوى المحلي، تعد فترة أواخر العقد الرابع الأكثر زخما بالأحداث والتفاعلات، منها : زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بزعامة رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى وادي سوف سنة 1356 هـ / 1937 م، " وهدّة عميش الثانية " بقيادة الشيخ عبد العزيز الشريف سنة 1357 هـ / 1938 م، وكذا وفاة أحد شيوخها، وهو أحمد بن القا سنة 1358 هـ / 1939 م.

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدت على المنهج التاريخي، الذي يهتم بتتبع الأحداث وتقديم وصف شامل ودقيق عنها، ويعطينا سياقا زمنيا يربط السابق باللاحق، كما يعيننا في جمع المعلومات عن الأحداث والحقائق الماضية، وفحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها، ثم عرضها وترتيبها وتفسيرها واستخلاص التعميمات والنتائج منها.

وكذا المنهج التحليلي الذي يهتم بالبحث عن الأسباب والتفسيرات، ودراسة العوامل المؤثرة ومجالات التأثير، ثم تحليلها موضوعيا بقصد الخروج بنتائج محددة للأحداث، كي تتضح لنا على حقيقتها. بالإضافة إلى توظيف المنهج الوصفي، الذي هدفنا من خلال استعماله في دراستنا للوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية عن الموضوع، انطلاقا من وصف الأحداث وجمع المعلومات الدقيقة.

وبخصوص الدراسات السابقة، فإنه لم تظهر دراسات علمية وأكاديمية تناولت الموضوع بشكل شامل، حول الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتها بتونس خلال الحقبة الاستعمارية، ولذلك تعد هذه الدراسة لبنة جديدة في هذا الموضوع. كما تجدر الإشارة إلى أن الدراسات السابقة اكتفت بجانب من جوانب هذا الموضوع، من أهمها :

– دراسة الأستاذ موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها ( 1900 – 1939 م )، مذكرة قدّمت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بجامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية : 2005 – 2006 م.

– دراسة الأستاذة سعيدة عمان : التربية والتعليم بوادي سوف ( 1900 – 1960 م )، مذكرة قدّمت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بجامعة بوزريعة، الجزائر، السنة الجامعية : 2008 – 2009 م.

وقد قسمت محتوى البحث بعد مقدمته إلى فصل تمهيدي، وثلاثة فصول رئيسية، احتوى كل منها على عدد من العناصر التفصيلية، مع توخي التسلسل المنطقي في ترتيب الفصول والعناصر رغم صعوبة ذلك، لأن عناصر الموضوع ذات وحدة عضوية متكاملة.

ويتضمن الفصل التمهيدي التعريف بالأوضاع العامة في منطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس في فترة الدراسة، وبشكل مقتضب، بدءا بتعريف تسمية وادي سوف، ثم الخصائص الجغرافية للمنطقة، فالحياة السياسية منذ بداية التغلغل الفرنسي بالمنطقة، وكذا التنظيم الإداري، والوضع القضائي، ثم الحياة الاقتصادية، فالاجتماعية وعلاقتهما بتونس.

وتناول الفصل الأول التعليم بوادي سوف بمختلف مستوياته، وأشكاله، ومناهجه، وطرق تدريسه، بدءا بالتعليم العربي الإسلامي، وأساسه التعليم القرآني في : المساجد، والمدارس القرآنية، والزوايا، وكذا التعليم في المدارس العربية، مع التطرق إلى السياسة الاستعمارية وأثرها على التعليم العربي الإسلامي. ثم ظهور التعليم الفرنسي بعد الاستقرار النهائي للفرنسيين بالمنطقة، رغم الإقبال الضعيف من قبل السكان. ثم تطرقت إلى دور علماء تونس في الحياة التعليمية بوادي سوف.

وخصصت الفصل الثاني للرحلات العلمية لطلبة وادي سوف إلى تونس، وأثرها على العلاقات بين المنطقتين. وفيه تناولت دوافع الرحلات العلمية من وادي سوف إلى تونس، ثم رحلة طلبة العلم لبلاد الجريد التونسي، وبالخصوص إلى زواياها، ثم رحلة طلبة العلم لجامع الزيتونة، وأخيرا جهود طلبة وادي سوف بتونس في المجالات الثقافية والعلمية، ثم جهودهم العلمية بالمنطقة، من خلال المساجد، والمدارس، والزوايا.

ويتضمن الفصل الثالث دور الطرق الصوفية في الحياة العلمية بوادي سوف، وفي ربط العلاقات بينها وبين تونس، خاصة من خلال دور الطرق الصوفية الرئيسية المتمثلة في : الطريقة القادرية، والرحمانية ( العزوزية )، والتجانية. وكذا جهود الحركة الإصلاحية في الحياة العلمية بالمنطقة، من خلال حركة الكتلة المحافظة، ثم ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف وميادين نشاطها. وأخيرا زيارة وفد من جمعية العلماء إلى وادي سوف وأثرها على الحركة العلمية بالمنطقة.

ثم كانت خاتمة البحث مركزة في أهم النتائج التي توصلت إليها في مختلف جوانب الدراسة، محاولا الإجابة عن الإشكاليات التي طرحتها سابقا.

أما بخصوص مصادر ومراجع البحث، فامتازت بالتنوع والثراء، ولعل هذا يعود إلى اشتمال الموضوع لجوانب عديدة فرضتها الدراسة، من أبرزها :

الصنف الأول، ويحتوي على المصادر المحلية من مخطوطات وكتب، والتي تناولت تاريخ المنطقة، وأغلبها يحتوي على معلومات هامة، وأهمها : مخطوط " **من تاريخ سوف** " لمؤلفه محمد الطاهر التليلي، ومخطوط " **الدر المصفى من تقاييد الشيخ سالمي مصطفى** " لمؤلفه سالمي مصطفى. وكذا المصادر الفرنسية التي تناولت أيضا تاريخ المنطقة، والتي كلفتني الكثير من الوقت والعناء في فهم نصوصها، وهي قليلة الاعتماد في هذه الدراسة، نظرا لقصر وقت إنجاز البحث كما ذكرت، وأهمها : كتاب " **Le souf Etude de géographie humaine** " لمؤلفه " باطايون " ( Bataillon ,C. L ).

أما الصنف الثاني، فقد شمل المراجع من كتب محلية، ووطنية، وأجنبية، وأهمها : كتاب " **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** "، لمؤلفه إبراهيم العوامر، وكتاب " **تاريخ الجزائر الثقافي** "، لمؤلفه أبي القاسم سعد الله، ومخطوط " **Le souf Manographie d'une region Saharienne** "، لمؤلفه " أندري فوازان " ( Voisin André ).

وشمل الصنف الثالث المقالات، والمحاضرات، والندوات المطبوعة أو غير المنشورة، والتي تناولت تاريخ وادي سوف العلمي، والثقافي، وحتى الاقتصادي، والاجتماعي، ومن أهمها : مقالات الملتقى الدولي حول : التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881 – 1954 م، يومي 10 – 11 نوفمبر 2013 م، بجامعة الوادي، إضافة إلى الرسائل الجامعية التي غطت جانبا مهما من الدراسة، ومن أهمها : رسالة مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر ( هـ ) التاسع عشر ( م )، للأستاذ علي غنابزية.

كما واجهتني صعوبات عديدة، أذكر منها :

1) قصر المدة الزمنية الممنوحة لإنجاز البحث، خاصة أن جوانبه متفرعة جدا، وكل عنصر به يعد بحثا مستقلا في حد ذاته، إضافة إلى بعد المسافة بين مكان الدراسة ومكان البحث في الموضوع. وكذا صعوبة استغلال جزء من هذه المدة للسفر إلى تونس، وزيارة بعض زوايا الجريد، وجامع الزيتونة، ومراكز الأرشيف، والمكتبات الوطنية بها.

2) صعوبة الحصول على الوثائق المهمة في البحث، وعدم الاستفادة من الوثائق القابعة في الخزانات والصناديق المنزلية، بسبب الخوف أو عدم الثقة عند أصحابها، أو لقلة الوعي وعدم الاكتراث.

3) صعوبة البحث عن الأرقام والإحصائيات في ظل موضوع علمي ثقافي، يتطلب في بعض جوانبه المعطيات العددية والإحصائيات.

4) توسع الموضوع وتشعب عناصره، ساهم كثيرا في تشتت الأفكار، وغزارتها في بعض الأحيان، وكثرة المعلومات وثرائها، والذي طرح تحديا في مدى التمييز والاختيار بين القضايا الأساسية والثانوية في أغلب العناصر.

5) الجهد الكبير، والوقت الكثير الذي بذل في جمع المادة العلمية الخاصة بالبحث، باعتباره موضوعا محليا.

وأخيرا فقد اجتهدت من خلال هذا البحث المتواضع لكي أقدم دراسة أكاديمية، رغم ما يمكن أن يتضمنه البحث من نقص. وأتمنى أن تحقق هذه الدراسة شيئا من أهدافها، رغم الصعوبات التي اعترضتني. ولا شك أنه عمل يعتريه الخطأ والنقصان، فبدونهما لن نجد دافعا نحو التطور والبحث العلمي الحقيقي، فأعتذر عن كل خلل وتقصير، فإن أخطأت في جانب فذلك راجع لضعفي الشخصي، ولقصر مدة العمل، وإن أصبت فمن الله الذي أمدني بعونه وتوفيقه، فله كل الشكر والثناء، إنه نعم المولى ونعم المعين والنصير.

والله ولي التوفيق

وادي سوف : يوم الأربعاء 14 رجب 1435 هـ / 14 ماي 2014 م.

# المختصرات

**أ.** : الأستاذ.

**أ .د** : الأستاذ الدكتور.

**إش** : إشراف.

**إع** : إعداد.

**ت** : توفي.

**تح** : تحقيق.

**تحر** : تحرير.

**تص** : تصدير.

**تع** : تعليق.

**تعر** : تعريب.

**تق** : تقديم.

**تن** : تنسيق.

**ج** : الجزء.

**د.** : الدكتور.

( **د، د، ن** ) : بدون دار نشر.

( **د، س، ن** ) : بدون سنة نشر.

( **د، ع** ) : بدون عدد.

**ط** : الطبعة.

**م** : ميلادي.

**مج** : المجلد.

**مخ** : مخطوط.

**مر** : مراجعة.

**هـ** : هجري.

# الفصل التمهيدي : الأوضاع العامة في منطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس

**أولا : الخصائص الجغرافية لمنطقة وادي سوف**

**ثانيا : الحياة السياسية والتنظيم الإداري بوادي سوف**

**ثالثا : الحياة الاقتصادية بوادي سوف وعلاقتها بتونس**

**رابعا : الحياة الاجتماعية بوادي سوف وعلاقتها بتونس**

## الفصل التمهيدي : الأوضاع العامة في منطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس

إن دراسة الحياة العلمية بوادي سوف في تلك الحقبة، يقتضي منا قبل ذلك التعريف بالأوضاع العامة للمنطقة، إضافة إلى خصائصها الجغرافية والبيئية، والتي كان لها الأثر البالغ في تشكيل واقعها في جميع الميادين المختلفة؛ بما في ذلك الجانب العلمي، ولكي نأخذ أيضا صورة عامة عن هذا المجتمع المحلي المتميز بتاريخه العريق.

### أولا : الخصائص الجغرافية لمنطقة وادي سوف :

قبل الحديث عن الخصائص الجغرافية لوادي سوف، نتوقف عند التعريف باسم المنطقة المركب من كلمتين : " وادي " و " سوف "، ولكليهما دلالات عديدة ترتبط بطبيعة المنطقة وخصائصها التاريخية والاجتماعية.

**– معنى " الوادي " :**

أطلقت تسمية الوادي نسبة إلى وادي الماء الذي كان يجري قديما في النّاحية الشمالية الشرقية للمنطقة، ومع مرور الزمن جفّ ماؤه، ونظرا لعدم وجود الغابات والأشجار به، فقد غطته الرمال منذ القديم.

وورد في القاموس الموسوعي الحديث تعريف للوادي باسم " النّيل "، وأنّه نهر صحراوي قديم غُطي مجراه الآن بالرمال. وقد ذكره محمد العدواني في القرن 11 هـ / 17 م باسم " غديرة النّيل "[1] في قوله : « ثم انحدروا إلى سوف، وكان فيها يومئذ غديرة النيل... ». والمقصود بها الوادي[2].

كما ذكر إبراهيم العوامر ( 1292 – 1351 هـ / 1875 – 1932 م )[3] أنّ قبيلة طرود العربية لما قدمت المنطقة في حدود سنة 690 هـ / 1292 م، أطلقوا عليها اسم الوادي، والذي استمر في الجريان حتى القرن 8 هـ / 14 م[4].

وفيما بعد صارت كلمة الوادي تطلق على عاصمة الإقليم والمركز الإداري لمنطقة وادي سوف، مدينة الوادي.

**– معنى " سوف " :**

تعني كلمة سوف النّهر المائي، إذ تطلق الأساطير القديمة الكلمة على نهر غزير الجريان، كان يجري بالمنطقة من الشمال إلى الجنوب يدعى " واد ازوف "، أي النهر الرقراق الذي غارت مياهه في باطن الأرض ولم يبق إلا

---

(1) الغديرة : وهي مستنقع الماء الذي يغادره ماء السيل. ينظر : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : **لسان العرب**، ج6، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ( د، س، ن )، ص 312.

(2) محمد العدواني : **تاريخ العدواني**، تح : أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م، ص 109.

(3) عاشوري قمعون : **الشيخان الشيخ إبراهيم بن عامر ( 1292 – 1351 هـ / 1875 – 1932 م ) والشيخ الهاشمي حسني ( 1320 – 1410 هـ / 1902 – 1989 م )**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2010 م، ص ص 21 – 61.

(4) إبراهيم بن محمد الساسي العوامر : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع : الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007 م، ص 149.

مكانه، فتغير اسمه إلى وادي سوف(1).

ولما كان البربر هم سكان سوف القدماء، فإنّ أول الكتابات التي تم الوصول إليها كانت تطلق على المنطقة اسم " أسوف "، وهذا ما ذكره المؤرخون الإباضيون، ومنهم أبو زكرياء يحي ( ت 471 هـ / 1078م )، وأبو الربيع الوسياني في القرن 6 هـ / 12 م. كما يعتبر كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني ( ت 670 هـ / 1271 م )، أقدم مصدر ذكر كلمة سوف بدون ألف، فيكون إذا ظهور الكلمة حوالي القرن 7 هـ / 13 م(2).

والمعنى الجغرافي يفرض نفسه أيضا لارتباطه ببعض الخصائص الطبيعية للمنطقة، ففي اللغة العربية نجد كلمة " السوفة، والسائفة "، ويقول ابن منظور : « السائفة جانب من الرمل ألين ما يكون منه »، وعندما تثير الريح الرمل تدعى " المسفسفة "(3). وهذا ما جعل أهل سوف يطلقون على الرمل اسم " السافي "(4).

مع العلم أنّ أول من ذكر التسمية بهذا الجمع وادي سوف، هو الرحالة الحاج ابن الدين الأغواطي في حدود سنة 1244 هـ / 1829 م(5)، ثم انتشرت فيما بعد على يد الفرنسيين بعد دخولهم للمنطقة.

## 1) موقع وحدود منطقة وادي سوف :

في العرق الشرقي الكبير من صحراء الجزائر تقع منطقة وادي سوف، وبالضبط في الجنوب الشرقي، تحدها من الشمال بلاد الزاب ( بسكرة، والزرائب )، وحتى جبال الأوراس، والنّمامشة إلى منطقة نقرين، ومن الجهة الشرقية الحدود التونسية من نفطة، ونفزاوة، أما من الجهة الجنوبية فتحدها واحات غدامس، ومن الجهة الغربية كل من وادي ريغ ( تقرت، وتماسين )، وورقلة(6).

أما فيما يخص الموقع الفلكي، فهي تقع ما بين دائرتي عرض 33° – 34° شمالا، وبين خطي طول 6° – 8° شرقا. كما تبلغ مساحة المنطقة 82.000 كلم$^2$ حسب دراسة الأستاذ فوازان ( Voisin )(7).

---

(1) André Voisin : **Le souf Manographie d'une region Saharienne**, Paris, 1985, ( Manuscrit ), p 3.

(2) علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر ( هـ ) التاسع عشر ( م )**، إش : د. عمر بن خروف، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، السنة الجامعية : 2000 – 2001 م، ص 6.

(3) ابن منظور : المصدر السابق، ج11، ص 66.

(4) محمد الطاهر التليلي : **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، مخ، توجد نسخة منه بمكتبة الدكتور علي غنابزية، الوادي، الجزائر، ص 128.

(5) أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990 م، ص 260.

(6) أحمد بن الطاهر منصوري : **الدر المرصوف في تاريخ سوف**،ج1، ط1، الحفيد، الوادي، الجزائر، ( د، س، ن )، ص 29، وإبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص 37.

(7) André Voisin : op cit, p 4 – 15.

خريطة توضح موقع وحدود منطقة وادي سوف[1]

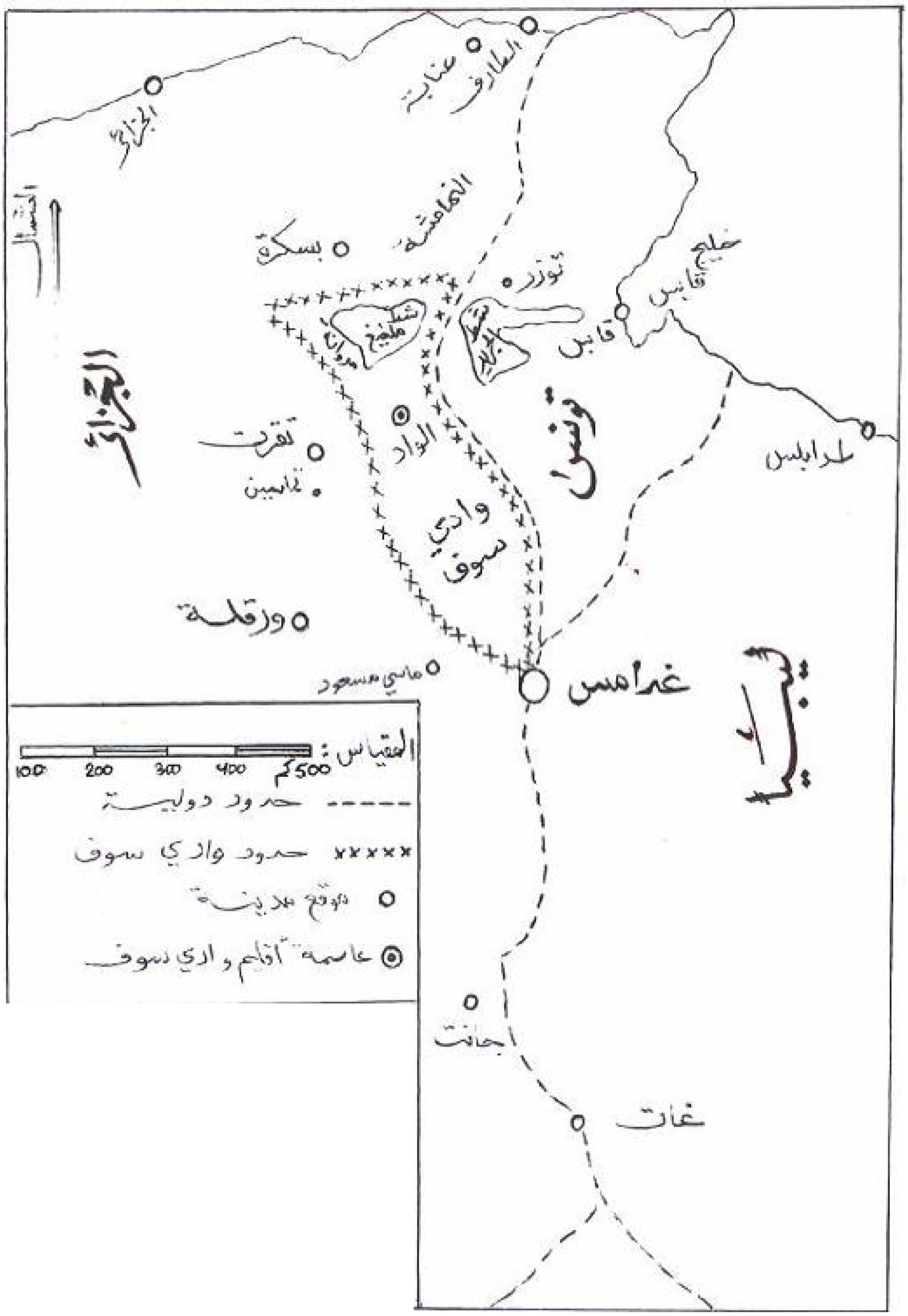


(1) موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها ( 1900 – 1939 م )**، رسالة ماجستير، إش : أ. د أحمد صاري، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية : 2005 – 2006 م، ص 20.

## 2) مظاهر السطح :

تعتبر وادي سوف منطقة صحراوية، ووجودها في العرق الشرقي الكبير يوحي لنا بمظهر سطحها المغطى بالرمال في الغالب. ويقول في هذا الصدد الرحالة المغربي العياشي لما مرّ بالمنطقة في يوم 22 جمادى الثانية 1072 هـ / 11 فيفري 1662 م : «... بلاد ذات رمال كثيرة... » (1)، وهي تتميز بشكلين هما :

**أ) الكثبان الرملية** : وتتواجد بصورة كبيرة جنوب المنطقة، وهي تختلف من حيث ارتفاعها، وتدعى بالغرود(2).

**ب) المنخفضات والأودية** : وتوجد متخللة الكثبان الرملية، مع العلم أن المنطقة تعتبر أخفض موقع في العرق الشرقي الكبير(3).

وفيما يخص متوسط ارتفاع سطح الأرض بسوف فهو 75 م فوق سطح البحر في أغلب الجهات، وينخفض تحت مستوى سطح البحر عند منطقة الشطوط، مثل : شط ملغيغ بـ 25 م(4).

## 3) الخصائص المناخية والنباتية :

تتميز المنطقة بمناخ صحراوي قاري، شديد الحرارة صيفا والبرودة شتاء بسبب جفافه، ويغلب عليه الحر معظم السنة. فيصل متوسط معدل الحرارة في الصيف إلى 34°، وقد تتعدى في بعض أيامه 50°. وفي الشتاء يكون متوسط معدل الحرارة 10°(5)، وعندما تشتد البرودة؛ وخاصة ليلا، تنخفض إلى ما تحت درجة الصفر(6). والجدول التالي يوضح هذه الوضعية :

*** جدول متوسط الحرارة في وادي سوف ( 1338 – 1346 هـ / 1920 – 1928 م )(7) :**

| الشهور | جانفي | فيفري | مارس | أفريل | ماي | جوان | جويلية | أوت | سبتمبر | أكتوبر | نوفمبر | ديسمبر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الدرجة | °17.4 | °20.2 | °24.2 | °29.1 | °34 | °39.3 | °43.1 | °42.2 | °37.7 | °30.6 | °23.1 | °17.8 |

(1) أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي : **الرحلة العياشية 1661 – 1663 م**، تح : سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006 م، ص 122.

(2) André Voisin : op cit, p 12.

(3) بن سالم بن الطيب بالهادف : **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، 2008 م، ص 46.

(4) Ahmed Najah : **Le Souf des Oasis**, Edition la Maison de livres, Alger, 1971, p 10.

(5) André Voisin : op cit, p 43.

(6) بن سالم بن الطيب بالهادف : المرجع السابق، ص 47.

(7) عثمان زقب : **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918 – 1947 م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش : د. يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية : 2005 – 2006 م، ص 17.

أما الرياح فهي نشيطة باستمرار، وتهب معظم شهور السنة بنسب متفاوتة حسب الفصول، فمنها ما يعرف بالزوابع الرملية ( العجاج )، وهي رياح عاتية مثيرة للرمال(1)، وكذا الريح الحارة المسماة الشهيلي أو القبلي، وهي جافة ومحرقة تهب جنوبا؛ عكس ريح البحري أو الشرقي التي تهب من الشرق آتية من خليج قابس، ويكون هبوبها غالبا في المساء بهواء رطب منعش يستمر إلى الليل(2)، هذا إضافة إلى الريح الغربي البارد(3).

ونظرا لبعد المنطقة عن المسطحات المائية، فإنّ الأمطار نادرة وقليلة وغير منتظمة، وتنحصر فترة تساقطها بين منتصف فصل الخريف وبداية الربيع، ويصل المتوسط السنوي للتساقط بالمنطقة إلى 80.3 ملم(4).

وقد سمحت هذه الظروف المناخية لأنواع عديدة من الأشجار، والنباتات، والأعشاب، والحشائش المتنوعة بالنمو، فمن الحشائش نجد : الحلفاء، إضافة إلى أشجار من الحطب كالزيتاء(5)، كما تنتشر نباتات الرعي والتداوي ومنها : الحرمل. أما النباتات المسقية من خضر وفواكه وبقول، فهي عديدة منها : اليقطين، ومن أهم الأشجار : النّخلة(6).

## ثانيا : الحياة السياسية والتنظيم الإداري بوادي سوف :

بعد احتلال الجزائر، وفي سنة 1256 هـ / 1841 م، عين الجنرال بيجو ( Bugeat ) حاكما عاما لها، وقد استهل حكمه بتطبيق الاستيطان في أنحاء الجزائر. فبدأت القوات الفرنسية بالزحف شرقا، وغربا، وجنوبا، لكنها اصطدمت بمقاومة شعبية أخّرت وصولها إلى الجنوب حوالي 20 سنة، أهمها : مقاومة الحاج أحمد باي ( 1245 – 1263 / 1830 – 1848 م )، ومقاومة الأمير عبد القادر ( 1247 – 1262 هـ / 1832 – 1847 م )(7).

### 1) الحياة السياسية بوادي سوف :

### أ ) الاحتلال الفرنسي لوادي سوف :

بدأت فرنسا تفكر في مواصلة زحفها نحو الجنوب الشرقي، ومنها منطقة سوف؛ منذ سقوط مدينة قسنطينة

---

(1) إبراهيم مياسي : **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 – 1934 م**، دار هومه، الجزائر، 2005 م، ص 146.

(2) Ahmed Najah : op cit, p 32.

(3) بلال بوترعه وأسماء مطوري : **المناخ والنمط العمراني في وادي سوف**، الإنسان والعمارة محاضرات الندوة الفكرية التاسعة أيام 26 – 27 – 28 جانفي 2013 م، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2013 م، ص 254.

(4) Ahmed Najah : op cit, p 32.

(5) إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص 53.

(6) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 37 – 55.

(7) علي غنابزية : المرجع السابق، ص ص 24 – 29.

سنة 1252 هـ / 1837 م، وهذا راجع لعدة دوافع، أهمها :

– أنّ الأحداث برهنت منذ بداية الاحتلال على أنّ المنطقة الجنوبية هي معاقل لاعتصام المقاومين بها، ولإعداد قوتهم.

– اعتبار هذه المناطق؛ وخاصة سوف، مركزا يقدم الدعم المادي والبشري للثائرين من مختلف الجهات، وساعدها في ذلك موقعها الحدودي ومجاورتها لأسواق السلاح القريبة منها في تونس، وغدامس(1). لهذا عملت السلطات الفرنسية على مد احتلالها إلى سوف(2).

وفي سنة 1259 هـ / 1844 م، أصدر البرلمان الفرنسي قانونا يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب(3)، فشرعت الإدارة الاستعمارية في تطبيق مخططاتها في الجنوب، وفق سياسة المراحل التي دامت أكثر من 40 سنة، ويمكن حصرها في الآتي :

**– المرحلة الأولى : الدراسات التاريخية والرحلات الاستطلاعية الفرنسية ( 1247 – 1268 هـ / 1832 – 1852 م ) :**

منذ السنوات الأولى للاحتلال، بادر الفرنسيون بجمع المعلومات ومباشرة الدراسات التاريخية عن منطقة الجنوب، وهذا بترجمة الرحلات التي قام بها المسلمون، مثل رحلتي : العياشي، والأغواطي، اللتين تناولتا في طياتهما وصفا دقيقا للواحات، ولطرق المواصلات بالمنطقة، وقد تم نشرهما للاستفادة منهما سياسيا، وعسكريا(4).

كما كثفت فرنسا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى المنطقة، من أبرزها تلك التي قام بها الباحث الفرنسي بيربروجر ( Berbrugger )، فبعد قيامه بترجمة مخطوط رحلة العياشي التي نشرها بباريس سنة 1261 هـ / 1846 م، قام برحلته سنة 1266 هـ / 1850 م لاكتشاف الواحات التونسية والجزائرية، فانتقل إلى تونس عن طريق سوق أهراس، فزار واحات بلاد الجريد التونسي(5)، ومنها انتقل إلى وادي

---

(1) علي غنابزية : **دور وادي سوف في معركة المقارين ( 1854 ) وآثارها على المقاومة المسلحة في المنطقة الجنوبية الشرقية**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، جويلية 2010 م، ص 153.

(2) مياسي إبراهيم : المرجع السابق، ص 170.

(3) سعود دحدي : **ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي ( 1842 – 1895 م )**، مجلة الباحث، المرجع السابق، ص 131.

(4) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 35.

(5) بلاد الجريد : تقع بلاد الجريد في الجنوب الغربي من تونس، على الحدود الجنوبية الشرقية مع الجزائر، وقد اشتهرت بواحات نخيلها الكثيرة، وقديما كانت تسمى " قسطيلية "، ومن مدنها : توزر، ونفطة. وقد كانت منذ القديم حاضرة للعلم والعلماء. ينظر : شهاب الدين ياقوت الحموي : **معجم البلدان**، مج 2، دار صادر، بيروت، 1977 م، ص ص 57 – 58؛ الجيلاني حسان : **قصة العودة مذكرات عائد من الرديف تونس إلى وادي سوف الجزائر في صائفة الاستقلال ( 1962 )**، ج1، دار هومه، الجزائر، 2011 م، ص 17.

سوف(1)، حيث حصل من أحد شيوخ طرود ببلدة كوينين(2) على نسخة من مخطوط تاريخ العدواني بتاريخ 24 محرم 1267 هـ / 28 نوفمبر 1850 م. وقد استفاد المستعمر كثيرا من هذا المخطوط للتعرف على المنطقة(3).

**– المرحلة الثانية : الغزو الفرنسي لوادي سوف ( 1268 – 1270 هـ / 1852 – 1854 م ) :**

بعدما تمكن العقيد ديفو ( Devaux ) من احتلال تقرت في 15 ربيع الأول 1271 هـ / 5 ديسمبر 1854 م(4)، اتجهت الحملة إلى منطقة سوف، وبعد مواجهات عنيفة بين السكان والفرنسيين، دخلت القوات الفرنسية يوم 23 ربيع الأول / 13 ديسمبر بلدة تاغزوت(5)، ونظرا لعدم تكافؤ القوة بين الطرفين، أكمل الفرنسيون تقدمهم نحو بلدة كوينين، ومنها إلى مدينة الوادي في 26 ربيع الأول / 16 ديسمبر من نفس السنة.

بعد ذلك رجعت القوات الفرنسية إلى تقرت في 2 ربيع الثاني / 22 ديسمبر لتنظيم وضبط شؤونها الإدارية بالاشتراك مع سوف(6)؛ دون أن تترك في هذه الأخيرة أي قوات عسكرية، حيث عين العقيد ديفو علي باي بن فرحات بن سعيد قائدا على تقرت، وسوف باسم فرنسا، ومنحه برنوس التولية يوم 6 ربيع الثاني / 26 ديسمبر من نفس السنة(7).

**– المرحلة الثالثة : مقاومة سكان سوف وردود الفعل الاستعمارية ( 1271 – 1288 هـ / 1854 – 1872 م ) :**

بعد الاحتلال الفرنسي للأغواط، وورقلة، وتقرت، التجأ الثوار إلى بلاد الجريد التونسي عبر سوف، وكان على رأسهم : سليمان الجلابي، وبن ناصر بن شهرة(8)(9). ونتيجة لنشاطهم المتزايد، كثف الفرنسيون جهودهم لإحكام السيطرة على المنطقة، من ذلك تشييد أبراج للمراقبة في سوف قصد تأمين وحماية طرق القوافل، والمحافظة

(1) إبراهيم مياسي : **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 – 1962 م**، دار هومه، الجزائر، 2007 م، ص 115.

(2) كوينين : قرية تقع شمال مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 6 كلم.

(3) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 105.

(4) André Voisin : op cit, p 47.

(5) تاغزوت : قرية تقع شمال مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 14 كلم.

(6) علي غنابزية : دور وادي سوف في معركة المقارين، المرجع السابق، ص 160.

(7) André Voisin : op cit, p 47.

(8) ابن ناصر بن شهرة : هو بن ناصر بن شهرة بن فرحات، ولد سنة 1804 م بالأغواط. بدأ جهاده ضد الفرنسيين في 1851 م، ثم التجأ إلى نفطة بالجنوب التونسي بعد الاحتلال الفرنسي للأغواط وورقلة. واصل جهاده بانضمامه إلى العديد من المقاومات الشعبية إلى غاية سنة 1875 م، أين هاجر إلى بيروت ومنها إلى دمشق، وتوفي بها سنة 1884 م. ينظر : عبد المجيد بن نعمية وآخرون : **موسوعة أعلام الجزائر 1830 – 1954 م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م، الجزائر، 2007 م، ص ص 32 – 35.

(9) يحي بوعزيز : **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 1996 م، ص ص 156 – 157.

على الأمن(1). ولكن؛ بالرغم من هذه الإجراءات، ظلت المنطقة ملجأ العديد من المقاومين، من أبرزهم : محمد التومي، والمدعو بوشوشة. كما شارك سكان المنطقة في مقاومة محيي الدين بن الأمير عبد القادر، غير أن مقاومته لم تستمر طويلا، وغادر إلى سورية في ربيع الثاني 1288 هـ / جويلية 1871 م(2).

**– المرحلة الرابعة : الاستقرار النهائي للفرنسيين بمنطقة سوف ( 1288 – 1304 هـ / 1872 – 1887م ) :**

عندما بدأت المقاومة الشعبية تجتاح منطقة الجنوب الشرقي نهاية سنة 1287 هـ / وبداية 1871 م، عهد الفرنسيون إلى حكامهم المحليين بأمر مواجهتها، لكنهم أبدوا عجزهم، مما اضطرها إلى إعداد جيش لهذه المهمة بقيادة الجنرال لاكروا فوبوا ( Lacroi Vaubois )، الذي بدأ عملية الاجتياح من ورقلة التي سقطت في 21 شوال 1288 هـ / 2 جانفي 1872 م، وتبعتها تقرت، ثم اتجه الجيش نحو منطقة سوف، وأخضعها للسلطة الفرنسية(3)، وعين عليها حاكما من جنود الصباحية يدعى " العربي الملوك "(4). وقد انتهت فترة التسعينيات من القرن 13 هـ / السبعينات من القرن 19 م بتصفية المقاومة بالجنوب، والاستمرار في تهيئة الظروف للاستقرار الفرنسي بتونس، والتي فرضت عليها الحماية في 13 جمادى الثانية 1298 هـ / 12 ماي 1881 م(5).

وشارك الضابط الفرنسي ديبورتر ( Deporter ) في احتلال تونس(6)، ثم انتدب إلى سوف، فقام بوضع أسس أول مكتب عربي، وتم اختيار الدبيلة(7) لتكون المركز الأول للاستقرار الفرنسي بالمنطقة، ومن أجل حمايتها ومراقبتها أخذ عدد القوات في التزايد. كما تم تشييد برج صغير للحراسة استمر إلى سنة 1304 هـ / 1887 م.

ويعتبر النقيب فورجيس ( Forges ) ( 1303 – 1304 هـ / 1886 – 1887 م )، ثاني حاكم عسكري لملحقة الوادي، وقد قام باستقدام مجموعات عسكرية صغيرة من حامية الدبيلة، وجعلها تستقر بالمحلات التي أعدت لها بمدينة الوادي، وتعتبر هذه المحلات أول ثكنة عسكرية بوسط المدينة(8).

---

(1) André Voisin : op cit, p p 49 – 48.

(2) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954**، ج 5، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م، ص 560.

(3) إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص 257.

(4) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 47.

(5) محمد الهاشمي الشريف : **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع : محمد الشاوش، ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993 م، ص 99.

(6) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ج 4، ص 50.

(7) الدبيلة : بلدة تقع شمال شرق مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 20 كلم، وعن الحدود التونسية بحوالي 62 كلم.

(8) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 53.

**ب ) الحياة السياسية أثناء الاحتلال الفرنسي :**

إن الحياة السياسية بوادي سوف خلال الاستعمار، طبعها في الغالب خاصة في مرحلتها الأولى؛ الهدوء والاستسلام للسياسة الفرنسية، بسبب الحكم العسكري المتشدد، والذي ضيق الخناق على الأفكار التحررية، وراقب مختلف الطرق والمنافذ على الحدود، بحيث لم تسجل إلا بعض الأحداث التي عبّرت عن كراهية ومقاومة سكانها للاستعمار وسياسته(1). وحتى فترة الأربعينيات من القرن 14 هـ / العشرينيات من القرن 20 م، كانت تعيش حالة من الركود السياسي، نتيجة تصنيف الإدارة الاستعمارية الفرنسية مناطق الجنوب منطقة عسكرية مغلقة، مما جعلها بعيدة عن كل نشاط سياسي وطني.

ففي سنة 1336 هـ / 1918 م، كانت الانتفاضة الأولى بقيادة شيخ الزاوية القادرية بوادي سوف الهاشمي الشريف ( 1269 – 1341 هـ / 1853 – 1923 م )(2)، الذي استغل ظروف اندلاع الحرب العالمية الأولى، وصدور القوانين الاستثنائية خلالها، كفرض التجنيد الإجباري على شباب المنطقة في رمضان 1335 هـ / جويلية سنة 1917م، – مع العلم أن القانون لم يكن يشمل الأقاليم العسكرية في الجنوب(3) –، ما أدى بالسكان إلى القيام بمظاهرات عارمة خريف سنة 1337 هـ / 1918 م، عرفت بـ " هدّة(4) عميش(5) الأولى "، والتي انتهت باعتقال العديد من السكان، من بينهم الشيخ الهاشمي، بتهمة التمرد على فرنسا(6)، وذلك يوم 11 صفر 1337 هـ / 15 نوفمبر 1918 م، لينقل إلى سجن بسكرة، ومنه إلى سجن الكدية العسكري بقسنطينة، أين أصدرت ضده فيما بعد المحكمة العسكرية حكما بنفيه من وادي سوف لمدة سنتين(7).

---

(1) علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300 – 1374 هـ / 1882 – 1954 م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش : أ. د عمر بن خروف، جامعة الجزائر، الجزائر، السنة الجامعية : 2008 – 2009 م، ص 60.

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : **أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب**، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2006 م، ص ص 19 – 22.

(3) عاشوري قمعون : **دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية**، مجلة البحوث والدراسات، العدد الثالث، السنة الثالثة، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، جمادى الأولى 1427 هـ / جوان 2006 م، ص 78.

(4) الهدة : تسمية أطلقها سكان وادي سوف على بعض الانتفاضات الشعبية التي وقعت بالمنطقة، ومعناها : اسم المرة من هَدَّ، وهي صوت وقوع الحائط ونحوه. ومعناها الشعبي : الاقتحام المسلح المصحوب بالهدم والتحطيم، بدافع الهجوم على الخصم ورد الظلم. ينظر : علي غنابزية : المرجع السابق، ص 39.

(5) عميش : قرية تقع جنوب مدينة الوادي، وتبعد عن بحوالي 6 كلم.

(6) إبراهيم مياسي : **أضواء حول الشيخ عبد العزيز الشريف المصلح الديني والفكري**، محاضرات الندوة الفكرية السادسة محمد الأمين العمودي، أيام 29 – 30 أفريل وأول ماي 1993 م، ( د، د، ن )، الجزائر، 1993 م، ص 24.

(7) إبراهيم مياسي : **جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف**، مجلة الثقافة، ( د، ع )، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995 م، ص 164.

ولعبت المنطقة دورا في نشاط الحركة الوطنية، فانتشرت دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيها، وشارك وفد منها في المؤتمر التأسيسي لها، وسيتم التطرق إلى هذا الموضوع في الفصل الثالث.

ثم قام الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الشريف ( 1306 – 1385 هـ / 1889 – 1965 م ) بمظاهرة احتجاجية على تصرفات السلطات الاستعمارية في المنطقة يوم 12 صفر 1357 هـ / 12 أفريل 1938 م، تدعى " هدّة عميش الثانية "، أمام مقر الحاكم العسكري، بعد قدوم المدير العام للشؤون الأهلية وأقاليم الجنوب السيد ميليوت ( Milliot ) إلى مدينة الوادي في نفس اليوم(1)، فاضطر هذا الأخير إلى الاجتماع به، أين قدم له الشيخ عبد العزيز مطالب السكان التي كانت تدور حول :

– تدخل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية للأهالي، لذا وجب رفع الظلم والتعسف عن السكان.

– الاحتجاج على مرسوم 7 محرم 1357 هـ / 8 مارس 1938 م الذي يحد من حرية التعليم العربي الحر(2).

– الحالة الاقتصادية المتدهورة للسكان(3).

ولعدم التماس السكان أي مبادرة من المستعمر، تجددت المظاهرات في اليوم الموالي، حيث وقعت مواجهات واصطدامات دموية انتهت يوم 18 صفر / 18 أفريل باعتقال الشيخ عبد العزيز رفقة بعض زملائه، من أبرزهم عبد القادر الياجوري(4)، وعلي بن سعد خيران(5)(6).

## 2) التنظيم الإداري والوضع القضائي بوادي سوف :

### أ) التنظيم الإداري الاستعماري :

خضعت منطقة وادي سوف أثناء فترة الاستعمار لنظام إداري محكم التشديد، عرف عدة تقسيمات إدارية، وتعيينات للقادة المحليين خضعت إلى التغيير المستمر؛ وفق الظروف السياسية والتحولات الاقتصادية

---

(1) إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 م، ص 234.

(2) أحمد صاري : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، تق : أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004 م، ص 45.

(3) عاشوري قمعون : دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف، المرجع السابق، ص 82.

(4) عبد القادر الياجوري : ولد بقمار بوادي سوف خلال سنة 1330 هـ / 1912 م، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى بلاد الجريد طلبا للعلم، ومنه ارتحل إلى جامع الزيتونة أين تحصل على شهادة التطويع سنة 1353 هـ / 1934 م. توفي في 2 صفر 1412 هـ / 12 أوت 1991 م. ينظر : سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 89 – 90.

(5) علي بن سعد خيران : ولد بقمار بوادي سوف سنة 1327 هـ / 1908 م، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بجامع الزيتونة طلبا للعلم، أين تحصل على شهادة التطويع سنة 1351 هـ / 1932 م. توفي بالجزائر العاصمة سنة 1394 هـ / 1974 م. ينظر : سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 79.

(6) أبو القاسم سعد الله : **مجاهد من نوع آخر**، مجلة الثقافة، السنة التاسعة عشر، مؤسسة المجاهد الأسبوعي، الجزائر، عدد نوفمبر / فيفري 105 – 106، 1995 م، ص 63.

والاجتماعية، وتحت إطار إقليم الجنوب، وبما يضمن الاستقرار الأمني في نطاق الملحقة، والتحكم في السكان.

فمنذ سنة 1299 هـ / 1882 م وضعت النواة الأولى للمكتب العربي في الدبيلة أولا، ثم نقل إلى مدينة الوادي، ويعتبر هذا المكتب هو الجهاز المسؤول على الأمن العام والعلاقات مع السكان، ومراقبة النشاط الاقتصادي والتجاري. ويعتبر الضابط بلاشير ( Blachére ) أول حاكم لمركز الوادي(1). وكانت الصفة الإدارية للمنطقة ممثلة في مركز عسكري تابع لدائرة بسكرة(2). وبموجب القرار الحكومي الصادر في 1 ربيع الثاني 1302 هـ / 17 جانفي 1885 م، تحولت المنطقة إلى ملحقة الوادي؛ تابعة لدائرة بسكرة. ثم أصبحت إداريا مرتبطة بدائرة تقرت المنشأة بمرسوم حكومي في 24 ديسمبر 1892 م(3).

شهدت الملحقة بداية القرن 14 هـ / نهاية القرن 19 م تغيرات مستمرة في حكامها الفرنسيين، آخرهم كوفي ( Cauvet )، الذي تولى شؤونها سنة 1317 هـ / 1900 م(4). وفي 24 رمضان 1320 هـ / 24 ديسمبر 1902 م صدر التنظيم الإداري الذي حدد مناطق الجنوب، وكانت ملحقة الوادي تابعة لدائرة تقرت، وتحت إدارة ضباط الشؤون الأهلية؛ إلى بداية العشرينات. وقد تبع هذا القانون مرسوم 13 جمادى الثانية 1323 هـ / 14 أوت 1905 م، الذي قسمها إلى أربع بلديات مختلطة وأهلية(5)، تكون تحت السلطة الإدارية للشؤون المدنية في الشمال، أو ضباط الشؤون الأهلية في الجنوب، وكانت سوف مقاطعة أهلية مستقلة عن المقاطعة المختلطة بتقرت(6).

وبقرار 23 ربيع الثاني 1339 هـ / 3 جانفي 1921 م، فُصلت ملحقة الوادي عن تقرت، وأسست بها المنطقة الأهلية، وبدأ تشكيل البلديات في وادي سوف، ومنها البلدية الأهلية بمدينة الوادي التي تأسست بموجب نفس القرار. ثم صدر قرار 10 شوال 1341 هـ / 25 ماي 1923 م بإلغاء دائرة تقرت، فأصبحت بلدية الوادي الأهلية ( ملحقة الوادي ) مستقلة، وتابعة مباشرة للقيادة العسكرية بتقرت. وبقرار حكومي آخر صدر في 20 ذو الحجة 1352 هـ / 4 أفريل 1934 م تم تحويل البلدية الأهلية إلى بلدية مختلطة(7).

---

(1) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 56.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 125.

(3) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 56.

(4) أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 5، ص 125.

(5) قمعون عاشوري : **من تاريخ سوف**، الوادي، الجزائر، 14 نوفمبر 2009 م، ص 4.

(6) André Voisin : op cit, p 18.

(7) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 127.

**ب– الوضع القضائي :**

**– النظام القضائي الفرنسي :**

غلب الطابع العسكري على النظام القضائي الفرنسي بمناطق الجنوب، وكان تداول الأحوال المدنية للسكان يتم لدى ضباط الشؤون الأهلية بملحقة الوادي، أو ضباط الشرطة القضائية، أو بواسطة رؤساء الأهالي. فإن كان حجم المخالفة بسيطة تبت فيها اللجان الزجرية العسكرية المحلية، وإن كانت خطيرة؛ تعرض على اللجنة المركزية التأديبية، وإن كانت جنائية تسلم إلى المجلس العسكري(1)، إضافة إلى السلطة القضائية للضباط، أو لرؤساء الأهالي.

كما ترفع القضايا المدنية والجنائية إلى محكمة باتنة، أو المجلس العسكري بقسنطينة. وتذكر الكتابات الفرنسية أنّ الجرائم كانت قليلة جدا بالمنطقة، وتقتصر عموما حول قضايا النزاعات بين الأهالي على الأرض.

**– النظام القضائي الشرعي :**

بعد استقرار الإدارة الفرنسية، تم تشكيل المحاكم بصفة رسمية نظامية، وحسب تاريخ سجلات المحاكم الشرعية بالمنطقة؛ فإنّ أول محكمة أنشأت هي محكمة الوادي منذ سنة 1267 هـ / 1851 م، ثم محكمة ڤمار(2) سنة 1280 هـ / 1864 م(3)، كما تم إنشاء محكمة في كوينين سنة 1290 هـ / 1873 م، غير أنّه أوقف العمل بها لاحقا، وضمت إلى محكمة الوادي سنة 1339 هـ / 1921 م(4).

تقضي المحكمة الشرعية في مختلف المسائل التي يعرفها السكان من خلال الشريعة الإسلامية، وضبطها بالرسوم والوثائق. فعالجت أهم القضايا المالية والأحوال الشخصية للسكان، وأهمها الزواج، والطلاق، وتوثيقها برسوم معتمدة. كما تثبت العقود الخاصة بالوصايا والتركات، واهتمامها أيضا بالمعاملات المالية، وقضايا العقارات، ورعاية الشركات التجارية، وتثبيت حقوق أصحابها في سجلات المحكمة وفق أحكام الإسلام(5).

## ثالثا : الحياة الاقتصادية بوادي سوف وعلاقتها بتونس :

اتسمت الحياة الاقتصادية في وادي سوف بالبساطة، وارتبطت بالطبيعة ومتطلبات الفرد، والاستجابة ولو نسبيا لحاجياته المتزايدة، فكان لها أهمية كبيرة في النشاط السكاني، والحيوية التي منحتها للمنطقة.

---

(1) أحمد مدني : **كتاب الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، 2010 م، ص ص 413 – 415.

(2) ڤمار : مدينة تقع شمال مدينة الوادي، وتبعد عن بحوالي 14 كلم.

(3) محمد الطاهر تليلي : المصدر السابق، ص 127.

(4) موسى بن موسى : المرجع السابق، ص 45.

(5) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص ص 148 – 150.

## 1) النشاط الزراعي والرعوي :

### أ) الزراعة :

**– زراعة النخيل :**

تعد زراعة النخيل وإنتاج التمور النشاط الأساسي لاقتصاد المنطقة، ويعود ظهورها بوادي سوف إلى ما قبل خمسة قرون(1). وقد شهدت تطورا خاصة في الربع الأول من القرن 14 هـ / بداية القرن 20 م، مع تباطؤ نسبي بداية الحرب العالمية الأولى. وشهد أيضا إنتاج التمور تطورا من 1335 – 1359 هـ / 1917 – 1940 م نتيجة الاهتمام بغراسته، مع ملاحظة تناقصه في بعض الفترات، والجدول التالي يوضح ذلك :

*** جدول تطور إنتاج التمور في وادي سوف ( 1335 – 1347 هـ / 1917 – 1929 م )(2) :**

| السنوات | 1335 هـ / 1917 م | 1343 هـ / 1925 م | 1344 هـ / 1926 م | 1345 هـ / 1927 م | 1347 هـ / 1929 م |
|---|---|---|---|---|---|
| إنتاج التمور | 44.166 | 38.679 | 35.147 | 63.134 | 55.800 |

الوحدة : قنطار

ومن أنواع التمور : الغرس، ودقلة نور. كما نشير أيضا إلى أن هذه الزراعة كان لها أثرها البالغ على التوسع العمراني في المنطقة(3).

**– زراعة التبغ :**

تحتل زراعة التبغ بالمنطقة مرتبة هامة من حيث مردودها الاقتصادي، وقد ظهرت مزارع التبغ لأول مرة بداية القرن 13 هـ / أواخر القرن 18 م بمدينة قمار، ثم تركزت زراعته في الرقيبة(4) بالخصوص(5)، مع وجود استثمارات محدودة في حاسي خليفة(6)، والمقرن(7)(8). وكان إنتاجه غير مستقر لعدة عوامل، والجدول التالي يوضح ذلك :

---

(1) علي غنابزية : **الخدمات والأعراف الاجتماعية لرعاية غيطان النخيل بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر**، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12– 13 هـ / 18– 19 م من خلال المصادر المحلية، يومي 29 صفر 01 ربيع الأول 1433 هـ الموافق لـ 24 – 25 جانفي 2012 م، المركز الجامعي بالوادي، مطبعة منصور، الوادي، الجزائر، 2012 م، ص 226.

(2) عثمان زقب : المرجع السابق، ص 60.

(3) علي غنابزية : **أثر زراعة النخيل في التوسع العمراني بوادي سوف**، الإنسان والعمارة، المرجع السابق، ص 208.

(4) الرقيبة : قرية تقع شمال غرب مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 35 كلم.

(5) André Voisin : op cit, p 230.

(6) حاسي خليفة : قرية تقع شرق مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 32 كلم.

(7) المقرن : بلدة تقع شمال شرق مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 25 كلم.

(8) C. L. Bataillon : **Le souf Etude de géographie humaine**, Institut de recherches Sahariennes, Université d'Alger, Alger, 1955, p 95.

*** جدول تطور إنتاج التبغ في وادي سوف ( 1327 – 1355 هـ / 1909 – 1936 م )(1) :**

| السنوات | 1327 هـ / 1909 م | 1333 هـ / 1915 م | 1349 هـ / 1930 م | 1354 هـ / 1935 م | 1355 هـ / 1936 م |
|---|---|---|---|---|---|
| إنتاج التبغ | 1500 | 541 | 375 | 819 | 590 |

الوحدة : قنطار

**– الزراعة المعاشية :**

لم تكن زراعتها واسعة، بحيث لا تزيد عن حاجة السكان، رغم ذلك فهي تمثل مكملا غذائيا له وزنه لدى سكان المنطقة، فمن أهم الخضر : اليقطين، ومن الفواكه : الرمان، ومن البقول : الفول، والحمص(2).

**ب) الرعي وتربية الماشية :**

كان أبناء المنطقة بطبعهم الصحراوي ميّالين إلى الرعي وتربية الماشية، لما تمثله كمصدر مهم، وما توفره من وسيلة نقل فعالة، مع ما تقدمه من مواد خام للصناعات التقليدية. فنجد تربية المواشي من : غنم، وماعز، وإبل، وحيوانات أهلية من : حيوانات مدجنة، وأحصنة، وبغال، وأحمرة، وقد عرف تعدادها تذبذبا، والجدولان التاليان يوضحان ذلك :

*** جدول تطور تعداد الأغنام والماعز والجمال في وادي سوف ( 1343 – 1357 هـ / 1925 – 1938 م )(3) :**

| السنوات | 1343 هـ / 1925 م | 1345 هـ / 1927 م | 1354 هـ / 1935 م | 1357 هـ / 1938 م |
|---|---|---|---|---|
| عدد الأغنام | 44.125 | 34.954 | 46.023 | 27.314 |
| عدد الماعز | 50.307 | 47.667 | 55.010 | 34.959 |
| عدد الجمال | 8.826 | 8.067 | 8.761 | 7.100 |

*** جدول تطور تعداد البغال والحمير في وادي سوف ( 1317 – 1359 هـ / 1899 – 1940 م )(4) :**

| السنوات | 1317 هـ / 1899 م | 1345 هـ / 1927 م | 1359 هـ / 1940 م |
|---|---|---|---|
| عدد البغال | 113 | 121 | 403 |
| عدد الأحمرة | 410 | 419 | 803 |

الوحدة : رأس

(1) عثمان زقب : المرجع السابق، ص ص 30 – 31، 67.
(2) إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص ص 57 – 59.
(3) عثمان زقب : المرجع السابق، ص ص 78، 80.
(4) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص ص 181 – 182.

**2) النشاط الصناعي :**

وهو أشبه بالحرف التقليدية من الصناعة، لكونه بدائيا في وسائله وأشكاله، ولاعتماده غالبا على المنتجات المصنوعة بالأيدي، ولكنه مع هذا، حاول بمرور الوقت أن يوفر ويلبي متطلبات واحتياجات السكان، فهو يساهم في رفع مستوى معيشة الأسر التي تمارسه في المنطقة؛ باستغلال أكبر قدر ممكن من المواد الخام المتوفرة محليا، بداية من النخلة ( من بين الصناعات المشتقة من النخيل العلاقة(1)، والمظلة(2) )(3) إلى الماشية، وبعض طبقات التافزة في مناطق معينة خاصة في الشمال.

وتعتبر الصناعة الحرفية بالمنطقة في الربع الأول من القرن 14 هـ / بداية القرن 20 م متواضعة، وما يميزها نسج الزرابي والملابس الصوفية كالبرنوس، والقندورة، بالصوف الأبيض الذي يلقى رواجا(4)،إلى جانب حرف أخرى شهدت حيوية كالحدادة، والنجارة، بالإضافة إلى الصناعات النحاسية، وكذا مواد البناء المحلية كالجبس.

**3) النشاط التجاري وطرق المواصلات :**

**أ) التجارة المحلية :**

إن وجود المنطقة وسط محيط من الرمال فرض عليها عزلة حقيقية، مع قلة مواردها، مما دفع بعض السكان إلى ممارسة التجارة منذ القديم، وفي أبسط أشكالها(5). فكان السوق المحرك الأساسي للتجارة المحلية، ويظهر هذا من خلال الأسواق المنتشرة في الكثير من قراها ومدنها، كالوادي، وكوينين، وعميش، والمقرن، والرقيبة، وقمار(6).

وخضعت التجارة بالمنطقة لظروف النقل أكثر من خضوعها لمبررات اقتصادية، ما جعل الأسعار ترتفع من حين لآخر. أما السلع الأكثر رواجا؛ خاصة في سوق مدينة الوادي المركزي، والذي يعتبر الأكثر نشاطا وأهمية، فنجد أهمها : التمور، والتبغ، والحيوانات ومنتجاتها، والحبوب، والخضر، والفواكه بأنواعها، والزرابي، والحشان. ومن خصوصيات التعاملات التجارية في أسواق وادي سوف، أنها تتم بالدفع نقدا أو بالمقايضة(7).

---

(1) العلاقة : وهي آنية صغيرة، يستخدما غالبا الفلاح عند جني البسر ( نوع من التمور ) في الخريف من فوق النخلة. ينظر : علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 69.

(2) المظلة : تصنع من السعف الجيد، وتستعمل في فصل الصيف لوقاية الرأس من أشعة الشمس. ينظر : علي غنابزية : المرجع السابق، ص 69.

(3) العايش علي بوصبيع : **النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة أهل سوف**، محاضرات الندوة الفكرية الثامنة، محمد الأمين العمودي، أيام 28 – 30 مارس 1995 م، ( د، د، ن )، الجزائر، 1995 م، ص ص 23 – 24.

(4) André Voisin : op cit, p 247.

(5) بلال بوترعه : **أثر الظروف البيئية على الأنشطة الاقتصادية لسكان وادي سوف**، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية، المرجع السابق، ص 222.

(6) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص ص 209 – 212.

(7) عثمان زقب : المرجع السابق، ص 100.

وقد كانت المبادلات التجارية بين وادي سوف ومناطق الجنوب ضعيفة جدا خاصة مع وادي ريغ بسبب تشابه المنتجات، مع ذلك مما تستورد منها : الحشان، والشحوم، ومما تصدره لها : التبغ، وريش النعام(1). أما مع بسكرة وبلاد الزاب فهي أكثر حيوية من الأخيرة، فمما يستوردون منها : الحبوب، ومما يصدرونه لها : التمور، والتبغ. وفيما يخص المناطق التلية، فمما تستورده : الحبوب، والسكر، ومما تصدره لها : التبغ، والمنسوجات الصوفية(2).

**ب) التجارة الخارجية :**

عرفت وادي سوف خلال النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م، حركة تجارية واسعة مع البلدان المجاورة، اتسمت بالحيوية والنشاط، وارتبطت بالأسواق المهمة. ويعد القمح والشعير العنصرين الأساسيين من مشتريات السوق، لأنه من الأغذية الأساسية بالمنطقة(3). أما العملة المستخدمة في التبادل في الغالب، والتي لقيت رواجا أثناء الاستعمار؛ فهي العملة الفرنسية ممثلة في الدورو، والفرنك، والصوردي(4).

وكانت المنطقة تتاجر مع تونس؛ خاصة بلاد الجريد، فمما تصدره لها : التمور، والتبغ، الذي كان أغلبية صادراته إلى غاية سنة 1332 هـ / 1914 م توجه إلى تونس(5)، ويستوردون منها : الحايك، والزرابي، والأواني الخزفية. إضافة إلى تعاملها مع المدن الليبية خاصة غدامس، ومما تصدره لها : الغزال، والبرنوس، ومما تستورده : الحرير(6). وكذلك تعاملها التجاري مع بلاد السودان(7)، فمما تصدره لها : التبغ والبرنوس والحايك، وتستورد منها : العبيد، والمجوهرات، وأنياب الفيل(8)، والمسك(9).

**ج) طرق المواصلات :**

نظرا لوجود المنطقة وسط كثبان الرمال، والافتقار لوسائل النقل الحديثة والمسالك الصالحة للسير، كان

---

(1) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 100.

(2) عثمان زغب : المرجع السابق، ص ص 109 – 110.

(3) C. L. Bataillon : op cit, p 98.

(4) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 101.

(5) بالقاسم بن خليفة : **واقع النشاط الاقتصادي لمجتمع وادي سوف خلال القرن 19 م**، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية، المرجع السابق، ص 240.

(6) André Voisin : op cit, p 169.

(7) بلاد السودان : المقصود بها حينها أقطار إفريقيا جنوب الصحراء : مالي، والنيجر، وشمال نيجيريا، وتشاد.

(8) عثمان زغب : المرجع السابق، ص 112.

(9) السعيد قعر المثرد : **بعض أوجه التواصل بين " سوف " والأقاليم المحيطة في القرن 13 هـ – 19 م من خلال كتاب " الصروف "**، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية، المرجع السابق، ص 302.

الاتصال بها يتم عن طريق استعمال القوافل بالأحصنة، والجمال. وبعد الأربعينيات من القرن 14 هـ / العشرينيات من القرن 20 م، وبفضل العناية المتواصلة لإنجاز الطرق المعبّدة وتحسينها من قبل المستعمر، أصبحت الطرق صالحة للاستعمال من طرف الشاحنات، والحافلات، والسيارات، وموقعها الحدودي جعلها تتميز بتعدد الطرق وكثرة تفرعاتها، وهي نوعان :

- طرق تكون فيها المنطقة منطلقا للقوافل مثل : طريق وادي سوف – خنشلة(1).

- طرق تكون فيها المنطقة محطة عبور القوافل مثل : طريق نفطة – غدامس عبر وادي سوف(2).

### 4) العلاقات الاقتصادية بين وادي سوف وتونس :

كان للأوضاع الجغرافية لوادي سوف دور هام في صناعة علاقات متميزة، قديمة ومتواصلة، بينها وبين الأقاليم التونسية؛ من بلاد الجريد جنوبا إلى مدينة تونس شمالا، لكون سوف تشترك في الحدود لمسافة طويلة مع دولة الحماية التونسية، وكذا لتشابه النظام السياسي في كلا البلدين، إضافة إلى الأوضاع الاقتصادية بوادي سوف أيضا، والتي كان لها أبلغ الأثر على علاقتها مع تونس، فمع تزايد السكان، ومحدودية الموارد الاقتصادية، اضطر السكان إلى الهجرة نحو الأقاليم المجاورة، ومنها تونس التي كانت باستمرار متنفسا حقيقيا لاقتصاد المنطقة(3).

كما لعبت زراعة التبغ في المنطقة دورا في ازدهار العلاقات الاقتصادية مع تونس، حيث كان التونسيون قبل الحرب العالمية الأولى المستورد الأول لمادة التبغ من وادي سوف، فساهمت بذلك في انتعاش هذه الزراعة نسبيا وتحسين مداخيل العديد من الأسر المحلية التي تمارسها(4).

وعلى المستوى التجاري استمرت المبادلات بين المنطقة وتونس خاصة بلاد الجريد؛ رغم تراجعها بعد الحرب العالمية الأولى. حيث شهدت تجارة القوافل بين المنطقة وميناء قابس انتعاشا كبيرا خلال فترة 1326 – 1331 هـ / 1908 – 1913 م، ثم حصل تراجعها مع بداية الحرب(5). ورغم أنّ الإدارة الفرنسية كانت تعمل على

---

(1) موسى بن موسى : **الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف خلال مطلع القرن العشرين**، وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة، تق : زغب أحمد، إع : عادل محلو، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2008 م، ص 44.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص ص 84 – 86.

(3) صالح لميش : **تأثير العوامل الجغرافية في التواصل بين سكان منطقة وادي سوف وتونس**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881 – 1954 م، يومي 10 – 11 نوفمبر 2013 م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 2013 م، ص 2.

(4) عثمان زقب : **علاقات وادي سوف بتونس وليبيا أواخر القرن 19 وفي النصف الأول من القرن 20 م**، وادي سوف دراسات تاريخية، المرجع السابق، ص 74.

(5) عثمان زقب : **نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري والتونسي 1881 – 1954 م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 2.

تقنين التجارة بين سوف وتونس(1)، إلا أنّ المبادلات التجارية استمرت، وغالبا ما كانت تعتمد على التهريب. وتتمثل طبيعة السلع المتبادلة في جلب : الشاي، والسكر، والأواني الطينية، مقابل تصدير : التبغ، والتمور(2).

ويمكننا أن نسجل أيضا العلاقات الاقتصادية من خلال العمالة الوافدة من المنطقة للعمل بمختلف الأقاليم التونسية؛ خاصة بلاد الجريد، ومناطق الفوسفات، وصولا لمدينة تونس. فالأوضاع الاقتصادية الصعبة التي شهدتها المنطقة، وقربها الجغرافي من تونس، جعلت من مهاجري سوف الجالية الجزائرية الأكبر في القطر التونسي، حيث قُدّر عددهم مثلا بمدينة تونس سنة 1339 هـ / 1921 م بـ 2668 شخص من أصل 8672 جزائري(3).

وبخصوص المهن التي اشتغل فيها مهاجرو سوف بمدينة تونس، فهي عديدة، لكن ما يميزها كونها مرهقة، في البناء، وكبائعي مياه، وعمال يوميين(4). أما الأقل بؤسا منهم فيشتغلون في سوق الحبوب كحمالين للحبوب(5)، وفي الحدادة(6). والقليل منهم من مارس تجارة التمور، والقماش، والحرير، وأغلبهم من سكان تاغزوت وكوينين(7).

أما في مناطق الجريد التونسي فاشتغل مهاجرو وادي سوف بالخصوص في مناجم الفوسفات بقفصة، ونفطة، والملتوي، والرديف، رغم ظروفها الصعبة جدا هي أيضا. وقد بلغ عدد العمال القادمين من سوف في المناجم الأربعة : الرديف، والمتلوي، وأم العرايس، والمظيلة سنة 1340 هـ / 1922 م 1204 عامل. وعندما أسست شركة الفوسفات بقفصة؛ استقدمت الكثير من العمال الجزائريين، وقد ظلت عمالة سوف إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية تشكل ¼ العمال، في المراكز الثلاثة التابعة لشركة فوسفات سفاقص – قفصة(8).

---

(1) André Voisin : op cit, p 243.

(2) عثمان زقب : علاقات وادي سوف بتونس وليبيا، المرجع السابق، ص 75.

(3) صالح لميش : المرجع السابق، ص 2.

(4) أبو بكر الصديق حميدي : **التواصل الاجتماعي والثقافي بين تونس ووادي سوف 1881 – 1954 م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 1.

(5) موسى بن موسى : **هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م ( وادي سوف أنموذجا )**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 18.

(6) Jamel Haggu : **les Algériens Originaires du Sud dans la ville de Tunis Pendant l'époque Coloniale ( 1881 – 1956 )**, Mémoire de DEA, ( M.N ), sous la direction de le Prof Habib Kazdaghli, Université de Manouba, Tunisie, 2003 – 2004, p 10.

(7) Marty .G : **Les Algériens à Tunis**, Revue I. B. L. A, N °43 et 44, Tunis, 11ème année, 3ème et 4ème trimestre 1948, p 316.

(8) عثمان زغب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 211.

## رابعا : الحياة الاجتماعية بوادي سوف وعلاقتها بتونس :

تميزت الحياة الاجتماعية بوادي سوف بأسس متشابكة العناصر، ذات أواصر سكانية متعددة، وفئات اجتماعية متوازية، وأنماط معيشية حضرية وبدوية اتسمت بالبساطة، مع بروز ظاهرة الهجرة داخل الوطن وخارجه.

### 1) بنية المجتمع المحلي :

#### أ) عناصر السكان :

كان غالبية سكان المنطقة ينتسبون إلى العنصر العربي(1)، من قبائل بني هلال وسليم، ويمكن أن نميز خلال القرن 13 هـ / 19 م أن المجتمع ينتمي إلى عرشين كبيرين هما : طرود، وعدوان، ومنهما تطورت التركيبة السكانية التالية :

* عرش طرود(2) : وقد توزع إلى قبيلتين هامتين عمرتا مدينة الوادي وضواحيها، وهما : الأعشاش، والمصاعبة.

* عرش عدوان(3) : سكنوا في البداية بالزقم(4)، ثم اختلطوا مع قبائل أخرى وارتبطوا مع بعض القرى المجاورة لهم، وتشكل منهم حينئذ : أولاد سعود، وسكان القرى والمدن الباقية، وأهمها : قمار، والدبيلة، والبهيمة(5)(6).

كما نجد اليهود الذين كان تواجدهم بالمنطقة منذ القديم، وبأعداد قليلة، واستقروا بمدينة الوادي، وقمار، والرقيبة(7).

#### ب) تقسيم السكان في المجتمع المحلي :

**– البدو :**

البداوة هي الحياة الأصلية للقبائل العربية التي سكنت المنطقة في أزمنة متفاوتة، وأهم ما يميزها :

– أن بعضهم يعيشون جزءا من السنة في الصحراء خارج الواحات مع قطعانهم، ثم يرجعون فترة جني التمور.

– وجود نوع آخر من البداوة يقوم على التنقل المحدود، وهم شبه رحل، حيث ينتقل بعض أفراد القبيلة بمعية

---

(1) سكن المنطقة قديما الأمازيغ، ومن أهم أسرهم : الستاتة، والجلايصة، وقد استعرب أغلبهم مع مرور الزمن. ينظر : إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص ص 289 – 290.

(2) عرش طرود : وينتمي في الأصل إلى طرود بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقد قدمت قبيلة طرود إلى وادي سوف سنة 690 هـ / 1290 م. ينظر : إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص 270.

(3) عرش عدوان : وينتمي في الأصل إلى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ودخلت قبيلة بني عدوان سوف في حدود سنة 600 هـ / 1204 م. ينظر : إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص ص 140، 270.

(4) الزقم : بلدة تقع شمال شرق مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 13 كلم.

(5) البهيمة : قرية تقع شرق مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 15 كلم.

(6) موسى بن موسى : الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف، المرجع السابق، ص 48.

(7) أحمد بن الطاهر منصوري : الدر المرصوف،ج2، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2011 م، ص 24.

خريطة لمدن وقرى وادي سوف ما بين سنتي 1299 – 1373 هـ / 1882 – 1954 م[1]

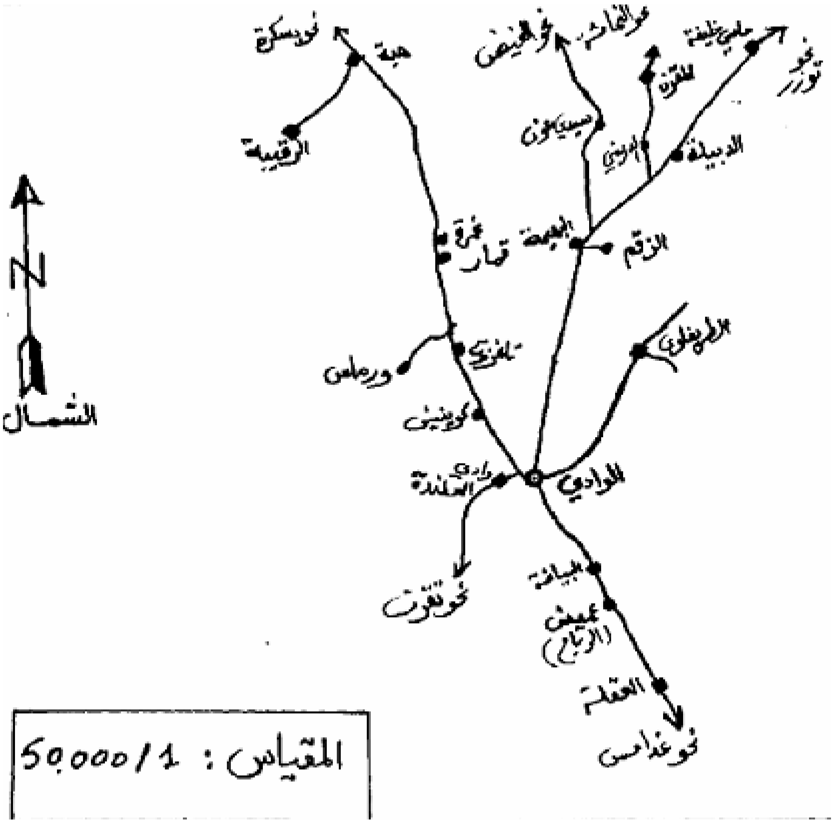


**مفتاح الخريطة :**

- ⊙ مدينة الوادي عاصمة منطقة وادي سوف.
- المدن والقرى التي أسست قبل سنة 1299 هـ / 1882 م.
- القرى التي نشأت وتطورت بعد سنة 1299 هـ / 1882 م.

---

[1] علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 281، و.Ahmed Najah : op cit, p 48؛ إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص ص 90 – 100.

قطعانهم، ثم يعودون إلى مناطقهم الأصلية؛ خاصة سنوات الجفاف(1).

**– الحضر :**

بعد استقرار القبائل الهلالية تكوّنت النواة الأولى للمنطقة، والتي ضمت في بداية القرن 14 هـ / أواخر القرن 19 م مدينتين هامتين هما : الوادي عاصمة الإقليم، وقمار، وتتجمع حولهما مجموعة من القرى القديمة منها : تكسبت(2)، وتاغزوت(3)، هذه الأخيرة شهدت انفجارا تبعته هجرة داخلية في إطار توسع زراعة النخيل، مما أدى إلى تكوين تجمعات حضرية جديدة مثل : الرقيبة، والدميثة(4).

كما ينقسم المجتمع الحضري إلى عدة فئات يمكن تحديدها استنادا لأعمالها، ومركزها الاجتماعي، ومكانتها السلطوية، والدينية، والاقتصادية، أهمها : فئة الحكام، وشيوخ العلم المسلمين، والتجار، والعمال، والعبيد(5).

**2) نمو السكان :**

من الصعب تحديد إحصاء لسكان المنطقة نظرا لعدة معطيات، أبرزها وجود البدو الرحل، ومع ذلك فالإحصائيات المتوفرة موضحة في الجدول التالي :

*** جدول تطور السكان في وادي سوف ( 1318 – 1355 هـ / 1900 – 1936 م )(6) :**

| السنوات | 1318 هـ / 1900 م | 1339 هـ / 1921 م | 1344 هـ / 1926 م | 1350 هـ / 1931 م | 1355 هـ / 1936 م |
|---|---|---|---|---|---|
| تعداد السكان | 32.700 | 61.140 | 63.814 | 67.891 | 78.476 |

الوحدة : نسمة

**3) المستوى المعيشي والصحي بوادي سوف :**

**أ) المستوى المعيشي :**

**– الغذاء :**

كانت المعيشة في سوف صعبة جدا وبسيطة، حيث عانت من تدهور مستوى الغذاء، ما دام أن المستعمر يسيطر على ثروات البلاد ويوجهها لخدمة اقتصاده. والمصدر الأساسي لمعيشة السكان كان من بيع التمور.

---

(1) موسى بن موسى : الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف، المرجع السابق، ص 49.

(2) تكسبت : قرية تقع شمال مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 3 كلم.

(3) علي غنابزية : أثر زراعة النخيل، المرجع السابق، ص 224.

(4) C. L. Bataillon : op cit, p p 47 – 48.

(5) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص ص 113 – 114.

(6) موسى بن موسى : المرجع السابق، ص 48، وعثمان زغب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 139.

– **البدو** : يرتكز أغلب غذائهم على تمر الغرس وحليب الإبل في فصل الصيف، والماعز في الفصول الأخرى، إضافة للحم، والطعام المصنوع من القمح والشعير، وبعض الخضر الجافة، وفي الليل أغلب قوتهم الكسكسي(1).

– **الحضر** : كان غذاؤهم بسيطا جدا، من أهمه : التمر، وحليب الماعز(2) والرضخة، والحساء، إضافة إلى الفواكه بأنواعها : كالبطيخ(3)، وكذا الكسكسي، واللحم الذي لا يستهلك إلا في المناسبات أو الاجتماعات العائلية(4).

– **اللباس** :

– **ملابس الرجال**، وأهمها في الشتاء : البرنوس، والقشابية، والقندورة، والعفان، وفي الصيف : قميص من القطن.

– **ملابس النساء**، وأهمها : الملحفة التي توضع على الكتفين، والحولي، والبخنوق(5)، إضافة لبعض المجوهرات.

– **السكن** :

– **مساكن البدو الرحل** : وكانوا يسكنون في الخيمة أو " بيت الشعر "(6).

– **المساكن الريفية** : يستخدمها شبه الرحل، والحضر، وأحيانا الرحل أيضا، من أهمها : دار الخزين، والزريبة، ودار الكاف، أو الكهف(7).

– **التجمعات السكانية المستقرة** : وهي مساكن ذات أبواب صغيرة تتجمع حول المسجد، وعلى أطرافه تنتشر وتتوسع البلدة(8).

**ب) المستوى الصحي** :

كانت الإمكانيات والرعاية الصحية في وادي سوف محدودة وغير كافية، حيث انتشرت بالمنطقة بعض الأمراض منها : أمراض العيون، وأمراض الجهاز الهضمي، والملاريا، والكوليرا(9)، والتي كان علاجها يتم بواسطة :

– **الطب الشعبي** :

كان علاج مختلف الأمراض العادية والحوادث الطارئة يتم من طرف أفراد الأسرة، أو بعض الشيوخ، أما

---

(1) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج1، ص 56.

(2) Ahmed Najah : op cit, p 98.

(3) موسى بن موسى : الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف، المرجع السابق، ص 52.

(4) André Voisin : op cit, p 119.

(5) بن سالم بن الطيب بالهادف : المرجع السابق، ص 172.

(6) علي غنابزية : أثر زراعة النخيل، المرجع السابق، ص 227.

(7) عبد العزيز حسونة : **جدلية العمارة والعمران بمنطقة وادي سوف**، الإنسان والعمارة، المرجع السابق، ص 243.

(8) André Voisin : op cit, p 109.

(9) إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص 241.

الحالات المستعصية فتستدعي مراجعة المختصين داخل القرية أو خارجها، واعتمدت أهم طرق العلاج على الوسائل التقليدية، مثل : الكي بالنار، والحجامة، والرقية، والأعشاب الطبية(1).

**– الطب الحديث :**

عند مجيء الفرنسيين إلى المنطقة، تم استقدام مجموعة من الأطباء مهمتهم علاج فرق القوات الفرنسية إلى جانب السكان. وفي سنة 1337 هـ / 1918 م تم تطبيق نظام جديد للصحة في الجنوب، أصبح من خلاله خاضعا في خدماته الصحية لمدير خاص لهذه المهمة. كما أنّه لم يكن في المنطقة حتى شوال 1349 هـ / مارس 1931 م سوى مصحة واحدة للأهالي بالوادي، لم تكن كافية لأن تستجيب للحاجات الصحية للسكان(2).

وأمام تفشي أمراض العيون وانتشارها الكبير، عملت إدارة الجنوب على فتح " بيوت العيون "، ووصل عددها سنة 1357 هـ / 1938 م إلى ثلاث بيوت في : قمار، وكوينين، والزقم، ويُسيّر كل منها ممرض(3).

**4) هجرة السكان :**

كان للخصوصيات الجغرافية لوادي سوف وأوضاعها الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية الصعبة، كونها منطقة معزولة في العرق الشرقي، محدودة الموارد، مع قلة المراكز والمدارس التعليمية، دور هام في بروز ظاهرة الهجرة بها لأسباب عدة، وقد عرفت هذه الأخيرة أشكالا مختلفة من حيث طبيعتها وعددها واتجاهاتها المختلفة، حيث كانت الهجرة فردية تارة، وجماعية تارة أخرى(4)، وغالبا ما تكون هجرة مؤقتة. فحركة الهجرة كانت نحو تونس، الوجهة الأولى لمهاجري وادي سوف(5)، والمناطق التلية، وبدرجة أقل وادي ريغ، وفرنسا، والمشرق العربي(6).

**4) العلاقات الاجتماعية بين وادي سوف وتونس :**

هناك عدة عوامل ساهمت في ربط وتمتين التواصل بين وادي سوف وتونس، وعلى رأسها القرب الجغرافي، والتواصل البشري، وما ينجر عنهما من مزايا أخرى، وأهم عصب فيه الموجة الكبيرة من مهاجري سوف في تونس، وما فرضته من تواجد وانتشار، وما نتج عن ذلك من تواصل اقتصادي، واجتماعي، وثقافي، وسياسي(7).

---

(1) موسى بن موسى : الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف، المرجع السابق، ص ص 55 – 56.

(2) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 148.

(3) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 317.

(4) محمد بوطيبي : **الهجرة الجزائرية نحو البلاد التونسية بين القرنين التاسع والعشرين 1830 – 1950 م ( الجنوب الشرقي الجزائري أنموذجا )**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 2.

(5) موسى بن موسى : هجرة الجزائريين إلى تونس، المرجع السابق، ص 17.

(6) عثمان زقب : المرجع السابق، ص 199.

(7) أبو بكر الصديق حميدي : المرجع السابق، ص 1.

إن هجرة سكان سوف إلى تونس قديمة؛ يمكن إرجاعها إلى القرن 12 هـ / 18 م(1). وتعد مدينة تونس الوجهة المفضلة، ومعظم المهاجرين كانوا إما طلبة لمواصلة تعليمهم في جامع الزيتونة، أو للعمل، وكذا صغار التجار. وفي الربع الأول من القرن 14 هـ / بداية القرن 20 م شدّت بعض العائلات المحلية الرحال إلى تونس، واستقرت هناك، خاصة في الجنوب التونسي(2).

والجدير بالذكر أن محمد حسين بن علي الجزائري، وهو أحد هؤلاء المهاجرين؛ وصل مكانة مرموقة، فكان الطبيب الخاص لمصطفى باي تونس سنة 1314 هـ / 1897 م(3).

كذلك هناك عائلات تونسية شدت الرحال إلى سوف، وصارت من أشهر العائلات المحلية، نذكر من بينهم : الشيخ سيدي المسعود الشابي ( ت 1028 هـ / 1619 م )(4)، الذي وفد من تونس إلى المنطقة بداية القرن 11 هـ / نهاية القرن 16 م(5).

وكان للطرق الصوفية في المنطقة دور في صنع هذه العلاقات الاجتماعية – الثقافية(6)، وخلق تواصل بين وادي سوف وبلاد الجريد التونسي. كما كان للعلاقات الأسرية والمصاهرة بين سكان المنطقتين منذ القديم، ولتشابه العادات والتقاليد النسبي، وكذا عامل اللهجة المتقاربة؛ دور في تمتين هذه العلاقات(7).

**وملخص الفصل**، أنّ منطقة وادي سوف تقع في العرق الشرقي الكبير من الجزائر، وتتميز بموقعها الجغرافي الهام، مما جعلها تلعب دورا بارزا من خلال التواصل الحضاري، والاجتماعي، والاقتصادي؛ أثناء الاحتلال، بين وادي سوف والأقاليم التونسية.

وقد شرعت فرنسا في تطبيق مخططاتها الاستعمارية لاحتلال مناطق الجنوب، ومنها منطقة سوف؛ وفق سياسة المراحل التي دامت أكثر من 40 سنة، انتهت سنة 1304 هـ / 1887 م عندما استقرت نهائيا بالمنطقة.

ومنذ الاحتلال عرفت المنطقة أوضاعا مغايرة لما كانت عليه، ففي الحياة السياسية حاولت السلطات الاستعمارية القضاء النهائي على كل محاولة تمرد، وهذا من خلال إقامة حاميات عسكرية في المنطقة، فتميز الوضع بالاستسلام للسياسة الفرنسية بسبب الحكم العسكري المستبد.

---

(1) أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 5، ص 9.

(2) الجيلاني حسان : المرجع السابق، ص 32.

(3) Jamal Haggui : op cit, p 81 – 154.

(4) العقون التجاني : **أعلام من ڤمار بوادي سوف**، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2013 م، ص 434.

(5) الجيلاني حسان : المرجع السابق، ص 19.

(6) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 255.

(7) عثمان زقب : نماذج من سياسة التقييد والرقابة، المرجع السابق، ص 5.

وعلى مستوى الوضع الإداري، حاولت السلطات الاستعمارية الاعتماد على نظام يُمكّنها من إحكام قبضتها على المنطقة، باعتبارها منطقة صحراوية مفتوحة. أما في القضاء، فقد غلب الطابع العسكري على النظام القضائي الفرنسي بمناطق الجنوب. كما أنه بعد استقرار الإدارة الفرنسية، تم تشكيل المحاكم الشرعية بصفة رسمية.

وفي ما يخص الحياة الاقتصادية بوادي سوف، فقد تبين لنا مدى الصعوبات الكبيرة التي واجهتها المنطقة؛ خاصة في النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م، مما جعلها تتسم بالبساطة، فارتبطت بالطبيعة ومتطلبات الفرد، والاستجابة ولو نسبيا لحاجاته المتزايدة، وقد ظهر اهتمام سكانها بالزراعة والتجارة على الخصوص.

كما كان لهذه الأوضاع الاقتصادية أبلغ الأثر على علاقتها مع تونس، فمع تزايد السكان، ومحدودية الموارد الاقتصادية، اضطر السكان إلى الهجرة نحو تونس، والتي كانت باستمرار متنفسا حقيقيا لاقتصاد المنطقة. وكذلك لعبت زراعة التبغ في المنطقة دورا في ازدهار هذه العلاقات، والتجارة أيضا، حيث استمرت المبادلات وخاصة مع بلاد الجريد؛ رغم تراجعها بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي الحياة الاجتماعية، نرى أن غالبية السكان ينتسبون إلى العنصر العربي، وينقسمون إلى بدو وحضر. وكانت المعيشة في سوف صعبة جدا وبسيطة، حيث عانت من تدهور مستوى الغذاء، وكانت التمور المصدر الأساسي لمعيشة السكان. كما أن الإمكانيات والرعاية الصحية محدودة وغير كافية، مع بروز ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية.

ونرى أن هناك عدة عوامل ساهمت في ربط وتمتين التواصل بين وادي سوف وتونس في هذا المجال، على رأسها القرب الجغرافي، والتواصل البشري، وما ينجر عنه من مزايا أخرى، وأهم عصب فيه الموجة الكبيرة من مهاجري وادي سوف في تونس، وما فرضته من تواجد وانتشار، وما نتج عن ذلك من تواصل اقتصادي، واجتماعي، وثقافي. كما كان للعلاقات الأسرية والمصاهرة بين سكان المنطقتين منذ القديم، ولتشابه العادات والتقاليد النسبي، وكذا عامل اللهجة المتقاربة؛ دور في تمتين هذه العلاقات.

# الفصل الأول : التعليم بوادي سوف

## أولا : التعليم العربي الإسلامي

## ثانيا : التعليم في المدارس الفرنسية

## ثالثا : دور علماء تونس في الحياة التعليمية بوادي سوف

# الفصل الأول : التعليم بوادي سوف

إنّ أهم مقصد تُعنى به الأمم هو تربية النشأ وتعليمهم. والتعليم بمختلف مراحله وأنواعه له الدور الهام في بعث وازدهار الشخصية القومية، ومقوماتها الثقافية، واللغوية، والتاريخية. ولم تكن منطقة وادي سوف استثناءا؛ فخلال فترة الاحتلال الفرنسي انتشر بها التعليم بأنواعه، حيث شهدت المنطقة خلال النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م، تعليما مزدوجا، عربيا إسلاميا ينطلق من مقومات المجتمع، أساسه التعليم القرآني في المساجد والمدارس القرآنية، والزوايا، والمدارس العربية، وآخر فرنسيا فرضته السلطات الاستعمارية.

## أولا : التعليم العربي الإسلامي :

كان يغلب على التعليم العربي الإسلامي بوادي سوف، تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس بعض العلوم الدينية واللغوية، حيث كان يتم ذلك في المساجد والزوايا عبر نشاط الفقهاء والعلماء(1)، وفي الكتاتيب أو المدارس القرآنية المنتسبة للأفراد أو الأسر، أو المدارس العربية الحرة.

وقد شهدت المراكز التعليمية بوادي سوف خلال الفترة الاستعمارية، تقدما ملحوظا من حيث ارتفاع عددها وتزايد مريديها، لما لعبته من دور هام في نشر الدين الإسلامي، والتعليم العربي، وكذا للمجهودات التي بذلها السكان في إنشائها وتطويرها والحفاظ عليها، لمدى معرفتهم بقيمتها ومكانتها، ولكونها وسيلة وأداة لا غنى عنها في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية، والصمود في وجه الاستعمار بمختلف أشكاله، والذي كانت لإداراته سياسة واضحة تجاه هذا التعليم العربي الإسلامي.

### 1) التعليم القرآني :

كان التعليم منتشرا في كامل أنحاء القطر الجزائري خلال القرنين 13 و14 هـ / 19 و20 م، خاصة التعليم القرآني الذي لقي رواجا واهتماما بوادي سوف، بفضل المؤدبين والمدرسين في المساجد والزوايا، وأكد على ذلك الشيخ حمزة بوكوشة ( 1325 – 1415 هـ / 1907 – 1994 م )(2) بقوله : «... والكلمة هي كيف كنا نتعلم القراءة والكتابة ونحفظ القرآن ونتعلم العلم حتى لا تكاد تجد بسوف أميا، لأن التعليم منتشر فيها انتشارا غريبا بفضل المؤدبين وبعض الزوايا... »(3).

---

(1) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 169.

(2) عاشوري قمعون : **العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة ( حمزة شنوف ) 1907 – 1994**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2012 م، ص ص 14، 164.

(3) علي غنابزية : **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر ( مجتمع وادي سوف أنموذجا )**، مجلة البحوث والدراسات، العدد الرابع، السنة الرابعة، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، محرم 1428 هـ / جانفي 2007 م، ص 72.

كانت مسألة تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم محل اهتمام الآباء في سوف، حتى أن المدارس القرآنية كانت تنتشر في كل مكان. ففي كل قرية أو حي، نجد على الأقل مدرسة أو اثنتين لتعليم القرآن، وبعض هذه المدارس تابعة للمساجد، وبعضها الآخر منفصل عنها. وكان تعليم الولد للقرآن يمثل شرفا للعائلة تتباهى به(1)، حتى لا يكاد يخلو بيت من بيوت المنطقة من حافظ للقرآن الكريم، أو لجزء منه على الأقل.

ورغم أنّ هذا النوع من التعليم كان في معظمه بدائيا، وعلى الطريقة التقليدية الموروثة منذ عدة قرون، فهو يقوم على بعض القواعد والأسس المتعارف عليها بين معلمي القرآن أو المؤدبين جيلا بعد جيل، وفق ما يقتضيه الزمان والمكان(2).

**أ) أهمية التعليم القرآني في مجتمع وادي سوف :**

بدأ الاهتمام بالتعليم القرآني في مجتمع وادي سوف منذ دخول الإسلام إلى المنطقة، فبدأ بسيطا ثم تطور مع الزمن، ويمكن تتبع مظاهر ذلك تاريخيا منذ القرن 11 هـ / 17 م كما يلي :

1) التعليم القرآني التلقيني : ويقوم به رجال التصوف، ويدعى أحدهم بالولي أو المرابط، مثل : الشيخ أحمد بن عبد الله اللجي الذي عاش في القرن 11 هـ / 17 م، والشيخ عباس الغريب بقرية جلهمة قرب تاغزوت، وكان يعلم القرآن للكبار في منزله، وهو على شكل زريبة، ويدعى العريش(3).

2) مساهمة الدعاة من خارج سوف : وخصوصا بلاد الجريد التونسي في دفع عجلة التعليم، مثلما فعل الشيخ سيدي المسعود الشابي، وابنه علي الشابي، وغيرهما من الدعاة فيما بعد. فضلا عن إرسال الطلبة إلى بلاد الجريد على شكل بعثات لإتقان الحفظ في زاوية سيدي المولدي بوعراقية، أو مسجد الفركوس بتوزر، قبل التوجه للدراسة بجامع الزيتونة(4).

3) بناء المساجد في القرى : وهذا مباشرة بعد استقرار الفلاحين بالقرب من الغواطين ( مزارع النخيل ). فأول مؤسسة يفكرون في تأسيسها هي المسجد لتعليم الصغار، وأداء العبادة. حيث كانت هذه المساجد المجال الأول للتعليم القرآني، واستطاعت أن تخرج العديد من حفاظ القرآن الكريم.

(1) Ahmed Najah : op cit, p 108.

(2) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 102.

(3) محمد العدواني : المصدر السابق، ص ص 111 – 125.

(4) علي غنابزية : **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر ( مجتمع وادي سوف أنموذجا )**، مجلة البحوث والدراسات، المرجع السابق، ص 69.

4) ظهور الطرق الصوفية وانتشارها في المنطقة : وهذا منذ بداية القرن 13 هـ / أواخر القرن 18 م، وكان لها دور مهم في تعليم القرآن الكريم، وبعض المبادئ العلمية، وأهم هذه الطرق : القادرية، والرحمانية، والتجانية(1).

5) تأسيس المدارس القرآنية المنتسبة لبعض العائلات والعروش : وازدهرت خلال القرن 14 هـ / أواخر القرن 19 م و20 م، في مدينة الوادي وضواحيها، مثل : مدرسة القروي 1307 هـ / 1890 م، ومدرسة جبيرات سنة 1321 هـ / 1904 م بحي الأعشاش. ومدارس أخرى جمعت بين التعليم القرآني وتعليم بعض المبادئ العلمية، ومنها : مدرسة سعدودي بحي المصاعبة التي أسست في حدود سنة 1318 هـ / 1901 م، والمدرسة القرآنية التابعة للمسجد العتيق بالنخلة، والتي أسست نواتها حوالي سنة 1334 هـ / 1916 م(2)، وحتى المدارس التي كان محورها الإصلاح، مثل : مدرسة الشيخ حسني الهاشمي بأولاد أحمد بالوادي سنة 1338 هـ / 1920 م(3).

وحسب التقرير السنوي لملحقة الوادي لسنة 1356 هـ / 1938 م، كان بوادي سوف 84 مدرسة حرة لتعليم القرآن الكريم، بها 1576 تلميذا، وكانت مرخصة لها بقرار من القائد العسكري(4).

وكان العنوان البارز والشعار الظاهر هو تعليم القرآن، لأن الاستعمار يريده أن يدرّس مجردا عن التفسير والشرح، حتى لا يساهم في بث الوعي في نفوس الناشئة، وعندما يحس بذلك الوعي يضيق على المعلم، أو يوقف نشاط المدرسة(5).

ولا يوجد طفل في المجتمع يتخلف عن القرآن، لأن في تعلمه شرفا كبيرا للعائلة التي يكون فيها طالب، أي حافظ للقرآن، فيحصل لهم الشرف في ليالي رمضان المبارك عندما يقدّم ابنهم لصلاة التراويح، وهذه الرغبة جعلت العادات والتقاليد تتفاعل مع حياة الصبي، فنجدهم يتفاءلون بمولده، ويدعون لبعضهم قائلين : « الله يجعله من حفّاظي القرآن ». وعندما يُختن الصبي يحتفظ " بالقلفة " فتدفن في زاوية برحاب المسجد تفاؤلا بالقرآن حتى ينشأ الطفل بالمسجد ويتربى على القرآن(6).

(1) علي غنابزية : **الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري في مدرسة النجاح بقمار**، العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي 1910 – 2003 م، تص : أ.د أبو القاسم سعد الله، إش وتن : أ. عادل محلو، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2005 م، ص 111.

(2) محمد الصالح بن علي : **الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح**، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2012 م، ص 71.

(3) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 113.

(4) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 170.

(5) علي غنابزية : **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية للحفاظ على الهوية الوطنية**، ج2، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2012 م، ص 12.

(6) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 70.

**ب) وضعية المعلم والتلميذ في المدرسة القرآنية ( الجامع ) :**

**1) المعلم** : أو مؤدب الصبيان، ويدعى " الطالب "، لأنه يطلب العلم والأجر من الله، ثم يصير معلما، ويسمى أيضا " نعم سيدي "، وهي كلمة نشأت بسبب احترام الصبيان للمعلم، فيقولون عندما يأمرهم بشيء نعم سيدي، ولما تكرر الاستعمال تطور اللفظ إلى مصطلح ينعت به المعلم من جميع الناس؛ صغارا وكبارا. وفي أغلب الأحيان يكون الطالب رجلا متطوعا أو شبه متطوع، يختاره أهل المنطقة لصلاحه وحفظه الجيد للقرآن الكريم، فيتولى شؤون المسجد، ويصلي بالجماعة إماما، ويعلم الصبيان القرآن، ويعمل في بقية وقته بالفلاحة أو التجارة، وإذا كان الطالب متفرغا للتعليم، يكون مورد رزقه ما يحمله إليه الأطفال أو آباؤهم من هدايا ومساعدات في مناسبات كثيرة ربطت بالتعليم ومراحله(1)، وهي :

– **الفتوح** : وهو شيء من التمر أو الطعام الذي يحمل إلى الكُتّاب عند دخول الطفل له أول مرة(2).

– **الختمة** : كلما حفظ الطفل سورا من القرآن الكريم يأتي بالختمة، وهي من الطعام غالبا، وتقدّم عند بلوغه لبعض السور المتعارف عليها، وأهمها : سورة الإخلاص، والأعلى، والنبأ، والرحمن، ويس، ويوسف، والبقرة(3).

– **الحضور** : حيث يحمل الأطفال لمعلمهم كل يوم ثلاثاء كمية من الحطب أثناء الشتاء؛ من أجل تجفيف الألواح بعد محوها، أو تدفئة مكان الحفظ، أو يحملها المعلم للاستفادة منها في الكثير من الشؤون الخاصة ببيته(4).

–**الربعية** : وهي مقدار من المال يدفعه الطفل المتعلم كل يوم أربعاء من كل أسبوع، ويختلف مقدارها حسب المستوى الاجتماعي، والاقتصادي لكل طفل.

– **لعبار واللحمة** : وهو شيء من القمح واللحم، يقدمّه الأولياء للطالب في بعض المواسم والأعياد الدينية، كليلة القدر، أو عاشوراء، أو المولد النبوي الشريف.

– **هدايا العيد** : وتقدّم في عيد الفطر، حيث يمنح المعلم بعض الألبسة، ويضاف إليها في عيد الأضحى مجموعة من الكسوة، وقندورة، وشاش، وكبش العيد؛ لأن الإمام هو قدوتهم في الصلاة وفي ذبح الأضحية.

– **هدايا الخريف** : يقدّم الصبيان في فصل الخريف لمعلمهم شيئا من التمر بعد قطع الغلة، وهذه الهدايا تخص العائلات الميسورة فقط(5).

---

(1) غنابزية علي : دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية، المرجع السابق، ج2، ص ص 13 – 14.

(2) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 100.

(3) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 71.

(4) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 100.

(5) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 72.

– **أجرة المعلم** : وهي أجرة شهرية من المال تخصص من الأسر الميسورة الحال لمعلم أطفالهم، وصارت معتمدة من طرف جماعة المسجد، تجمع كل شهر وتقدم للمعلم؛ خصوصا في النصف الثاني من القرن 14 هـ / 20 م.

وقد كان معلم القرآن ذا مكانة في المجتمع، وعند تلاميذه، فلا يستطيع أحدهم أن ينظر في وجهه هيبة منه واحتراما للقرآن الذي يحمله في صدره، وعندما يراه أحدهم في الشارع مقبلا يتحاشى مقابلته من شدة الحياء والخوف والمهابة التي أعطيت له من المجتمع، وإذا تهاون التلميذ في حفظ لوحه أو صدر منه تصرف سيء، يكون جزاؤه الجلد " بالفلاقة " على رجليه، وهذا ما جعل الأطفال يخافونه(1).

**2) التلميذ** : أقبل أهل سوف على تعليم أبنائهم القرآن الكريم بشغف ولهفة ومحبة، فإذا ظهرت علامات الإدراك وملامح الاستعداد عند الصبي يدخله والده إلى كُتّاب الحي، أو المدرسة القرآنية في الجامع القريب، أو الزاوية التي تنتمي إليها العائلة. فالأطفال الصغار يدخلون إلى الكُتّاب في 4 أو 5 من العمر(2). ويستغرق في المدرسة مدة تتراوح ما بين 5 إلى 8 سنوات، يتمكن خلالها من حفظ القرآن حفظا جيدا، مما جعل أعداد الحفاظ مرتفعا في تلك الأيام، وهذا ما أكده الشيخ حمزة بوكوشة بقوله : «... والكلمة هي كيف كنا نتعلم القراءة والكتابة ونحفظ القرآن ونتعلم العلم، حتى لا تكاد تجد بسوف أميا، لأن التعليم منتشر فيها انتشارا غريبا، بفضل المؤدبين وبعض الزوايا »(3).

كما عبرت على ذلك الكاتبة الفرنسية " سيللي ميللي " بقولها : «... وليس غريبا أن نجد واحدا من عشرة يحفظ القرآن كله، بينما في باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة خاصة بالطلبة وبعض الخواص بنسبة 1‰... »(4).

وكل طفل ينتمي لهذه المدرسة لا بد له من أدوات يستعملها في تعلمه، وهي :

– **المصحف** : وهو نسخة من القرآن الكريم، يراجع فيها التلميذ ما حفظه، وكانت مخطوطة في القديم.

– **اللوح** : فلكل طفل لوح من الخشب(5)، وأحسنه الذي يتخذ من شجر الزيتون المستورد من تونس، وهو أهم الأدوات لأن الكتابة تتم في سطحه الأملس، وهو يرافق التلميذ خلال فترة الدراسة بأكملها.

– **الطين** : وهو المادة التي يمحى بها حبر اللوح بعد حفظ ما فيه من القرآن، فيصير فارغا من الكتابة بعد جفافه.

---

(1) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 72.

(2) Ahmed Najah : op cit, p 109.

(3) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 72.

(4) J. Scelles Millie : **Contes Sahariens du Souf**, Maisonneuve et La Rose, Paris, 1964, p 24.

(5) Ahmed Najah : op cit, p 108.

– **الدواة** : وهي محبرة من مادة سوداء اللون تدعى " الصمغ "، والذي يحرق ويوضع في دواة ومعه شيء من الصوف والماء حتى يصير حبرا صالحا للكتابة.

– **القلم** : ويكتب به اللوح، وهو من قصب " الديس " الذي يسنّ من طرف التلميذ.

– **المخلاة** : وهي محفظة صغيرة من الصوف أو الكتان، يضع فيها التلميذ الأدوات السابقة الذكر(1).

وعندما يُتم الولد حفظ القرآن، يقام له احتفال؛ بأن يشتروا له ملابس جديدة، ويطاف به في البلدة لإشهاره بين الناس، غير أن الامتحان الحقيقي في سوف لحافظ القرآن، كانت إمامة المصلين في صلاة التراويح، بمعنى شهادة الناس على حفظه(2).

ثم إن ما يميز الوسائل المتوفرة في هذه المدارس القرآنية والمؤسسات التقليدية بسوف؛ أنها بسيطة للغاية، لعدم وجود أي أثاث أو تجهيزات، وإنما يجلس الجميع على الرمل، والقليل من كان يجلس فوق فراش بسيط، كالحصائر أثناء فصل الشتاء، وهي محدودة الانتشار، مما يوحي ببساطة هذا التعليم.

**ج) أعمال ومواقيت الدراسة اليومية :**

تستقبل المدرسة القرآنية طلبتها مع طلوع الفجر، وتم اختيار هذا الوقت لبركته، وتيمنا بالقرآن الكريم، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [ سورة الإسراء، الآية : 78 ]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » [ رواه أبو داود، والترمذيّ، وقال : حديث حسن ](3).

وكان بعض المعلمين ينصح التلاميذ بأن يكون أول كلامهم عند استيقاظهم من النوم، أن يردد ثلاث مرات النشيد التالي ليكون الله في عونه :

كلام قديم لا يمل سماعه ... تنزّه عن قول وفعل ونيّة
به أشتفي من كل داء ونوره ... دليل لقلبي عند جهلي وحيرتي
فيا رب متعني بسر حروفه ... ونوّر به قلبي وسمعي ومُقلتي
وسهّل عليّ حفظه ثم درسه ... بجاه النّبي والآل ثم الصحابة
عليه صلاة الله ما هبت الصبا ... وعلى آله الأخيار أزكى تحيتي

[1] André Voisin : op cit, p 190.

[2] عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 170.

[3] أبو زكرياء يحيى بن شرف النّووي : **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، مرا وتح : خليل الخطيب، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2010 م، ص 252.

صلاتك ربّي والسلام على النّبي    صلاة لها ريح من المسك أطيب[1]

وأول عمل يبدأ به الطلبة هو كتابة ألواحهم، وبعد تصحيحها من طرف المعلم يشرعون في قراءتها وتلاوتها عشرات المرات؛ بأصوات مسموعة، ويستمر الحفظ في الفترة الصباحية إلى منتصف الضحى حوالي الساعة العاشرة، وبعد أخذ قسط من الراحة في البيوت، يعودون في وقت الظهيرة لتبدأ الفترة المسائية، وتستمر في مرحلتها الأولى إلى وقت صلاة العصر، وتستأنف بعدها إلى وقت اصفرار الشمس، ثم يتم استعراض الألواح، وبعد حفظها تمحى لتكون جاهزة في اليوم الموالي، بينما يؤجل إلى الصباح كل تلميذ عجز عن استعراض نصيبه حتى يحفظ الآيات في اليوم الثاني، وتناله العقوبة في حال تهاونه[2].

وتكون الدراسة يوميا ما عدا مساء الأربعاء، ويوم الخميس بأكمله، وصباح الجمعة، وفي مسائه يستأنفون الدراسة. أما العطل فلا تكون إلا أيام الأعياد[3]، وخاصة في عيدي الفطر، والأضحى، الذي يحتفل فيهما طلبة القرآن برسم " خط العيد " وزخرفته بأشكال فنية وتلوينه بحجارة تلتقط من الأرض تسمى " المغرة "، تحرق وتخلط مع الخل ويزين بها الأطفال ألواحهم[4]، ثم يقول الأطفال مرددين : « خط العيد يا جديد يا حنان يا منان ربي يفتح علينا القرآن ». وفي أيام خط العيد وهي 12 يوما قبل العيد، وستة أيام بعده، يرفع اللوح فلا يكتب فيه أي شيء، وتخصص تلك الأيام للتكرار فقط[5].

**د) مناهج وطرق التعليم القرآني :**

يخضع التعليم في المساجد، والزوايا، والمدارس القرآنية في المجتمع المحلي إلى الطرق والمناهج التقليدية، التي تعتمد أسلوب التلقين والتكرار والتدرج مع التلاميذ من البسيط إلى المعقد، ومن السهل إلى الصعب، ومن المجمل إلى المفصل، مع مراعاة قدرات التلميذ، دون الاهتمام بفهم المعاني، لأن المقصود هو الحفظ فقط.

ولكن ضمن هذه المناهج تبرز الطرق التربوية الحديثة التي تعتمد على التمثيل بالشكل والصورة، مع ضرب الأمثلة انطلاقا من البيئة والوسط الذي يعيشه التلميذ، والتدريب على إتقان الخط والكتابة، والتمرس في فقه الرسم القرآني بكل حيثياته، ويقسم الطلبة إلى مستويين هما[6] :

---

[1] علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 74.

[2] علي غنابزية : دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية، المرجع السابق، ج2، ص 17.

[3] Ahmed Najah : op cit, p 109.

[4] إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص 43.

[5] علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 151.

[6] علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 75.

**1) المستوى الأدنى** : ويضم التلاميذ في المرحلة الأولى، أين يتم تلقينهم الحروف العربية، ويشرف عليهم المعلم بنفسه أو يختار لهم مساعدا من تلاميذه النجباء، ويتدرج بهم بتأن كبير، وصبر طويل، كما يلي :

**أ) تحفيظهم الحروف الهجائية** : وتدعى " آليف " نسبة إلى أول حرف، وهو الألف، فيحفظونها حرفا حرفا، مع احترام الترتيب، وحتى يتمكن هؤلاء الصغار من التمييز بين هذه الحروف، يربطها لهم المعلم بصور وأشكال توافق الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، وهي طريقة تشبه الصور التي توضع في الكتب المدرسية العصرية، فيشبِّه لهم حرف الألف بالعصا، والدال التي تكتب بطريقة ملتوية إلى أعلى وأسفل بالجناحين، والهاء التي بها حلقتان يشبهها لهم بالبطنين(1).

**ب) لفت الانتباه إلى تنقيط الحروف** : بعد التعرف على شكل الحرف يلفت انتباههم إلى النقط التي توجد فوق الحرف أو أسفل منه، أو الإشارة إلى انعدام النقط تماما، وتسمى هذه المرحلة باسم " أليف لا شي عليها "، فيقولون : « أليف لا شي عليها، والبا واحدة ماسْفل ( أي نقطة واحدة من أسفل )، والتا اثنين من فوق... ، وهكذا حتى يصل إلى آخرها فيقول : واليا اثنين ماسفل والهمزه فوق السطر، وبالله التوفيق... »(2).

**ج) تعليم الحركات على الحروف** : وهي على خمس مراحل :

– **الفتحة** : وتسمى النصبة، وتدعى آنصب، فيقولون : « آنصب، بانصب، تانصب، جانصب... ».

– **الضمة** : وتسمى الرفعة، وتدعى أورفع، فيقولون : « أورفع، بورفع، تورفع، جورفع... ».

– **الكسرة** : وتسمى الخفضة وتدعى إخفض، فيقولون : « إخفض، بيخفض، تيخفض، كيخفض... ».

– **السكون** : وتسمى الوقفة وتدعى أأقفْ، فيقولون : « أأقف، أبقف، أتقف، أدقف... ».

– وتجمع كلها مرة واحدة ويقرأ كل حرف بالحركات الأربع(3)، فيقولون : « أليف بالنصب أَ، بالرفعة أُ، بالخفضة إِ، بالوقفة أْ...، والعين بالنصبة عَ، بالرفعة عُ، بالخفضة عِ، بالوقفة عْ... ».

وبعد تعلم الصبي الأحرف الهجائية يربطها له المعلم بنماذج من الحكم، أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو الأحكام الشرعية، والتي تختار وفق الحرف الهجائي الأول، مثلما فعل الطالب الشيخ علي بالمم القماري ( 1888 – 1973 م )(4) في مسجد بيت الشريعة، فقال لهم مثلا(5) :

---

(1) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 151.

(2) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 76.

(3) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 151.

(4) التجاني العقون : المرجع السابق، ص 275.

(5) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 76.

– **حرف أليف** : التقى رأس كل حكمة ( وهي إحدى الحكم، ويوجد حرف الألف في بداية كلمة التقى ).

– **حرف الخاء** : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ( وهو حديث شريف رواه البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ).

وبعد إتقان الأحرف الأبجدية، يبدأ في تعليمه سورة الفاتحة وما يليها من قصار السور، حتى يتعود على القراءة ويتدرب على الكتابة، وحينئذ ينتقل إلى المستوى الأعلى(1).

2) **المستوى الأعلى** : وهو يضم التلاميذ الكبار عموما، والذين يتجمعون في الصباح الباكر على شكل حلقة يتصدرها المعلم، فيبدأ في الإملاء على الجميع من اليمين بالتدرج والترتيب، ويكتفي التلميذ فقط بذكر رأس اللوح ( وهو بداية الآية التي ختم بها اللوح السابق )(2). فيقول الأول مثلا، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ... ﴾، فيمل عليه المعلم الشطر الموالي، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [ سورة الزّمر، الآية : 71 ].

ويقول الثاني، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾، فيكمل له المعلم، قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ... ﴾ [ سورة النّور، الآية : 35 ].

وهكذا يستمر المعلم في تلقين وإملاء الآيات، وعند الإتمام، يقرأ كل واحد اللوح على المعلم، فيصحح له أخطاء النطق والكتابة. ثم تبدأ عملية الحفظ صباحا ومساء، كل تلميذ يقرأ بشكل مسموع. أما عملية الاستظهار أمام المعلم فتتم في المساء، وكل تلميذ حفظ لوحه يسمح له قبل الخروج بمحوِهِ، حتى يكون جاهزا لليوم الموالي(3).

وعند تقدّم التلميذ في الحفظ، يعلّمه المعلم بعض أحكام المتشابهات من المنظومات المشهورة، وهي كتب مخطوطة في كيفية رسم القرآن، منها : الدنفاسي، والمصباحي، والمحمولي(4).

**هـ) طرق المراجعة :**

تعددت وتنوعت طرق المراجعة في هذه المرحلة التاريخية، ومنها :

1) **المراجعة الفردية** : ويقوم بها كل طفل في البيت أو الجامع.

---

(1) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 77.

(2) علي غنابزية : دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية، المرجع السابق، ج2، ص 20.

(3) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 77.

(4) علي غنابزية : دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية، المرجع السابق، ج2، ص 21.

**2) المراجعة على مسمع المعلم** : ويدعى التكرار، وهو نوع من الاستظهار، يقوم به التلميذ مع معلمه، وخاصة عندما يعين للصلاة بالجماعة صلاة التراويح.

**3) المراجعة الجماعية** : وتكون تحت إشراف المعلم في وقت مبكر، أو ما بين المغرب والعشاء.

**4) الحزب الراتب** : ويتم في المساجد، ويختم القرآن تكرارا خلال الشهر القمري(1).

**و) دور المساجد في التعليم القرآني :**

ارتبط تشييد المساجد بالحياة الدينية في المجتمع المحلي، وبتطور الحياة الفكرية، ورسوخ المبادئ الدينية منذ قرون بعيدة. فنشطت حركة بناء وتعمير المساجد على يد شيوخ الشابية منذ بداية القرن 11 هـ / 17 م، بعد زيارة الشيخ محمد المسعود الشابي إلى سوف. ثم انتشر تشييد المساجد حتى وصل عددها في بداية القرن 13 هـ / نهاية القرن 18 م حوالي 20 مسجدا في سوف بأكملها. وكانت هذه المساجد بسيطة في بنائها وشكلها ومرافقها، واستمر تشييدها خلال القرن 13 هـ / 19 م بشكل كبير، حتى بلغ نحو 16 مسجدا في هذا القرن، نصفها في مدينة الوادي، والأخرى متناثرة في عدة قرى، وتحتل مدينة قمار المرتبة الثانية بنحو أربعة مساجد، وقد تضاعف هذا العدد خلال القرن 14 هـ / النصف الأول من القرن 20 م(2).

إن بناء المساجد وإقامتها كان على صلة وثيقة بالتهيئة العمرانية في القرى الجديدة، مثلما نلاحظه في قرية ورماس التي بُني مسجدها في حدود سنة 1266 هـ / 1850 م(3)، والذي يعتبر تاريخا تقريبيا يحدد من خلاله زمن نشأة تلك القرية، وقد أشار إلى ذلك الرحالة ديفيرير ( Duveyrier ) لما مر بسوف سنة 1276 هـ / 1860 م، أنه وجد منازل قليلة السكان ببلدة ورماس(4).

كما ارتبط بناء بعض هذه المساجد بالطرق الصوفية، التي أقامت في نطاق زواياها مساجد للصلاة والذكر وقراءة القرآن الكريم، وهي عديدة، منها :

- مسجد زاوية الشيخ محمد الإمام بالرباح التابع للطريقة القادرية.
- مسجد الشيخ الهاشمي الشريف بزاوية البياضة التابع للطريقة القادرية.
- مسجد الزاوية التجانية بقمار، والذي بناه الشيخ محمد العيد التماسيني سنة 1260 هـ / 1845 م(5).

(1) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 78.

(2) C. L. Bataillon : op cit, p 68.

(3) André Voisin : op cit, p 56.

(4) C. L. Bataillon : op cit, p 45.

(5) محمد الطاهر التليلي : المصدر السابق، ص 43.

– مسجد سيدي سالم بالزاوية الرحمانية العزوزية بالوادي، والذي بني حوالي سنة 1245 هـ / 1830 م[1].

– مسجد سي سعيد مقدم الطريقة الرحمانية العزوزية بقمار[2].

وحظي المسجد العتيق في كل بلدة من مدن وقرى سوف؛ بالمكانة الهامة المميزة له عن غيره من مساجد البلدة، من ناحية إقبال المصلين الذين يفضلون الصلاة فيه، لأنه أقدم المساجد وأكثرها بركة في نظرهم، كما أن الفقه الإسلامي حث على عدم إقامة صلاة الجمعة في غير المسجد العتيق، إلا إذا ضاق هذا الأخير بالمصلين، ولكن ذلك لم يمنع من تشييد مساجد بالقرب من المسجد العتيق بدافع التعصب، والذي غذته الطرق الصوفية فيما بعد، مثلما وقع في مدينة الوادي وغيرها من القرى المحلية[3].

وقد تحكمت عدة عوامل في تشييد المساجد في وادي سوف خاصة في القرن 14 هـ / 20 م، من أهمها :

– الحماس الديني لدى السكان وتمسكهم بالدين الإسلامي.

– الرغبة الصادقة والنية في الحصول على الأجر.

– التنافس بين الطرق الصوفية[4].

وكان جل هذه المساجد عامرا بالقرآن الكريم، تدريسا للصغار أثناء النهار وطرفٍ من الليل، ومراجعة من قبل الكبار، إذ يقام في كل مسجد " الحزب "، أو اجتماع مجموعة من رواد المسجد على مدار السنة، وقراءة القرآن يوميا جماعيا بمعدل حزبين، وخلال كل شهر قمري يختم القرآن تلاوة مرة واحدة[5].

كما كان يتم بها تدريس العلوم الشرعية من قبل الأئمة وكبار العلماء بالمنطقة، خاصة الفقه الإسلامي، وعلوم القرآن، والسير، والحديث النبوي الشريف. وكذا تقام بها الاحتفالات الدينية في الأعياد المعروفة، بترديد المدائح، وقراءة الشعر، وإلقاء الكلمات، وفي مختلف الأوقات الأخرى تكون مقصدا لبعض الشيوخ لأداء صلاة الجماعة والجمعة[6].

ومن أهم المساجد التي لعبت دورا كبيرا في نشر التعليم العربي الإسلامي في سوف ما يلي :

---

(1) مصطفى سالمي : **الدر المصفى من تقاييد الشيخ سالمي مصطفى**، مخ، رتب مادته وصنفه وعلق عليه : علي غنابزية، الجزائر، أوت 1999 م – سبتمبر 2001 م، ص 16.

(2) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص 50.

(3) نفسه، ص ص 50 – 51.

(4) موسى بن موسى : **إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف في مطلع القرن 20 م – قمار نموذجا –**، العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 42.

(5) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 175.

(6) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص ص 51 – 52.

**1) مساجد الوادي :**

**– جـامـع سيدي المسعـود العتيـق** : يقـع وسط مدينـة الوادي، أسسه الشيخ سيدي المسعود الشابي حوالي سنة 1008 هـ / 1600 م(1).

**– جامع سيدي سالم** : وبني بعد إتمام بناء الزاوية الرحمانية العزوزية بالوادي سنة 1245 هـ / 1830 م(2).

**– مسجد سيدي عبد القادر** : وبني سنة 1224 هـ / 1810 م(3).

**2) مساجد قمار :**

**– مسجد سيدي المسعود الشابي** : يقع شرق مدينة قمار، أسس بإشارة من الشيخ المسعود الشابي في سنة 1005 هـ / 1597 م(4).

**– مسجد بيت الشريعة** : أسسه أحمد بن علي الشابي سنة 1085 هـ / 1674 م، ثم جدد سنة 1288 هـ / 1871 م(5)، وآخرها كان سنة 1394 هـ / 1974 م(6).

**– مسجد سيدي إبراهيم** : أسسه إبراهيم بن سعد الشارف سنة 1185 هـ / 1771 م(7).

**– مسجد العمامرة** : أسسه خليفة بن عبد الله بن العماري سنة 1296 هـ / 1878 م(8).

**3) مساجد الزقم :**

**– مسجد الشيخ العدواني** : ويعود تاريخ تأسيسه إلى حوالي سنة 1599 م، وقد نسب إلى الرحالة المتصوف والمؤرخ محمد بن عمر العدواني الرحماني، الذي قام بتجديد وترميم المسجد فسمّي باسمه، ويقال أنه أول مسجد أسس بمنطقة سوف وأقدمها(9).

---

(1) André Voisin : op cit, p 118.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 175.

(3) مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 16.

(4) نفسه، ص 15.

(5) محمد الطاهر التليلي : المصدر السابق، ص 42.

(6) عبد العزيز حسونه : **عمارة مدينة قمار بمنطقة وادي سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية وعمرانية**، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ( د، س، ن )، ص 67.

(7) محمد الطاهر التليلي : المصدر السابق، ص 42.

(8) محمد الطاهر التليلي: **من تاريخ سوف**، مخ، مكتبته المنزلية، قمار، الوادي، الجزائر، ص 68.

(9) مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 15.

**4) مساجد كوينين :**

– **المسجد العتيق أو مسجد الثلمود** ( **الجماعة** ) : بني سنة 1043 هـ / 1634 م[1].

– **المسجد القبلاوي** : ويسمى بمسجد لخوان، أقامه إخوان الطريقة الرحمانية العزوزية سنة 1206 هـ / 1792 م[2].

**9) مساجد حاسي خليفة :**

– **مسجد الشرقية** : وهو أول مسجد بني في هذه البلدة، كان ذلك سنة 1322 هـ / 1905 م.

– **مسجد الهمايسة** : وبني في سنة 1347 هـ / 1928 م، من طرف الصغير بن محمد هميسي وأخويه حميد، وأحميمة[3].

وهكذا كانت المساجد أهم مؤسسة في المجتمع المحلي خلال القرن 14 هـ / 19 م والنصف الأول من القرن 20 م، لاستقطابها كل فئات المجتمع، واحتضانها التعليم العربي الإسلامي، ومختلف النشاطات الثقافية والدينية.

ويعود انتشار القرآن الكريم حفظا وإتقانا في وادي سوف خلال هذا العهد إلى عدة عوامل أهمها :

– المكانة التي يتمتع بها معلم القرآن وهيبته في المجتمع، وتقديره واحترامه من طرف الجميع؛ وخاصة الأولياء[4].

– حرص الأولياء الشديد واعتزازهم بحفظ ابنهم للقرآن الكريم، فيكون محل افتخار العائلة في شهر رمضان عندما يؤم بالناس في صلاة التراويح، ولذلك يتعاون الأب مع المؤدب، ويسأل عن ابنه ولو كان غائبا خارج المنطقة، في أي جزء من القرآن هي سورته. وعندما يحفظ الطفل القرآن الكريم عن ظهر قلب، تقام له وليمة يدعى إليها أصدقاؤه في الكتّاب، كما يتجول به فوق بغل في أرجاء القرية[5].

– إن حفظ القرآن الكريم يجعل الطفل يتعلم القراءة والكتابة، ويوفر له فرصة لمواصلة الدراسة خارج المنطقة، فيرحل إلى جامع الزيتونة بالخصوص، لمواصلة التعليم الثانوي أو العالي[6].

---

(1) مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 16.

(2) André Voisin : op cit, p 55.

(3) محمد البشير تامة : **حاسي خليفة تاريخا وثقافة واجتماعا بلدة رجل القرآن سي لمين غمام**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2012 م، ص ص 39 – 42.

(4) علي غنابزية : دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 78.

(5) André Voisin : op cit, p 190.

(6) Ahmed Najah : op cit, p 109.

ومما يلاحظ في تحفيظ القرآن بسوف غياب العنصر النسوي لأسباب دينية؛ إلا نادرا، على أساس أن خروج المرأة خارج البيت في وادي سوف من الممنوعات؛ إلا للضرورة بسبب النمط المحافظ للمنطقة(1).

**2) التعليم في المدارس العربية :**

وهي المدارس التي جددت في الوسائل والمناهج والمواد الدراسية باللغة العربية، فأطلق عليها العصرية لمخالفتها الطرق التقليدية، واستقطبت جل فئات المجتمع. ونظرا للحكم العسكري المستبد، فإنها لم تسلم من المضايقة والمراقبة المستمرة، لأنها تنافس المدارس الرسمية الفرنسية، وتبث الوعي الوطني، وتربّي الناشئة على القيم العربية الإسلامية، وأبرزها :

**أ) مدرسة الوادي العصرية :**

أسسها الشيخ عبد العزيز الشريف بالزاوية القادرية بالوادي، بعد انتمائه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فاستقدم لها أساتذة أكفاء، أمثال : الشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ علي بن سعد خيران، المعروفين بغزارة علمهما وبراعتهما في ميدان التعليم والإرشاد(2). وكانت الدراسة في أقسام ومناضد معدة، وسبورة، وهي وسائل حديثة. ويتلقى الصبيان مختلف العلوم من فقه، وحديث، وسيرة، فضلا عن المعارف اللغوية والأدبية، ولكن هذه المدرسة أجهض نشاطها بعد اعتقال شيوخها وإيداع بعضهم سجن الكدية بقسنطينة سنة 1356 هـ / 1938 م(3).

**ب) مدرسة النجاح الحرة بقمار :**

تم تأسيسها من طرف الجمعية المحلية التي عرفت بجمعية الإصلاح في الخمسينيات من القرن 14 هـ / أواخر الثلاثينات من القرن 20 م، وأعضاؤها من أعيان قمار، وكُلّف بإدارتها الشيخ محمد الطاهر التليلي ( 1328 – 1424 هـ / 1910 – 2003 م )(4)، رفقة ثلة من العلماء والمدرسين، من أهمهم : الشيخ سعداني محمود، وسعداني عبد العزيز، والشيخ محمد التركي. وتعتبر هذه الأخيرة إحدى المدارس النموذجية بوادي سوف خلال تلك الفترة، وحاولت أن تكون جامعة لأطراف المجتمع بكل أطيافه، فاستطاعت أن تكون منارة للعلم، أضحت خلالها قمار صرحا للثقافة الأصيلة أثناء العهد الاستعماري(5)، كما عملت المدرسة على

---

(1) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 170.

(2) إبراهيم مياسي : جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف، المرجع السابق، ص ص 175 – 176.

(3) علي غنابزية : الشيخ محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 115.

(4) إبراهيم رحماني : **الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2011 م، ص ص 15، 45.

(5) علي غنابزية : المرجع السابق، ص ص 115 – 119.

غرس الروح الوطنية، وإثارة النخوة العربية الأصيلة لدى أبناء المنطقة(1).

**ج) مدرسة الشعب بالبياضة :**

أسسها الشيخ أحمد بن محمد العيد التجاني ( 1318 – 1376 هـ /1901 – 1957 م )(2) بمساعدة السكان، وكان ذلك في حدود الخمسينيات من القرن 14 هـ / الثلاثينيات من القرن 20 م، ومن أساتذتها : الشيخ محمد بن محمد العيد التجاني، وعمار بوصبيع بن العايش. وكانت هذه المدرسة مركزا لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، مع بعض التوجيهات والأناشيد التي كانت تُلقن للتلاميذ(3).

**د) مدرسة الشيخ الإمام الشريف بالرباح :**

أسسها الأخير في زاويته سنة 1313 هـ / 1896 م(4)، واستقدم لها مدرسين متخرجين من جامع الزيتونة، منهم : محمد بن حمد لغريبي، وعلي بن سعيد.

**3) السياسة الاستعمارية وأثرها على التعليم العربي الإسلامي بوادي سوف :**

بدأت السياسة التعليمية الفرنسية تتشكل في الجزائر بموجب مرسوم 6 ربيع الثاني 1300 هـ / 13 فيفري 1883 م، الذي ألزم السلطات المحلية بتأسيس مدارس للأطفال الأوربيين والأهالي على حد سواء، مع إثبات مبدأ إجبارية التعليم(5).

وقد بنت الإدارة الفرنسية سياستها التعليمية منذ البداية مستهدفة القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومحو الشخصية الوطنية. وحينئذ تحملت الزوايا والمساجد والمدارس العربية الحرة مهمة المحافظة عليها في المجتمع الجزائري، وعلى هذا الأساس كان موقف الإدارة الفرنسية من الزوايا والمساجد والمدارس وكل القائمين عليها موقفا عدائيا، تجلى ذلك في شنّ حرب عليها، ويمكن تتبع مظاهره فيما يلي :

**أ)** تشديد الرقابة على المدارس الحرة والتضييق عليها، وإخضاعها لرقابة وتفتيش السلطات الاستعمارية، بناء على إصدار القوانين والمراسيم، مثل : قانون 2 صفر 1304 هـ / 30 أكتوبر 1886 م، ومرسوم 23 ربيع الثاني 1304 هـ / 18 جانفي 1887 م، ومرسوم محرم 1357 هـ / مارس 1938 م، وكذا متابعة المناهج التي تُدرّس داخل هذه المدارس، والتضييق على المدرسين بها(6). كما أغلق بعضها قصد الحد من توسعها وعرقلة

(1) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 118.

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 64 – 65.

(3) سعد العمامرة والجيلاني العوامر : **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، الجزائر، ( د، س، ن )، ص 81.

(4) محمد الصالح بن علي : المرجع السابق، ص 32.

(5) عبد القادر حلوش : **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2013 م، ص 141.

(6) نفسه، ص 193.

نشاطها؛ خاصة بعد ظهور تأثيرها الفعّال على حياة السكان، الذين وجدوا فيها متنفسهم لتعلم لغتهم العربية والتفقه في دينهم الإسلامي(1)، وكذا مساهمتها في الوعي الوطني.

وما يلاحظ أنّ موقف الإدارة الفرنسية من هذه المدارس لم يكن إداريا فحسب، ولكن حمل بعدا سياسيا أيضا، فلم تغلق لأنّها لم تستوف الشروط اللازمة، أو لوقوعها في أماكن غير صالحة، بل وتحاربها نكاية في اللغة العربية وحقدا عن الإسلام وأهله، مثل ما وقع للمدرسة العصرية بالوادي، فبسبب نجاحها في تفعيل الحركة العلمية والفكرية بالمنطقة، حاولت السلطات الاستعمارية هدمها عن طريق أعوانها(2).

كما أقدمت السلطات الاستعمارية على غلق مدرسة النجاح بقمار سنة 1359 هـ / 1940 م.

**ب)** محاولة صد التلاميذ عن هذه المدارس لتقليل عددهم، وترهيبهم من الالتحاق بها؛ من خلال أعوانها الذين سربوا الإشاعات، مثلما حدث بالمدرسة العصرية؛ وذلك بأنّ التلاميذ الذين يزاولون تعليمهم في هذه المدرسة، وبهذه الطريقة العصرية داخل أقسام، وعلى المقاعد والمناضد، سيمسخهم الله إلى قرود، وقد انتظر بعض الأطفال الفضوليين ذلك من وراء نوافذ الأقسام، لأن بعض الناس كانوا لا يرون التعليم والإسلام إلا في الطرقية(3).

**ج)** الترغيب في الالتحاق بالمدرسة الفرنسية والتعلم فيها، فبالرغم من انقطاع التلاميذ عن هذه الأخيرة لمدة، كانت ترسل لهم من يعمل على إعادتهم ومحاولة إرجاعهم لهذه المؤسسة، وذلك بأن توفر المدرسة لهم كل ما يحتاجونه من : لباس، وطعام، ونظافة، وتربية، وربما ببعض الإغراءات الأخرى كالذهاب بهم نحو فرنسا.

**د)** تعليم اللغة الفرنسية للسكان، حيث رتبت في قمة سلم الاهتمامات لدى الإدارة الفرنسية، لأنها الأداة الأساسية التي تتسلل منها الثقافة الفرنسية إلى المجتمع لمواجهة قيمه الحضارية، وإحلال اللغة الفرنسية موقع اللغة العربية، وإضعاف شأنها بين السكان، وحينئذ ضاعفت عدد المدارس والأقسام، مع مراعاة إمكانيات المنطقة(4).

**هـ)** التضييق على النشاط بالمساجد التي كانت تمثل الروح النابضة بالحياة في المجتمع، والمؤسسة المحورية التي توجه أفكار السكان، وتعمق المعاني الدينية الأصيلة، حيث يخضع المدرس ( الإمام ) إلى الرقابة المستمرة من طرف الإدارة الاستعمارية، التي تكتب التقارير المتتابعة في هذا الشأن، فيسمح له مثلا بتدريس الفقه، والتوحيد، واللغة فقط، وتمنع بعض الأبواب الفقهية(5) التي تساهم في رفع الروح المعنوية، وتُعمق روح المقاومة والجهاد، وإذا تغافل عن ذلك يُنبّه، وأحيانا يتعرض للعقوبة، مثلما حدث للشيخ الميداني موساوي ( 1313 – 1375 هـ / 1896

---

(1) عبد القادر حلوش : المرجع السابق، ص 191.

(2) إبراهيم مياسي : جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف، المرجع السابق، ص 176.

(3) نفسه، ص 176.

(4) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص ص 107 – 108.

(5) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 3، ص ص 59 – 69.

– 1956 م )(1) أثناء تدريسه الفقه بالمسجد العتيق بالوادي، ولما وصل إلى آخر الدرس ذكّر للمصلين كعادته بالدرس الموالي، فقال : غدا نبدأ باب الجهاد، فتلقفها الترجمان المكلف بمراقبة المسجد، ونقلها إلى الحاكم العسكري، فاضطر الشيخ أن يتغيب في اليوم الموالي متحججا بالمرض، بعد أن حذرته السلطات الفرنسية مما يريد الإقدام عليه(2).

وكانت الرقابة تشمل تعليم القرآن الكريم أيضا، فقد خشي الفرنسيون من خطر معانيه، فلم تسمح بتفسير آياته التي تنير الأفكار، وتدفع إلى المقاومة، وحتى التعليم القرآني في المساجد كان لا يتم إلا برخصة من الحاكم العسكري بتقرت، مثلما حدث لمسجد سيدي عبد الرزاق بحي المصاعبة بالوادي، أين منح لمعلمه الطالب الساسي بن علي بن سالم ترخيصا بالتعليم القرآني في المسجد المذكور، من حاكم تقرت الضابط تيكسيير ( Texeier )، يوم 1 صفر 1355 هـ / 22 أفريل 1936 م(3).

و) إخضاع المدارس القرآنية وفقا لقانون 2 صفر 1304 هـ / 30 أكتوبر 1886 م، ومرسوم 21 ربيع الأول 1305 هـ / 6 ديسمبر 1887 م؛ إلى رقابة وتفتيش شديدين من السلطات الفرنسية، وتخص هذه الرقابة بالدرجة الأولى معرفة الانتماء السياسي للقائمين عليها(4).

## ثانيا : التعليم في المدارس الفرنسية :

بعد استقرار الإدارة الفرنسية بوادي سوف، عملت على فتح أول مدرسة فرنسية بمدينة الوادي سنة 1303 هـ / 1885 م، وسميت مدرسة الأهالي بالوادي(5)، وكانت بأربعة أقسام، وقد استقبلت أول فوج من التلاميذ في الموسم الدراسي 1304 – 1305 هـ / 1886 – 1887 م، وتم تعيين أول معلم فرنسي بها، وهو قري تيودور سيلا ( Gry Théodor Sylla ) في 5 صفر 1304 هـ / 2 نوفمبر 1886 م. أما أول معلم جزائري فهو عبد القادر بن الطالب السعيد من تقرت، وكان حاصلا على الشهادة الابتدائية، وتم تعيينه في 8 ذي القعدة 1317 هـ / 9 مارس 1900 م، ولكنه طرد من منصبه قبل تمام الموسم الدراسي في 8 رجب 1318 هـ / 31 أكتوبر 1900 م لأسباب تبقى مجهولة(6).

(1) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 59 – 60.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 113.

(3) نفسه، ص 113.

(4) عبد القادر حلوش : المرجع السابق، ص 191.

(5) Ahmed Najah : op cit, p 109.

(6) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص 57.

ولم يتجاوز عدد تلاميذ فوج الموسم الدراسي الأول الثمانية، جل أوليائهم يشتغلون في الإدارة الاستعمارية، ثم وصل عددهم في الموسم الدراسي 1307 – 1308 هـ / 1889 – 1890 م إلى 12 تلميذا، تتراوح أعمارهم ما بين 5 و16 سنة(1).

وكانت مدة الدراسة غير محددة، وتخضع لظروف التلاميذ ووضعيتهم الاجتماعية، ومدة مكوثهم بها تتراوح ما بين سنة إلى 9 سنين، وغالبيتهم لا يتجاوزون السنة الواحدة؛ وخاصة أبناء الفلاحين، والتجار، وكبار ملاك النخيل، وسبب انقطاعهم عن مزاولة الدراسة أن أعمال أوليائهم الخاصة تنتظرهم(2).

وقد كانت البرامج التعليمية المتبعة ذات طابع فرنسي شكلا ومضمونا، وتسعى إلى تلقين التلاميذ دروسا تؤثر في شخصيتهم، سواء في اللغة العربية أو الدين الإسلامي، وتبرز قوة وعظمة فرنسا في أذهانهم. فمثلا في برامج سنة 1316 هـ / 1898 م التي حددت توزيع عدد الساعات والدروس في كل مادة، نلاحظ أن اللغة الفرنسية أخذت النصيب الأكبر من التوقيت الزمني الأسبوعي في الصف الابتدائي الذي كان يدرس بوادي سوف، والجدول التالي يوضح ذلك :

* **جدول توزيع عدد الساعات والدروس في كل مادة من مواد برامج ( 1315 هـ / 1898 م )**(3) :

| المواد | الساعات | الدروس |
|---|---|---|
| التربية الأخلاقية | 1 | 2 |
| اللغة الفرنسية | 11 ونصف | 23 |
| الحساب والنظام المتري | 5 | 10 |
| الرسم | 2 ونصف | 5 |
| الفلاحة والعمل اليدوي | 2 ونصف | 5 |
| اللغة العربية | 2 ونصف | 5 |
| ثقافة عامة | ؟ | ؟ |
| مبادئ حول فرنسا والجزائر | ؟ | ؟ |
| استراحات | 5 | 10 |

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 104.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 156.

(3) عبد القادر حلوش : المرجع السابق، ص ص 175 – 178.

وفي سنة 1311 هـ / 1893 م، فتح المستعمر المدرسة الثانية ببلدة كوينين(1)، بينما فتحت المدرسة الثالثة بقمار سنة 1321 هـ / 1903 م، واحتوت على ثلاثة أقسام، وكانت هذه المدرسة آخر مدرسة فرنسية تنشئها الإدارة الاستعمارية حتى سنة 1358 هـ / 1939 م(2). حيث كان يجب الانتظار إلى غاية انتهاء الحرب العالمية الثانية، لنشهد اهتمام فرنسا ببناء مدارس جديدة في منطقة سوف(3).

مع العلم أنه في سنة 1357 هـ / 1938 م، بلغ تعداد المتمدرسين في هذه المدارس الثلاثة 429 تلميذا(4).

ويلاحظ مما سبق أن إقبال التلاميذ من السكان كان في بادئ الأمر محتشما وقليلا؛ نظرا للإعراض والنفور الشديد من هذا التعلم، بسبب الرهبة المفرطة، والخوف من تأثير المستعمر على عقيدتهم ودينهم، وهذا الأمر راجع لنظرة السكان السيئة تجاههم، كونها – المدرسة الفرنسية – مؤسسة مستعمرة، وهم كفار، حتى أنّ الأولياء كانوا يتوسطون لدى حاكم الملحقة لعدم إرسال أبنائهم إلى المدرسة. واستمر الإعراض أكثر من نصف قرن، وبقي الإقبال ضعيفا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية(5). وقد أشار إلى ذلك حمزة بوكوشة بقوله : « وقد كنا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لُقِّنا أن قراءة الفرنسية طريق إلى الكفر، إن لم يكن الكفر عينه... »(6).

كما كان بعض الأهالي يُهرّبون أبناءهم إلى الصحراء، أو الغيطان النائية، ويُخفون عن الأنظار خوفا من استدعائهم للمدرسة الفرنسية، التي يعتبرون الانتساب إليها وصمة عار، وخضوع للكفار، كما صور ذلك حمزة بوكوشة : «... وقد يبدو لكم أن هذا جمود وركود، ولكنه فيما أرى هو أن قراءة الفرنسية في تلك الآونة هي من المشابهات، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فلو أننا فيما مضى أقبلنا على الفرنسية لزاحمنا العربية أو أهملناها، وتفتح لنا الفرنسية نوافذ على الشهوات والملذات وهي لغة الغالب، والمغلوب مولع بتقليد الغالب »(7).

كما أثرت مواقف بعض العلماء والشيوخ في المنطقة على مواقف السكان، من ذلك الشيخ إبراهيم بن عامر، الذي أبدى موقفه الواضح تجاه سياسة الفرنسة الهادفة للتنصير ومسخ الشعب الجزائري، وذلك من خلال

(1) André Voisin : op cit, p 190.

(2) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 106.

(3) André Voisin : op cit, p 273.

(4) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 171.

(5) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص ص 106 – 107.

(6) عثمان زقب : المرجع السابق، ص 173.

(7) مراسلة الشيخ حمزة بوكوشة للسيد علي غنابزية بتاريخ 24 شوال 1321 هـ / 12 جانفي 1994 م. ينظر : أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص 59.

تدريسه لكتاب " **إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى** " للشيخ يوسف النبهاني(1).

ولترغيب المتمدرسين في المدارس الفرنسية، وكسب صداقة السكان إلى جانبها، تتدخل السلطات الاستعمارية لتحبيب المدرسة إلى الصبيان، بتقديم مساعدات للفقراء منهم في المناسبات والأعياد. كما تم إنشاء المطاعم المدرسية بالوادي(2)، وتأسست جمعية " خدمات الإطعام المدرسي في سوف " في 9 رمضان 1351 هـ / 5 جانفي 1933 م، بهدف توزيع وجبات غذاء ساخنة يوميا مجانا للمتمدرسين من الأهالي المحتاجين. وقد شملت 107 تلميذا في الموسم الدراسي 1355 – 1356 هـ / 1937 – 1938 م(3).

أما عن التأطير المدرسي في المدارس الفرنسية، فمعظم المعلمين كانوا فرنسيين، وقد كانت الإدارة الفرنسية في الجزائر تسعى لتشجيع المدرّسين في الجنوب ووادي سوف من خلال المنح ورفع الأجور، حيث رفعت الأجور وفق مرسوم 19 محرم 1339 هـ / 2 أكتوبر 1920 م من 800 فرنك إلى 900 فرنك.

كما أن المعلم الفرنسي الذي يتولى مهمة التدريس يشترط فيه النضج، وأن لا يقل عمره عن 18 سنة، ويكون حائزا على مؤهل علمي، أو شهادة التكوين في المعهد الخاص بالتربية، ويتمتع بتجربة ميدانية، كما يتفانى في تعليم الأهالي. وقد سعت أيضا الإدارة الفرنسية إلى توفير متطلبات الحياة الأساسية للمعلمين، الذي ضحوا بالبقاء في هذه المنطقة المعزولة بين الرمال(4).

### 1) تعليم البنات :

بالنسبة للبنات اللواتي التحقن بالمدرسة الفرنسية، فإن عددهن كان قليلا جدا، ويعود ذلك إلى طبيعة المنطقة المحافظة، حيث حدث تردد من قبل السكان في بادئ الأمر، فتأخروا في إرسال بناتهم إلى المدارس، وظل الإقبال منحصرا في فئة الذكور. فالعائلة تستغل الفتاة في العمل المنزلي الذي تُدرّب عليه لتكون ربة بيت في مقتبل عمرها(5)، غير أن ذلك لم يمنع تسجيل بعض الحالات النادرة، حيث بدأ دخولها المدرسة الفرنسية بمبادرة معلم من المنطقة، هو العيد بن الساسي هڤي، بتدريس بناته الثلاث بالقسم المختلط بمدينة ڤمار في محرم 1338 هـ / أكتوبر 1919 م، كما فسح المجال لإحدى بناته، وتدعى منة؛ بمزاولة دراستها بمدرسة الوادي، وتم تسجيلها بهذه

(1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 506.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 110.

(3) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 173.

(4) علي غنابزية : المرجع السابق، ص ص 110 – 111.

(5) Ahmed Najah : op cit, p 142.

المؤسسة بتاريخ 23 جمادى الثانية 1346 هـ / 17 ديسمبر 1927 م(1).

وفي سنة 1357 هـ / 1938 م بلغ تعداد المتمدرسات البنات في مدرستي التعليم الفرنسي في كل من : الوادي، وڤمار، 5 تلميذات؛ تلميذة فرنسية، وتلميذتين مسلمتين في مدرسة الوادي، وتلميذتين يهوديتين في مدرسة ڤمار(2).

وتتلقى الفتاة المواد الرئيسية مثل : القراءة، والكتابة بالفرنسية، والحساب، فضلا عن الأعمال التطبيقية التي تأخذ حجما أكبر في تعليمهن، مثل : إدارة البيت، وفنون الطبخ، والخياطة، والنسيج(3).

**2) تشجيع دروس محو الأمية لدى الكهول :**

عرفت مناطق الجنوب ومنها سوف بروز ظاهرة تشجيع دروس محو الأمية لدى الكهول، حيث تم تنظيم الدروس للأميين الكبار في أكثر المدارس بطلب منهم، ففتحت لحوالي 300 شاب وكهل بوادي سوف في حدود سنة 1359 هـ / 1940 م، والغرض هو تعليمهم مبادئ اللغة الفرنسية، وقد أقبل عليها التجار بنسبة كبيرة، حيث أكد المفتش الخاص بتلك المدارس أن المعلم الذي يقدم الدروس المسائية للكبار بمدرسة ڤمار لصالح 72 فردا، لاحظ شغفهم بالتعلم واستماعهم الجيد لمعلمهم، وإتقانهم النطق لعدد كبير من الألفاظ الفرنسية، ومقدرتهم على تكوين الجُمل وقراءتها بطريقة سليمة، بل وكتابة عدد من الكلمات والتوقيع بها، فشجع ذلك على تعليم الصغار بشكل واسع، والتفكير في جلب الفتاة إلى المدرسة الفرنسية(4).

وعموما، ظل التعليم في المدرسة الفرنسية منحصرا في مرحلة التعليم الابتدائي، وكان الإقبال عليها محدودا مقارنة بالمدارس القرآنية، والمدارس العربية الحرة(5).

## ثالثا : دور علماء تونس في الحياة التعليمية بوادي سوف :

يعتبر العلم نافذة مشرعة تطل على الشعوب والمجتمعات الإنسانية، التي تتنسم منها عبير المعارف والقيم، ولعل أبرز النوافذ الهامة، تلك الرحلات العلمية، والزيارات التي ينظمها الشيوخ نحو البلدان التي تربطهم بأهلها

---

(1) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 109.

(2) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 171.

(3) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 109.

(4) نفسه، ص 109.

(5) علي غنابزية : الشيخ محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 114.

مودة. وأبرز هذه الزيارات إلى وادي سوف كانت زيارة الشيخ محمد المكي بن عزوز[1]، الذي تجول في قراها وربط علاقات مودة مع علمائها، ودرّس في الزوايا والمساجد بالوادي، وقمار، وكوينين، كان ذلك بداية القرن 14 هـ / أواخر القرن 19 م[2].

كما كانت الزاوية التجانية بقمار خصوصا، ومساجد قمار عموما في ذلك الوقت؛ محط أنظار العلماء من شتى البقاع، حيث كان يزورها العديد من الأعلام قصد تنشيط الدروس فيها، من أمثال علماء الشابية، ومحمد المكي بن عزوز، والبشير التوزري، وكذا الشيخ إبراهيم البختري التوزري، ومحمد اللقاني بن السايح ( ولد 1331 هـ / 1913 م ). ومن أهم علماء وشيوخ المنطقة الذين درسوا على أيديهم : الشيخ سيدي علال ( 1334 – 1430 هـ / 1916 – 2009 م )، والشيخ محمد الطاهر التليلي[3].

كذلك زيارة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين سنة 1323 هـ / 1905، إلى وادي سوف، والتي تركت آثار كبيرة على المنطقة، وسنفصل في هذه الرحلة نوعا ما.

**– زيارة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين لوادي سوف سنة 1323 هـ / 1905 م وأثرها على الحياة العلمية بالمنطقة :**

**1) نبذة عن الشيخ محمد الأخضر بن الحسين :**

ولد الشيخ محمد الأخضر بن الحسين بنفطة في 2 رجب 1293 هـ / 23 جويلية 1876 م، من أسرة ذات أصول جزائرية. وفي سنة 1305 هـ / 1888 م انتقل مع أسرته إلى مدينة تونس حيث أتم تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بجامع الزيتونة في السنة الموالية[4]، وتخرج منه بعد حصوله على شهادة العالمية سنة 1320 هـ / 1902 م، ثم عين مدرسا بالزيتونة، كما أنه عين بعد ذلك للتدريس بالمدرسة الصادقية[5].

---

[1] محمد المكي بن عزوز : هو محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي، النفطي. محدث، ومؤرخ، ومقرئ، وفقيه، وصوفي، وأديب. ولد بنفطة في 15 رمضان 1270 هـ / 11 جوان 1854 م، وحفظ القرآن الكريم بزاوية والده، ثم درس بتوزر ونفطة. ثم التحق بجامع الزيتونة، وبعد تخرجه منه تصدر للتدريس به، حيث تخرج على يديه كثير من العلماء. كما وُلّي الإفتاء بنفطة سنة 1297 هـ، ثم نُصِّب قاضيا عليها. من أهم مؤلفاته : مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة، عمدة الإثبات في رجال الحديث. توفي بالأستانة في 2 صفر 1334 هـ / 9 ديسمبر 1915 م. ينظر : عمر رضا كحالة : **معجم المؤلفين**، اعتنى به وجمعه وأخرجه : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993 م، ص 733؛ عاشوري قمعون : **العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، ص ص 6 – 9.

[2] علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 73.

[3] التجاني العقون : المرجع السابق، ص 337.

[4] محمد محفوظ : **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982 م، ص ص 126 – 127.

[5] عاشوري قمعون : المرجع السابق، ص 10.

كان غزير العلم، فصيح العبارة، محبا للإصلاح. أصدر مجلة السعادة العظمى في سنة 1322 هـ / 1904 م، وهي أول مجلة تونسية، وفي سنة 1325 هـ / 1907 م تأسست أول منظمة طلابية بتونس تحت إشرافه وبتوجيهه باسم " جمعية تلامذة جامع الزيتونة ". وبسبب المضايقات الاستعمارية فضل الهجرة إلى تركيا سنة 1329 هـ / 1911 م، ثم عاد إلى تونس سنة 1330 هـ / 1912 م، فمنع من التدريس، وقرر الهجرة إلى دمشق، ثم رحل إلى بالقاهرة واستقر بها، فقام بدور دعوي وعلمي بارز، وتولى مشيخة الأزهر الشريف ما بين 18 ذو الحجة 1371 هـ / 7 سبتمبر 1952 م إلى 4 جمادى الأول 1373 هـ / 8 جانفي 1954 م.

توفي بالقاهرة في 23 رجب 1377 هـ / 12 فيفري 1958 م[1].

**2) رحلة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين لوادي سوف سنة 1323 هـ / 1905 م وأثرها على الحياة العلمية بالمنطقة :**

من دوافع وأهداف زيارة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين لوادي سوف :

**أ)** قام الشيخ بعدة رحلات إلى الشرق الجزائري، وإلى مدينة الجزائر، وبقي الجنوب مجهولا لديه، فاغتنم زيارته لطولقة، بلدة جده وعشيرته، وتابع رحلته، وتواصل مع علماء وادي سوف، وسكان الجنوب الشرقي الجزائري.

**ب)** الدعوة إلى أفكاره الإصلاحية، والترويج لمجلته الفتية، والتعرف على أحوال وادي سوف، ومستواها الثقافي، وزيارة مساجدها وزواياها، لعقد الحلقات العلمية، والتحاور مع طلاب العلم، وتوجيههم، وتقديم النصح لهم، وحثهم على الكتابة والتأليف. كما شجعهم على طبع إنتاجهم الفكري[2].

وقد شهدت الزيارة نشاطا هاما، وتركت أثرا في وسط السكان، لأن الشيخ محمد الأخضر بن الحسين تنقل في قرى سوف، وكانت الزيارة كالتالي :

- زار مدينة قمار، وكوينين، ودرّس في جامع الثلمود العتيق بكوينين " **متن البيقونية** " في مصطلح الحديث. كما جالس وحاور بعض العلماء في الزاوية الرحمانية، والمسجد العتيق بالوادي، ودرّس بعض الكتب المهمة في الحديث، وتفسير القرآن، وختم لهم " **منظومة غرامي صحيح** " في مصطلح الحديث. ومن الذين سمعوا عليه : الطالب عمر الأحمدي، وأحمد بن إبراهيم مساك، والشيخ الصغير زبيدي، وأخوه البشير، والحاج الساسي بورفة[3].

- الالتقاء بالشيخ إبراهيم العوامر، وهو الذي تتلمذ عليه في جامع الزيتونة.

---

[1] محمد محفوظ : المرجع السابق، ج2، ص 132.

[2] علي غنابزية : **زيارة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين للجنوب الجزائري 1905 م وأثرها على الحركة العلمية بوادي سوف**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 9.

[3] عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص 12.

– الالتقاء بالشيخ محمد بن البرية ( 1301 – 1358 هـ / 1884 – 1939 م ) بمدينة قمار، حيث جرت بينهما محاورة أدبية(1).

كما عرض عليه بعض أعيان الوادي، ومنهم الشيخ محمد العيد، بأن يبقى بينهم يدرس الأهالي مقابل مبلغ معين من المال، يُجمع له من الطلبة، غير أنه أبى، مفضلا وظيفة القضاء على التدريس(2).

**وملخص الفصل،** أن التعليم العربي الإسلامي بسوف خلال النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م، انتشر من خلال : التعليم القرآني، والتعليم في المدارس العربية، وكذا نشاط الشيوخ والعلماء عبر المساجد والزوايا.

ولقد لقي التعليم القرآني بسوف رواجا واهتماما وسندا بفضل المساجد، التي كانت عامرة بالقرآن الكريم، كما يتم بها تدريس العلوم الشرعية من قبل الأئمة وكبار العلماء، خاصة الفقه الإسلامي، وعلوم القرآن، والحديث النبوي الشريف. ومن أهم هذه المساجد نجد : مسجد سيدي المسعود العتيق بالوادي، ومسجد سيدي المسعود الشابي بقمار، ومسجد الشيخ العدواني بالزقم، والتي استطاعت أن تُخرج أعدادا معتبرة من حفظة القرآن الكريم.

هذا بالإضافة إلى المدارس القرآنية التي ازدهرت في القرن 14 هـ / أواخر القرن 19 م وخلال القرن 20 م، في مدينة الوادي وضواحيها. بالإضافة إلى مساهمة العلماء من خارج سوف، وخصوصا بلاد الجريد التونسي، في دفع عجلة التعليم، من أهمهم : محمد المكي بن عزوز، ومحمد الأخضر بن الحسين.

أما المدارس العربية فقد قامت بمهمة التعليم أيضا، وبث الوعي الوطني، وتربية الناشئة على القيم العربية الإسلامية، وكان من أبرزها : مدرسة الوادي العصرية، ومدرسة النجاح الحرة بقمار.

وبخصوص موقف الإدارة الاستعمارية من التعليم العربي الإسلامي، فقد عملت على اضطهاد المعلمين والتضييق عليهم، وإغلاق المدارس الحرة، والتضييق على النشاط بالمساجد.

وفيما يخص التعليم الفرنسي، فبعد استقرار الإدارة الفرنسية بسوف، عملت على فتح أول مدرسة فرنسية بمدينة الوادي، ثم المدرسة الثانية ببلدة كوينين، ثم المدرسة الثالثة بقمار. وكانت البرامج التعليمية المتبعة ذات طابع فرنسي شكلا ومضمونا. مع ملاحظة أن إقبال التلاميذ من السكان كان في بادئ الأمر محتشما؛ نظرا للإعراض والنفور من هذا التعليم، بسبب الخوف من تأثير المستعمر على عقيدتهم ودينهم.

ومما سبق يتضح ضعف وبساطة التعليم في سوف، عدا ما تقدمه المساجد وبعض المدارس من تحفيظ للقرآن الكريم، وبعض العلوم الدينية، واللغوية، ما فرض على فئة مثقفة من طلبتها الهجرة إلى بلاد الجريد التونسي، وجامع الزيتونة بتونس على الخصوص، لمواصلة تعليمهم في مختلف العلوم والآداب، كما يوضحه الفصل الموالي.

---

(1) علي غنابزية : زيارة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين للجنوب الجزائري، المرجع السابق، ص 12.

(2) عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص 12.

# الفصل الثاني : الرحلات العلمية لطلبة وادي سوف إلى تونس وأثرها على العلاقات بين المنطقتين

**أولا : دوافع الرحلات العلمية من وادي سوف إلى تونس**

**ثانيا : رحلة طلبة العلم لبلاد الجريد التونسي**

**ثالثا : رحلة طلبة العلم لجامع الزيتونة**

**رابعا : جهود طلبة وادي سوف بتونس في المجالات الثقافية والعلمية**

**خامسا : الجهود العلمية لطلبة وادي سوف الدارسين بتونس بالمنطقة**

# الفصل الثاني : الرحلات العلمية لطلبة وادي سوف إلى تونس وأثرها على العلاقات بين المنطقتين

تعد الرحلة من أنجح وسائل الإنسان لكسب العلم والمعرفة، والتعرف على البيئة والسكان منذ أقدم العصور، ولهذا السبب، حُظيت الرحلة باهتمام العلماء القدماء والمحدثين على حد سواء. ونوّه ابن خلدون ( 732 – 808 هـ / 1332 – 1406 م ) بأهمية الرحلات العلمية، فأورد ذكرها في مقدمته الشهيرة بقوله : « فالرحلة لابدّ منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد، والكمالِ بلقاء المشايخ، ومباشرة الرّجال »(1).

وقد ذهب جل الباحثين والمهتمين بالحركة الثقافية والعلمية في الجزائر، إلى أن رحلة علمائها وطلاب العلم فيها، لا سيما بعد الاحتلال الفرنسي، وسَدِّ أبواب المعرفة؛ رحلتان، إحداهما مشرقية، وأخرى مغربية، ونفس الشيء انطبق على منطقة وادي سوف. وقد كانت تونس في المرتبة الأولى كمقصد لعلمائها وطلاب العلم فيها، والذين كان بعضهم قد ترقى إلى درجات عليا على سلّم المعرفة، وأسهموا في حركتها العلمية إسهاما مرموقا. أما غالبيتهم فقد حملوا في صدورهم ما حصلوا عليه من الزاد العلمي، ثم ولّوا وجوههم شطر أرض الوطن، عاملين على إقالته من عثرته وإنهاضه من كبوته، من خلال التفرغ للتعليم، والتدريس، والإرشاد في المساجد، والزوايا، والمدارس. كما كان لهؤلاء الطلبة والعلماء دور فعّال في تمتين العلاقات بين سوف وتونس في العديد من المجالات.

## أولا : دوافع الرحلات العلمية من وادي سوف إلى تونس :

توجد هناك عدة عوامل كانت سببا في هجرة العلماء وطلبة العلم الجزائريين إلى تونس، فالرحلة إلى تونس بالذات كانت إما لأجل طلب العلم، أو لأجل الفرار من بطش الاستعمار، إضافة إلى السبب الديني والروحي. كما كان لجامع الزيتونة دور كبير في استقطاب كثير من الجزائريين، وخاصة في مرحلة الاستعمار الفرنسي. ومن هنا يمكن أن نعدّد ونفصل في هذه الأسباب في الآتي :

### 1) العامل الجغرافي :

كان للعامل الجغرافي تأثيره الكبير في جعل تونس بجامعها ( الزيتونة ) قبلة للجزائريين، عموما وللطلبة خصوصا، ذلك بفعل قرب مدينة تونس من الحواضر الجزائرية الشرقية، ومنها منطقة سوف، فتعدد المقبلون على جامع الزيتونة وعلى المدارس الأخرى التي تكاثر عددها، كالمدرسة الخلدونية(2).

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون ( ت 808 هـ / 1406 م ) : **مقدمة ابن خلدون**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة، مرا : سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م، ص 745.

(2) محمد صالح الجابري : **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962**، ط2، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2007 م، ص 25.

نفس هذا العامل أشار إليه أبو القاسم سعد الله(1) بقوله : «... لذلك اضطر الجزائريون الذين أتيحت لهم الفرص إلى الاغتراب...، ولكن أغلبهم ولا سيما منذ الحرب الأولى، كانوا يَؤمون الزيتونة بتونس لعدة أسباب : منها قرب هذا الجامع الكبير منهم... »(2).

فكان للأوضاع الجغرافية لوادي سوف دور هام في صناعة علاقات متميزة، قديمة ومتواصلة، بين المنطقة والأقاليم التونسية، بفعل هجرة أبناء وادي سوف إليها، ومن أهمها الهجرة والرحلة العلمية(3).

**2) العامل الروحي :**

وجود شيوخ الطرق الصوفية المشهورين في تونس، بل أنّ الزوايا الأم لأشهر الطرق الصوفية في الجزائر؛ ومنها منطقة سوف، هي موجودة في تونس، وحركة المريدين من وإلى تونس شكّلت مع تكرارها وكثافتها دافعا لحركة الهجرة لطلبة العلم باتجاه المراكز التعليمية الكبرى في تونس، ومن بينها مراكز التعليم في الزوايا والمدارس القرآنية(4).

**3) العامل العلمي :**

إنّ من أهم دوافع توجّه طلبة وادي سوف إلى تونس هو طلب العلم، وحب الاستزادة من العلم الشرعي والتبحر فيه، وتضايقهم من سياسة القهر الاستعمارية المسلطة عليهم في المنطقة، مع وجود حرية نسبية في طلبه بتونس. وتدل إحصائيات سنة 1362 هـ / 1944 م، أنّ عدد الأطفال الجزائريين الذين كانوا في سنّ الدراسة بلغ عددهم 150000، ولم تتح فرص التعليم الابتدائي إلا لـ 11000 طفل. ولو نظرنا إلى المستوى التعليم الثانوي أو الجامعي، لوجدنا أنّ نسبة الجزائريين الذين واصلوا تعليمهم ضئيلة، والحقائق المتوفرة على هذا الموضوع تؤكد أنّ هناك جزائريا واحدا من جملة 175 تلميذا قد استطاع أن يبلغ مرحلة التعليم الثانوي(5).

---

(1) أبو القاسم سعد الله : ولد سنة 1348 هـ / 1930 م بڤمار، وبها حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية والعربية. التحق بجامع الزيتونة سنة 1366 هـ / 1947 م، فتحصل على شهادة الأهلية سنة 1370 هـ / 1951 م، وشهادة التحصيل سنة 1373 هـ / 1954 م. ثم التحق في صفر سنة 1375 هـ / أكتوبر 1955 م بجامعة القاهرة، وتحصل منها سنة 1378 هـ / 1959 م على شهادة الليسانس في اللّغة العربية. وفي أواخر سنة 1380 هـ / 1960 م التحق بأمريكا للدراسة في جامعة منيسوتا بقسم التاريخ، فتحصل على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1381 هـ / 1962 م، وعلى شهادة الدكتوراه سنة 1385 هـ / 1965 م. من أهم مؤلفاته : الحركة الوطنية الجزائرية، وتاريخ الجزائر الثقافي. توفي يوم 11 صفر 1435 هـ / 14 ديسمبر 2013 م ودفن بمقبرة ڤمار بمسقط رأسه. ينظر : التجاني العقون : المرجع السابق، ص ص 198 – 199.

(2) أبو القاسم سعد الله : **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 م، ص 41.

(3) صالح لميش : المرجع السابق، ص 2.

(4) خير الدين شترة : **الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس وأثرها في خصوصية التواصل بين المنطقتين**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 12.

(5) خير الدين شترة : **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 – 1956 م**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص ص 873 – 874.

والشيء المؤلم بالنسبة للجزائريين الذين لم تتح لهم فرصة التعليم ببلادهم، هو أنّ أبناء الشعب هم الذين يتحملون العبء الثقيل في تمويل التعليم، خاصة وأنّ الضرائب الباهضة أرهقت كاهلهم، وحرمت معظمهم من التعليم، مما حتّم على عدد كبير منهم الهجرة إلى الخارج، وفي هذا الصدد يقول عبد الله ركيبي : « إنّ دافعنا إلى الهجرة هو دافع جيل كامل؛ بل أجيال قبلنا تهدف إلى أن تتثقف ثقافة عربية إسلامية أصلية، خاصة وأن التعليم المتوسط والثانوي لم يكن بالعربية ولكنه كان بالفرنسية، ونحن أبناء الشعب من يعيش منا في الريف أو القرية لا فرصة له ليواصل تعليمه بعد الابتدائي، فكانت ( الزيتونة ) ملجأ لمن حُرم من ثقافته وتراثه القومي... »(1).

ومنذ أوائل القرن 14 هـ / 20 م، أصبح بعض الجزائريين يهاجرون من أجل العلم، ومن بينهم أبناء سوف، وكانوا غالبا يغيبون مؤقتا ثم يعودون بعلمهم(2).

**4) عامل السياسة الاستعمارية :**

لقد كانت تونس وجهة العديد من الشباب الجزائريين للدراسة في جامع الزيتونة، ومن بينهم أبناء سوف، هروبا من سياسة التجنيد في الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي(3). كما أن تطبيق فرنسا لقانون التجنيد الإجباري ابتداء من سنة 1329 هـ / 1912 م على الجزائريين، جعل الشباب الجزائري يفرون إلى تونس، والمشرق العربي بحجّة طلب العلم، وهذا خوفا من استدعائهم لأداء الخدمة العسكرية، خصوصا وأن فيه فتاوى شرعية تحرّم على المسلمين الجزائريين الانضمام إلى جيش الاستعمار الفرنسي، كفتوى الشيخ عبد الحليم بن سماية ( 1283 – 1351 هـ / 1866 – 1933 م ) سنة 1329 هـ / 1912 م، وفتوى الشيخ عبد الحميد بن باديس ( 1307 – 1359 هـ / 1889 – 1940 م )(4) سنة 1358 هـ / 1939 م(5).

كما أنه منذ الوهلة الأولى للاستعمار الفرنسي بالجزائر، ركز هذا الأخير كل جهوده على القضاء على مقومات الأمة ومحو شخصيتها، فلجأ إلى سياسة الإبادة ومحاربة العلماء والمثقفين(6)، وتجهيل الشعب الجزائري وتفقيره، وحرمانه من نور العلم والمعرفة، وبما أن الشعب الجزائري يعرف قيمة العلم وأهمية المعرفة، فإنه لم يستسلم

---

(1) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص 874.

(2) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 6، ص ص 367 – 368.

(3) علي بن حراث : **قراءة في أسباب تركيز الرحلات العلمية الجزائرية على تونس**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 11.

(4) الزبير بن رحال : **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ( 1889 – 1940 م )**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997 م، ص ص 3، 120.

(5) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 13.

(6) رابح فلاحي : **جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر ( 1908 – 1954 م )**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إش : أ. د بوالصفصاف عبد الكريم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية : 2007 – 2008 م، ص 50.

للإدارة الاستعمارية وسياستها التجهيلية، وتشبث بلغته وبدينه وثقافته العربية الإسلامية، ووجد الحل الناجع في جامع الزيتونة وعلمائها وأئمتها وأعلامها الكبار، فتوجه إلى هناك الطلبة الجزائريون جماعات للتعلم والتزود بالمعارف، والآداب، مما يدل على أن الجزائريين قد حُرموا من طرف المستعمر من حقهم في طلب العلم، ولذا نجدهم يشدون الرحال طلبا للعلم وتعلقا بالمعرفة، ولينهلوا من معين جامعاتها ومراكز العلم بها ما يروون به ظمأهم للعلوم والمعارف.

وأمام سياسة التجهيل الواسعة التي مارستها السلطات الاستعمارية، لم يعد بإمكان التعليم العربي الحر أن يكفي حاجة الجزائريين، ومع ذلك فإن الاستعمار لم يتردد في تسديد سهامه إلى التعليم العربي الحر. فكان للسياسة الممارسة من طرف الاستعمار الفرنسي في الجزائر ضد مقومات الأمّة، خاصة الدين واللغة، دور قوي في توجيه الهجرة العلمية الجزائرية نحو تونس، لطلب العلم تارة من المعاهد المجاورة كالزيتونة بتونس، والقرويين بفاس؛ حفاظا على العروبة والإسلام، وتارة أخرى للنضال في سبيل القضية الوطنية من خلال الكتابة في الصحف التونسية والمشرقية(1).

**5) العامل الدعائي :**

لقد لعب هذا العامل دورا حاسما في تحديد وجهة طلاب العلم، بعد أن حثّ الشباب الجزائري على ضرورة الهجرة من أجل الاستزادة في العلوم والتفقه في الدين. فكان للطلبة الجزائريين الزيتونيين سواء المتخرجون أو العائدون إلى الجزائر خلال فترات العطل، تأثير في توجيه الرحلة العلمية الجزائرية صوب تونس. كما أن دعاية العائدين منه بشهاداتهم أو في عطلهم من طلاب العلم، كان يزيد في عدد الرحلات العلمية باتجاه تونس(2). وفي هذا السياق يقول أبو القاسم سعد الله : «... وكان هؤلاء الشبان – شبان وادي سوف – يعودون في صيف كل عام فيتصلون بشبان جدد وينشرون بينهم أفكار جديدة. فكان عدد الذاهبين إلى تونس يزداد في خريف كل سنة... »(3).

**6) دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والشيخ عبد الحميد بن باديس في تشجيع الطلبة :**

لقد كان لحركة ابن باديس التربوية التعليمية التي شرع فيها منذ انتصابه للتدريس بقسنطينة سنة 1330 هـ / 1913 م، إثر تخرجه من جامعة الزيتونة، أثر عظيم في طلابه المتوافدين على رحاب الجامع الأخضر بقسنطينة من كل أرجاء الجزائر، أثر في العقول والقلوب والسلوك لم تشهده البيئة الجزائرية من قبل. فقد كان من آثار ذلك

(1) علي بن حراث : المرجع السابق، ص ص 4 – 5.

(2) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 14.

(3) أبو القاسم سعد الله : **منطلقات فكرية**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م، ص 44.

التعليم المثمر الذي خاضته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أن غرست الرغبة بشباب الأمة في الاندفاع إلى العلم والرحلة في طلبه حيث ما كان، فرحّلت المئات منهم إلى جامع الزيتونة(1).

كما أن ابن باديس استطاع أن يساعد على تنمية هذا الإقبال من المناطق الشرقية والجنوبية من الجزائر، ويجعله إحدى الخصائص المميزة لهذه المناطق، فكان كلما زار منطقة من هذه المناطق إلا وأطنب في حثّ الطلبة على السفر إلى جامع الزيتونة للاستزادة من العلوم(2). وفي ذات السياق يقول أبو القاسم سعد الله : « يذكر أهل قمار أن زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لهم في الثلاثينات من هذا القرن – أي القرن 20 م –، قد أذكت روح النهضة في القرية. ونتيجة لذلك، ولانتشار الحركة السياسية الوطنية...، سافر عدد من شبان قمار إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة... »(3).

## 7) دور مراكز الاستقطاب العلمي في تونس :

إن الشهرة الدينية والثقافية لجامع الزيتونة في المغرب العربي كمعقل إسلامي عربي قديم(4)، جعلت منه منارة هامة للتزود بالعلوم، والآداب، والتكوين، ولا يعزب عن أحد دور جامع الزيتونة في بث العقيدة الإسلامية، وعلوم الشريعة المحمدية، والآداب العربية، وإسهامه في إشعاع الحضارة الإسلامية تجاوز حدود البلاد التونسية. كما نلاحظ قدرة التعليم الزيتوني رغم المشاكل التي كان يتخبط فيها، على تكوين نخبة متضلعة لا في العلوم الدينية فحسب، بل وفي العلوم الأدبية واللغوية والإنسانية(5).

فالمستوى العلمي الراقي الذي كانت تتمتع به المؤسسات التعليمية في تونس، ومنها جامع الزيتونة، الذي يعد منارة أضاءت بنورها سماء بلاد المغرب العربي، أن ارتحل إليه المسلمون من الأقطار المغاربية والأفريقية لينهلوا من منابع فيضه شتى العلوم وأصول الدين. وما يكاد يذكر عالم مرموق في القرن 14 هـ / 20 م، في المجال الأدبي، أو الفكري، أو العلمي، إلا ويكون قد نهل من جامع الزيتونة والمعاهد التابعة لها(6)

ولم يقتصر وجود الطلبة بالجامع الأعظم فقط، ولكن بعض الطلبة كانوا منتسبين لفروعه في بعض المدن، مثل : قابس، وصفاقس، والمنستير. وفي هذا السياق يقول محمد الطاهر فضلاء : «... الذي أعرفه ويعرفه الناس

---

(1) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 14.

(2) محمد صالح الجابري : المرجع السابق، ص ص 42 – 43.

(3) أبو القاسم سعد الله : منطلقات فكرية، المرجع السابق، ص 44.

(4) أبو القاسم سعد الله : تجارب في الأدب والرحلة، المرجع السابق، ص 36.

(5) خير الدين شترة : المرجع السابق، ص 16.

(6) رابح فلاحي : المرجع السابق، ص 48.

جميعا في الجزائر، هو تأثير جامع الزيتونة في تلك النواحي بالخصوص، وهو يتمثل في المصلحين عموما، وفي مثقفي اللغة العربية، والمتخرجين من ذلك المعهد الإسلامي العظيم... »(1).

فقد كان وزن شيوخ الجامع وكفاءاتهم الكبيرة، وهم الذين بلغت سمعتهم الأدبية والعلمية الأقطار، وكذا للبرامج المدرّسة ولمناهج التعليم في جامع الزيتونة؛ تأثيرا على استقطاب الطلبة الجزائريين للدراسة في تونس، وما تجب الإشارة إليه هنا هو الإصلاحات العديدة التي حصلت في مناهج وبرامج التدريس على مستوى الجامع ومعاهده، فضلا عن الدعم والاهتمام الذين كان يتلقاه قطاع التعليم من ولاّة تونس(2).

ويمكن القول بأن لهذه الرحلات عوامل أخرى ذاتية شخصية خاصة بكل طالب، بحيث أنها اختلفت من رحالة إلى آخر. ولقد تحدّث أبو القاسم سعد الله عن دوافع ارتحال محمد العيد آل الخليفة ( 1322 – 1399 هـ / 1904 – 1979 م )(3) إلى تونس قائلا : «... توجه محمد العيد إلى تونس لمواصلة دراسته في جامعها الأعظم، وكان لذلك أسبابه...، فشيخه الزيتوني ابن إبراهيم الذي ملأ حياته العلمية، والذي كان يشبع نهمه إلى المعرفة قد مات...، إضافة إلى أن الجرائد التونسية التي تصل إلى الجزائر محملة بأخبار نهضتها الوطنية والأدبية، كان لها أثرها في تحفيزه إلى الهجرة والترحال »(4).

## ثانيا : رحلة طلبة العلم لبلاد الجريد التونسي :

لا شك أن الصلات الفكرية والثقافية بين تونس ووادي سوف، تعد مثالا للصلات الحميمة التي تنشأ بين منطقتين متجاورين. فهي تعتبر مثالا لعلاقات الجوار الإيجابي بين المناطق العربية التي تجمع بينهما حدود مشتركة، وهي صلات ذات مظاهر متنوعة، كما أنها شملت ميادين شتى : اقتصادية، واجتماعية، وثقافية. ومن أبرز مظاهر التواصل الذي ربط بلاد الجريد بسوف، الوفود التي قدمت للتزود من مختلف العلوم الفقهية، واللغوية، والأدبية.

### 1) الدراسة ببلاد الجريد التونسي :

إن قرب تونس من وادي سوف كان عاملا هاما في تشجيع الهجرة، وقد عرفت الهجرة إليها أفواجا عديدة، وهذا قصد الكسب عن طريق التجارة والعمل، والتعليم، وقد كان أكثر المهاجرين لها هم من الطلبة. كما كان هؤلاء يزاولون أعمالا أخرى لكسب القوت قصد مواصلة مسيرة التعليم، وحصولهم على الشهادات العلمية.

وما ميّز الرحلات العلمية إلى تونس هو أن الطلبة الجزائريين ليس فقط هم الطلبة القاصدون جامع الزيتونة،

---

(1) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 16.

(2) علي بن حراث : المرجع السابق، ص ص 6، 9.

(3) عبد العزيز بلعبيدي : **رجال أخيار**، مطبعة سيب، الوادي، الجزائر، 2010 م، ص ص 5 – 7.

(4) خير الدين شترة : المرجع السابق، ص 15.

بل نجد من يقصد بعض الزوايا، كالزاوية القادرية بتوزر، والتي أسسها الشيخ أبو بكر بن أحمد الشريف(1) في أوائل القرن 13 هـ / أواخر القرن 18 م، وتولاها من بعده ابنه سيدي المولدي بوعراقية(2)، حيث اهتمت بالتعليم، وكانت تضم عددا كبيرا من الطلبة، كما تؤمّن لهم المسكن والغذاء، فهي في شكل معهد، يقصدها طلاب سوف لحفظ القرآن وبعض العلوم، استعدادا لدخول أغلبهم جامع الزيتونة(3).

ومن بلدة نفطة بالجريد التونسي حتى مدينة تونس، كانت المدارس والزوايا مشرعة الأبواب لأفواج طلاب العلم القادمين من وادي سوف. بحيث جعلت التعليم في متناول الجميع، فساهم شيوخها في نشر التصوف، والعلوم الدينية، حتى صارت قبلة لطلبة العلم. وقد كان بعض أبناء منطقة وادي سوف يقتصرون في بداية رحلتهم العلمية، على ارتياد هذه الزوايا، والكتاتيب، والمدارس الواقعة على مقربة من الحدود الجزائرية – التونسية(4).

كانت توزر ونفطة خلال القرنين 13 و14 هـ / 19 و20 م، آهلتين بالعلم، زاخرتين بالأدب، ناشطتين في حركة التأليف والتدريس، حتى اشتهرتا باسم الكوفة والبصرة. فقد عرف عن نفطة خلال الحقبة الاستعمارية أنها حاضرة علمية، تعج بالزوايا والطرق الصوفية، والمدارس الدينية، ومجالس العلوم الشرعية المختلفة. كما عرفت بعلمائها وفقهائها عبر التاريخ. وفي زوايا وكتاتيب نفطة وجد طلبة وادي سوف مستقرا ومقاما لتلقي العلم، والتتلمذ على كبار علماء هذه القرية، الذين قاموا بدور بارز في تلقينهم مبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي(5).

وقد شكلت زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز(6) في نفطة، ملتقى إخوان الطريقة الرحمانية في عهد

---

(1) أبو بكر بن أحمد الشريف : هو أبو بكر بن أحمد بن عبد الله الشريف، تتلمذ على يد الشيخ محمد الإمام المنزلي. أسس زاوية نفطة، ثم انتقل إلى توزر، وسكنها أوائل القرن 13 هـ / أواخر القرن 18 م، وأسس فيها زاويته، التي أصبحت معهدا لحفظ القرآن الكريم. توفي سنة 1256 هـ / 1840 م، ودفن بزاويته بالقبة الموجودة الآن. ينظر : بالقاسم بن علي بن سليمان : **حياة الشيخ محمد المولدي الشريف بوعرقية**، مخ، يوجد بزاوية سيدي المولدي بوعراقية بتوزر، تونس، وتوجد نسخة منه بمكتبة الدكتور عاشوري قمعون، الوادي، الجزائر، ص ص 62 – 64.

(2) سيدي المولدي بوعراقية : هو أبو عبد الله محمد المولدي بن أبي بكر بن أحمد. ولد سنة 1252 هـ / 1836 هـ، وعندما بلغ 5 من عمره توفي والده، فكفله عمه الشيخ محمد. ثم أخذ في حفظ القرآن الكريم، ثم العلوم الشرعية على بعض الشيوخ أمثال : العلامة الشيخ السنوسي القفصي. توفي في 27 شعبان 1335 هـ / 17 جوان 1917 م، ودفن بزاويته بتوزر. ينظر : بالقاسم بن علي بن سليمان : المصدر السابق، ص ص 7 – 17.

(3) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 177.

(4) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 10.

(5) عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص 3.

(6) مصطفى بن عزوز : هو مصطفى بن محمد بن عزوز، ولد بزاوية والده بمنطقة البرج سنة 1220 هـ / 1805 م. أخذ العلم عن شيوخ بلده، وتعاليم الطريقة الرحمانية عن الشيخ علي بن عمر الطولقي. تولى مشيخة زاوية والده بعد وفاته سنة 1233 هـ / 1818 م. وعند احتلال بسكرة سنة 1259 هـ / 1844 م، هاجر الشيخ إلى نفطة رفقة صهره الشيخ الحسين بن علي بن عمر، وأسس بها زاوية رحمانية في نفس السنة، لنشر مبادئ الطريقة بتونس. توفي في 29 ذي الحجة 1282 هـ / 14 ماي 1866 م، ودفن بنفطة. ينظر : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ج4، ص ص 148 – 149؛ عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص ص 3 – 6.

شيخها(1). كما أصبحت زاويته ذات شهرة واسعة في العلم والتصوف، حيث أنشأ فيها مدرسة لتعليم القرآن الكريم وحفظه، وتدريس كافة فنون العلم، وجهز بها بيوتا ليقيم بها المتفرغون لطلب العلم، كما أحضر لها كبار العلماء من مختلف الجهات.

وفي كتاتيب زاوية نفطة، تلقى الشيخ إبراهيم بن عامر، والحاج محمد بن إبراهيم الخليل ( 1286 – 1367 هـ / 1870 – 1948 م )، المبادئ الأولى من التعليم، بعد أن منعت فرنسا انتشار التعليم العربي في بلدهما الأم(2).

**2) أشهر الشيوخ المدرسين :**

**أ) الشيخ الحاج علي بن الحاج نصر الجريدي الزبيدي** : درّس بزاوية نفطة الرحمانية، وقد درس علي يديه الشيخ إبراهيم بن عامر.

**ب) الشيخ محمد بن حمد** : عالم مشهور في الحديث، والفقه المالكي، وعلم الفرائض، أغلب دروسه كان يلقيها في مسجد ضيف الله بنفطة(3).

**ج) الشيخ إبراهيم الصمادح** : وهو شيخ بارز في الفقه المالكي.

**د) الشيخ التابعي بن الوادي** : عالم في التوحيد، والعقائد.

**هـ) الشيخ لِحْبيِّب** : أحد المتقنين للقرآن الكريم تلاوة، ورسما(4).

**3) أشهر طلبة وادي سوف الدارسين ببلاد الجريد التونسي :**

هناك العديد من طلبة وادي سوف من درسوا بمنطقة الجريد التونسي، منهم من واصل دراسته بجامع الزيتونة، ومنهم من اكتفى بذلك وعاد إلى سوف، من أهمهم : الشيخ إبراهيم بن عامر، والشيخ الحسين حمادي، والشيخ أحمد بن القا، والشيخ مسعود عباسي ( 1310 – 1373 هـ / 1893 – 1954 م )، والشيخ الصادق زبيدي ( 1317 – 1382 هـ / 1900 – 1963 م )، والشيخ عبد الكريم حويذق ( 1326 – 1375 هـ / 1909 – 1956 م )، والشيخ العروسي حويتي ( 1329 – 1397 هـ / 1912 –

---

(1) يوسف بن حيدة : **التواصل الطرقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19 م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 18.

(2) عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص 3.

(3) محمد العيد قدع : **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902 – 1982 م**، ط1، مطبعة ذويب، الوادي، الجزائر، 2013 م، ص 46.

(4) محمد الصالح بن علي : الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، المرجع السابق، ص 39.

1978 م )[1]، والشيخ عبد الله سوسة ( 1295 – 1366 هـ / 1879 – 1947 م )[2]، والشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ عمار بن الأزعر ( 1315 – 1388 هـ / 1898 – 1969 م )[3]. وسنفصل نوعا ما أشهرهم :

**أ) الشيخ إبراهيم بن عامر :**

هو الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي بن إبراهيم بن محمد بن عامر الملقب بالعوامر[4]، ولد خلال سنة 1292 هـ / 1875 م بالوادي، وقد أظهر ميلا واضحا للعلم والتعليم، فحفظ جزءا من القرآن الكريم في صباه، وتلقى دروسا على يد بعض شيوخ قمار في المبادئ النحوية والفقهية، مثل : دراسته لـ " **متن الآجرومية** " في قواعد النحو، " **والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين** " في الفقه المالكي لعبد الواحد بن عاشر[5].

ثم رحل إلى بلدة نفطة بالجريد التونسي، للتزود بالعلم على يد بعض علمائها البارزين، أمثال : الشيخ الحاج علي بن الحاج نصر الجريدي الزبيدي، الذي درّسه بزاوية الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز. ثم رجع الشيخ إلى مسقط رأسه، وزاول تعليمه على يد شيوخ المنطقة، مثل : محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى ( 1290 – 1323 هـ / 1873 – 1905 م ) ، وعبد الرحمن العمودي ( ت 1327 هـ / 1909 م ) اللذين نصحاه بالتوجه إلى جامع الزيتونة بتونس لمواصلة دراسته العليا. وقد طبّق الشيخ إبراهيم وصية شيخيه وتوجه إلى جامع الزيتونة، أين تحصل على شهادة التحصيل.

توفي الشيخ إبراهيم بعد مرض شديد ألم به في 17 ربيع الأول 1351 هـ / 20 جويلية 1932 م، بوادي سوف[6].

**ب) الشيخ الحسين حمادي :**

هو الحسين بن علي بن حمادي بن علي بن سالم، ولد سنة 1320 هـ / 1902 م بالنخلة، وتلقى العلوم الدينية والدنيوية بين الكتّاب في المسجد والزاوية، فتلقى تعليمه الأول على يد والده الطالب علي حمادي إمام مسجد الحي، حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن الكريم، وعندما بلغ عمره 12 سنة أو أكثر

---

[1] سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 55 – 91.

[2] عبد العزيز بلعبيدي : المرجع السابق، ص ص 89 – 90.

[3] التجاني العقون : المرجع السابق، ص ص 278 – 284.

[4] سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 30.

[5] عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص 15.

[6] عاشوري قمعون : **الشيخان الشيخ إبراهيم بن عامر ( 1292 – 1351 هـ / 1875 – 1932 م ) والشيخ الهاشمي حسني ( 1320 – 1410 هـ / 1902 – 1989 م )**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2010 م، ص ص 25، 61.

بقليل، بعد أن أتم حفظ الحزب الخامس من القرآن، أخذه أبوه إلى نفطة بالجريد التونسي لطلب العلم، وبالتحديد، إلى زاوية سيدي إبراهيم القادرية بنفطة، وأوصى عليه شيوخها من أهمهم : الشيخ لِحْبِيِّب أحد أعيان نفطة، وكان ذلك أوائل شوال سنة 1329 هـ / أواخر سبتمبر 1911 م، وقد مكث بها حوالي ست سنوات، إلى حوالي سنة 1336 هـ / 1918 م، فأكمل بها القرآن حفظا ورسما، ودرس العلوم الشرعية واللغوية من فقه، وتوحيد، ونحو، وصرف، وميراث، وقد أظهر خلال دراسته بها تميزا دراسيا، فلفت انتباه شيوخه ونال به احترام زملائه وتبوأ به مكانة مرموقة عند الجميع(1).

وتتلمذ الشيخ الحسين بهذه الزاوية على يد ثلة من الشيوخ المشهود لهم بالشموخ في العلم والتبحر فيه، منهم : الشيخ محمد بن حمد، والشيخ إبراهيم الصمادح، والشيخ التابعي بن الوادي، والشيخ لِحْبِيِّب. ثم بعد ذلك واصل دراسته وتعليمه بجامع الزيتونة، إلى أن تحصل على شهادة الأهلية، ثم انتهت دراسته في السنة السادسة موسم 1349 – 1350 هـ / 1931 – 1932 م، ولم يكمل دراسة السنة السابعة للتحصل على شهادة التحصيل بسبب الاضطرابات التي وقعت في تونس عامة، وجامع الزيتونة خاصة سنة 1933 م(2).

توفي الشيخ الحسين يوم الخميس 21 جمادى الثانية 1402 هـ / 15 أفريل 1982 م(3).

**ج) الشيخ الصادق بالي :**

هو الشيخ الصادق بن العيد بالي، ولد بحي الفطاحزة أحد الأحياء الجنوبية لبلدة عميش سنة 1338 هـ / 1920 م، وبها نشأ وترعرع. أدخله والده إلى الكتّاب لحفظ القرآن الكريم، فحفظه كاملا وعمره لم يتجاوز 15 سنة، رغم أنه فقد بصره عند بلوغه السنة الثامنة من عمره، ولم يثنه ذلك عن مواصلة دراسته(4).

بعد أن حفظ القرآن على يد إمام المسجد الشيخ علي حنكة، اتصل بالشيخ الهادي عمارة بقرية الخبنة وأخذ عليه مبادئ الفقه واللغة العربية، ثم انتقل إلى نفطة بالجنوب التونسي صحبة عدد من طلبة المنطقة في رحلة علمية لمواصلة الدراسة، فأخذ من العلوم الشرعية على يد الشيخ محمد بن حمد. وبعد ذلك انتقل إلى العاصمة التونسية لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة المعمور، فدرس به كغيره من طلبة وادي إلى أن تحصل على شهادة الأهلية سنة 1364 هـ / 1945 م، ثم شهادة التحصيل سنة 1368 هـ / 1949 م(5).

---

(1) محمد الصالح بن علي : المرجع السابق، ص ص 39 – 40.

(2) محمد العيد قدع : المرجع السابق، ص ص 46 – 51.

(3) محمد الصالح بن علي : المرجع السابق، ص 171.

(4) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 107 – 108.

(5) عبد الكامل عطية : **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة السوافة نحو القطر التونسي قبل اندلا ع الثورة التحريرية 1954 م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 15.

توفي الشيخ الصادق بالي في 14 شوال 1423 هـ / 18 ديسمبر 2002 م(1).

**د) الشيخ أحمد بن القا :**

هو أحمد بن محمد بن عبد القادر بن نور الدين بن القا، ولد سنة 1301 هـ / 1884 م بڤمار. ورغم فقدانه للبصر في سنواته الأولى حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ إبراهيم بن زغودة ( 1261 – 1348 هـ / 1845 – 1930 م )، ثم تعلم مبادئ العلوم الدينية والعربية على شيوخ المنطقة، وعلى الشيوخ الوافدين عليها. ثم ما لبث أن هاجر إلى بلاد الجريد، فتعلم على يد عدد من شيوخها، ثم عاد إلى ڤمار لينخرط في سلك التعليم(2).

توفي الشيخ أحمد في 29 رمضان 1358 هـ / 11 نوفمبر 1939 م، ودفن بمقبرة ڤمار(3).

## ثالثا : رحلة طلبة العلم لجامع الزيتونة :

ابتدأ سفر الطلاب الجزائريين إلى تونس لطلب العلم في جامع الزيتونة في النصف الثاني من القرن 13 هـ / 19 م، بأعداد قليلة، ثم ازدادت في العقد الثالث من القرن 14 هـ / العقد الأول من القرن 20 م، لتتدفق الهجرات بعد الحرب العالمية الأولى، حيث صارت تونس مقصد كل من يريد الثقافة العربية الإسلامية الواسعة.

وعن طريق الرحلات العلمية الموجهة إلى تونس خلال الفترة من 1317 – 1358 هـ / 1900 – 1939 م، تخرّج العديد من طلبة وادي سوف ممن تلقوا تعليما في جامع الزيتونة.

كما تظهر هذه الرحلات تمازج سكان المنطقتين، وعمق التبادل العلمي بينهما، وتبين أيضا المشاعر التي ظل يكنّها خريجو الزيتونة لدور تونس، ودور جامع الزيتونة في إثراء الحياة العلمية والثقافية بوادي سوف.

**1) الدراسة بجامع الزيتونة :**

**أ) التعريف بجامع الزيتونة :**

يعد جامع الزيتونة أحد أقدم معاهد العلم والتعبد بتونس والعالم الإسلامي، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسه، ويُرجح أن من أمر ببنائه هو حسان بن النعمان ( ت 86 هـ / 705 م ) سنة 79 هـ / 698 م. ثم قام عبيد الله بن الحبحاب بإتمام عمارته سنة 114 هـ / 732 م(4).

---

(1) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 108 – 109.

(2) التجاني العقون : المرجع السابق، ص 30.

(3) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 35 – 36.

(4) ثريا بن حمد : **مساجد ومعالم جامع الزيتونة**، نشرية الخبر الإسلامي، العدد الأول، ( د، د، ن )، تونس، 5 ذو القعدة 1433 هـ / 21 سبتمبر 2012 م، ص 4.

يقع الجامع في قلب مدينة تونس القديمة، وقد عرف عبر الزمن عدة ترميمات وإضافات(1). ولا تعود شهرة هذا الجامع إلى الدور الذي لعبه كمسجد للصلاة والعبادة فحسب، بقدر ما تعود إلى الدور العلمي والثقافي الذي اضطلع به عبر العصور، حيث تكفّل بتدريس العلوم الإسلامية بداية من سنة 120 هـ / 738 م. وبذلك يعتبر أقدم جامعة عربية إسلامية استمرت تؤدي دورها قرابة 13 قرنا متتالية دون انقطاع. فقد أكد المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب هذه العراقة بقوله : « إنّ جامع الزيتونة هو أسبق المعاهد التعليمية للعروبة مولدا وأقدمها في التاريخ عهدا »(2).

وظل جامع الزيتونة باعتباره مؤسسة علم وعبادة مزدهرا إلى أواخر العهد الحفصي 634 – 981 هـ / 1236 – 1573 م، حتى أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي تتلمذ فيه ودرّس به؛ اعتبره في طليعة المؤسسات التعليمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين 8 و9 هـ / 14 و15 م(3)، حيث كان التعليم فيه يشمل التعليم الإسلامي، والديني، والأدبي، والفلسفة، وعامة العلوم العقلية، والرياضية؛ وخصوصا الطب، والفلك، والرياضيات(4).

**ب) نظام التدريس بجامع الزيتونة :**

عرف نظام التعليم بجامع الزيتونة منذ أواخر العهد الحفصي مرحلة طويلة من التراجع، ثم شهد في إطار المد الإصلاحي الذي عرفته البلاد خلال النصف الثاني من القرن 13 هـ / 19 م، حركية إصلاحية جرت خلالها محاولات عديدة لإصلاحه. فقام أحمد باشا باي المشير الأول بترتيب التعليم بجامع الزيتونة بمقتضى الأمر المؤرخ في 28 شوال 1258 هـ / 1 ديسمبر 1842 م(5). وأصدر الوزير الأكبر المصلح خير الدين باشا ( 1237 – 1307 هـ / 1822 – 1890 م )(6) الأمر المؤرخ في 1 محرم 1293 هـ / 27 جانفي 1876 م الذي أعطى دفعا جديدا للتعليم الزيتوني، غير أن الأمر بقي حبرا على ورق بالنسبة إلى تدريس العلوم العصرية التي أراد خير الدين إدخالها في برامج التعليم الزيتوني، وذلك بسبب معارضة بعض كبار الشيوخ المحافظين(7).

---

(1) رابح فلاحي : المرجع السابق، ص 34.

(2) عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص 10.

(3) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج1، ص 706.

(4) عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص 10.

(5) خير الدين شترة : المرجع السابق، ص 700.

(6) الصادق الزمرلي : **أعلام تونسيون**، تق وتع : حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 م، ص 97.

(7) عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص 10.

وقد حرصت السلطات الاستعمارية الفرنسية طوال فترة سيطرتها على تونس 1298 – 1375 هـ / 1881 – 1956 م، فرض سياستها التربوية على الزيتونة، لتهميشها وإخماد صوتها، باعتبارها معقلا من معاقل المقاومة الثقافية ضد التسرب الاستعماري والتأثير الفرنسي في البلاد. رغم ذلك تواصلت وتيرة المطالبة بإصلاح التعليم بجامع الزيتونة، وقد صدرت مجموعة من الترتيبات، أهمّها :

**1) في شوال 1330 هـ / سبتمبر 1912 م** : ترتيب جديد ينظم التعليم الزيتوني ويقسمه إلى ثلاثة أطوار :

– **المرحلة الابتدائية** : مدته أربع سنوات، وست سنوات على الأكثر، وتنتهي بشهادة الأهلية.

– **المرحلة الثانوية** : مدته ثلاث سنوات، وتنتهي بشهادة التطويع.

– **المرحلة العليا** : مدته ثلاث سنوات(1)، وتنتهي بشهادة العالمية.

**2) في محرم 1352 هـ / أفريل 1933** : تطوير برامج التعليم، مع تغيير تسمية شهادة التطويع بالتحصيل في العلوم(2).

ومن أبرز خصوصيات التعليم الزيتوني خلال هذه الفترة، بقاء برامجه ومناهج تعليمه ثابتة. فالجامعة الزيتونية بقيت محافظة من 1258 – 1369 هـ / 1842 – 1950 م، على نفس المواد المدرسية؛ تقريبا، أهمها : التفسير، والقراءة، والسيرة النبوية، والتجويد، والحديث، والتوحيد، والعقيدة، وأصول الفقه، والفرائض، والميقات، والبيان، إضافة إلى العلوم المرتبطة بها مثل : اللغة، والأدب من نحو، وصرف، ومعاني، ورسم، وخط، وعروض، ومنطق، وكذا الهندسة، والعلوم الرياضية، وعلم المساحة(3)، والجغرافيا، وعلم الفلك، وعلم التوقيت(4).

ونلاحظ أن الدروس المخصصة للعلوم الصحيحة، كانت متواضعة، ففي سنة 1358 هـ / 1939 م نجد من بين 630 درسا ألقي في الجامع الكبير، 37 درسا فقط متعلقا بالهندسة، والحساب، والجبر، أي أقل من 6% من مجموع الدروس. أما دروس التاريخ فكانت قليلة هي الأخرى، وتعتمد بالأساس على ذكر أسماء الملوك وأبنائهم(5).

ومهما يكن من أمر، فإن الطلبة الجزائريين الملتحقين بجامع الزيتونة بطريقة نظامية أو حرة، يتلقون دروسهم مجانا، وهم ليسوا مجبرين على الحضور يوميا. وكانت الدروس تسير عاديا من بداية شهر أكتوبر إلى نهاية شهر

---

(1) خالد بوهند : **جامع الزيتونة ودوره في تكوين النخبة الدينية الإصلاحية ( علماء وادي سوف أنموذجا )**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص ص 3 – 4.

(2) عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص 11.

(3) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج1، ص 704.

(4) خالد بوهند : المرجع السابق، ص 5.

(5) خير الدين شترة خير الدين : المرجع السابق، ص 704.

جوان من كل عام. وكان الطلبة عند حلولهم بتونس، يقيمون في الزوايا القديمة للمدينة، أو في أماكن أخرى كالحُبُس المخصصة للطلبة المحتاجين، حيث تقدم لهم إعانات مادية، أو في المدرسة الواقعة بشارع تربة الباي[1].

**2) أشهر الشيوخ المدرسين :**

من بين مشايخ جامع الزيتونة نجد : إبراهيم النيفر، ومحمد البشير النيفر ( 1304 – 1394 هـ / 1887 – 1974 م )[2]، وأحمد جمال الدين، وعثمان بن المكي التوزري ( ت 1348 هـ / 1930 م )[3]، وسالم بوحاجب، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الأخضر بن الحسين، ومحمد النخلي، ومحمد الفاضل بن عاشور، ومحمد النجار. وسنفصل نوعا ما أشهرهم :

**أ) الشيخ سالم بوحاجب :**

هو الشيخ سالم بوحاجب بن عمر بوحاجب النبيلي، ولد سنة 1242 هـ / 1827 م[4]، من أعلام عصره، فقيه مجتهد، ولغوي، وأديب، وشاعر. كان أحد كبار مدرسي الزيتونة، كما ولّي خطة الإفتاء سنة 1322 هـ / 1905 م. له عدة مؤلفات أهمها : **" شرح على ألفية بن عاصم في الأصول "، " وتقارير على البخاري "، " وديوان خطب ".**

توفي الشيخ سالم سنة 1342 هـ / 1924 م[5].

**ب) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور :**

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ولد في شوال 1296 هـ / سبتمبر 1879 م، كفله جده للأم الشيخ محمد العزيز بوعتور ( 1240 – 1324 هـ / 1825 – 1907 م )، وحفظ القرآن في السادسة من عمره، كما تعلم الفرنسية، ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1310 هـ / 1892 م. تتلمذ على يد العديد من الشيوخ والعلماء الأجلاء، حتى نال شهادة التطويع سنة 1314 هـ / 1896 م[6].

شرع في التدريس بجامع الزيتونة بوصفه متطوعا في جمادى الثانية 1317 هـ / أكتوبر 1899 م، ثم ولّي خطة التدريس من الطبقة الثانية في ذي القعدة 1320 هـ / جانفي 1903 م، وتقلد أيضا إدارة جامع الزيتونة لمد سنة واحدة في 1351 هـ / 1932 م.

---

(1) خالد بوهند : المرجع السابق، ص 8.

(2) محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 م، ص 67.

(3) محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994 م، ص 197.

(4) عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص 7.

(5) الصادق الزمرلي : المرجع السابق، ص 175.

(6) محمد الطاهر بن عاشور : **أليس الصبح بقريب**، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2006 م، ص 230.

هو الإمام الضليع في العلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية، ومن أهم مؤلفاته : " **التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم** "، " **وقصة المولد النبوي الشريف** "، " **ومقاصد الشريعة الإسلامية** "[1].

درس على يده العديد من طلبة وادي سوف، من أهمهم : محمد الطاهر التليلي، والحسين حمادي، والطاهر العبيدي، وأحمد العبيدي ( 1306 – 1398 هـ / 1888 – 1977 م )[2]، وحمزة بوكوشة.

توفي الشيخ محمد الطاهر في 14 رجب 1393 هـ / 12 أوت 1973 م، ودفن بمقبرة الزلاج بتونس[3].

**ج) الشيخ محمد النخلي :**

هو الشيخ أبو عبد الله محمد النخلي القيرواني. ولد بالقيروان سنة 1284 هـ / 1867 م. شاعر، وفقيه، وأحد كبار علماء جامع الزيتونة. تأثر بمدرسة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، فكان ناقدا خبيرا، وأستاذا كبيرا، نابغة في الذكاء والمحاضرة. تصدّر للتدريس بجامع الزيتونة وبالمدرسة الخلدونية، فتخرج عليه الكثير من العلماء والطلبة. له ألفية في الجغرافيا.

درس على يده العديد من طلبة وادي سوف، من أهمهم : إبراهيم بن عامر، والطاهر العبيدي، وأحمد العبيدي.

توفي الشيخ محمد النخلي في رجب 1342 هـ / فيفري 1924 م[4].

**د) الشيخ محمد الفاضل بن عاشور :**

ولد الشيخ محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور سنة 1327 هـ / 1909 م، درّس بالمعهد الصادقي وبجامع الزيتونة، تخرج على يديه الكثير من الطلبة. كان الشيخ محمد الفاضل رائدا من رواد الحركة الوطنية في تونس، ورئيسا لعدة جمعيات، وخطيبا بارزا، وعالما كبيرا، وهو ما جلب إليه غضب وسخط الإدارة الفرنسية[5].

توفي في 17 صفر 1390 هـ / 23 أفريل 1970 م[6].

---

[1] عاشوري قمعون : العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المرجع السابق، ص 17.

[2] عاشوري قمعون : **الشقيقان الشيخ الطاهر العبيدي ( 1304 – 1387 هـ / 1886 – 1968 م ) والشيخ أحمد العبيدي ( 1306 – 1398 هـ / 1888 – 1977 م )**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2010 م، ص ص 65، 87.

[3] محمد الطاهر بن عاشور : المصدر السابق، ص 230.

[4] محمد محفوظ : المرجع السابق، ج5، ص ص 26 – 27.

[5] خالد بوهند : المرجع السابق، ص 6.

[6] الصادق الزمرلي : المرجع السابق، ص 349.

**هـ) الشيخ محمد النجار :**

هو أبو عبد الله محمد بن عثمان بن النجار، من كبار علماء الزيتونة، ولد في 15 شعبان 1255 هـ / 23 أكتوبر 1839 م، ارتقى إلى التدريس من الطبقة الأولى سنة 1287 هـ / 1870 م، فدرّس الأصول، والفقه، والتفسير، والبلاغة، والمنطق، وتولّى منصب الإفتاء في 12 صفر 1312 هـ / 14 أوت 1894 م، وكان يجمع بين هذا المنصب والتدريس في جامع الزيتونة. له عدة مؤلفات في مختلف العلوم، أهمها : " **إملاءات على أبواب من صحيح البخاري** "، " **وبغية المشتاق في مسائل الاستحقاق** ".

درس على يده العديد من طلبة وادي سوف، من أهمهم : الطاهر العبيدي، وأحمد العبيدي، وعمار بن الأزعر.

توفي في 6 رمضان 1331 هـ / 8 أوت 1913 م(1).

**3) أشهر طلبة وادي سوف الدارسين بجامع الزيتونة :**

من بين طلبة وادي سوف الذين زاولوا دروسهم بجامع الزيتونة خلال القرن 14 هـ / 20 م نجد : عبد القادر الياجوري الذي انتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1343 هـ / 1925 م، ليتخرج منه بشهادة التطويع سنة 1353 هـ / 1934 م(2)، كما نجد علي بن سعد خيران، الذي هاجر إلى جامع الزيتونة سنة 1346 هـ / 1928 م، ومكث به أربع سنوات ليتحصل على شهادة التطويع سنة 1350 هـ / 1932 م، بالإضافة إلى الحفناوي هالي ( 1329 – 1384 هـ / 1911 – 1965 م )(3)، الذي هاجر بدوره إلى تونس ليلتحق هو الآخر بجامع الزيتونة، لينال شهادة التطويع بعد سنوات(4). وكذا نجد : محمد الطاهر التليلي، وعبد العزيز الشريف، وحمزة بوكوشة، والطاهر العبيدي. وسنفصل نوعا ما أشهرهم :

**أ) الشيخ محمد الطاهر التليلي :**

هو محمد الطاهر بن بلقاسم بن أحمد التليلي. ولد ببلدة قمار في 6 ذي الحجة 1328 هـ / 8 ديسمبر 1910 م، وبها نشأ وترعرع وحفظ القران الكريم، وتلقى الدروس الأولية في مبادئ علوم الدين واللغة على مشايخ القرية. ولما بلغ 17 من عمره، ارتحل إلى جامع الزيتونة طلبا للعلم والمعرفة، وبقي متفرغا للدراسة سبع سنوات إلى

(1) محمد محفوظ : المرجع السابق، ج5، ص ص 16 – 17.

(2) أحمد صاري : المرجع السابق، ص 49.

(3) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 87 – 88.

(4) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 164.

غاية حصوله على شهادة التطويع سنة 1352 هـ / 1934 م، وبعدها رجع إلى مسقط رأسه قمار، فانخرط في مجتمعه وبدأ مسيرته في التعليم والتدريس.

توفي في 17 رمضان 1424 هـ / 11 نوفمبر 2003 م(1).

**ب) الشيخ عبد العزيز الشريف :**

هو عبد العزيز الشريف بن الشيخ محمد الهاشمي بن إبراهيم بن أحمد الشريف. ولد بقرية عميش سنة 1316 هـ / 1898 م. حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم رحل إلى تونس لاتمام دراسته في جامع الزيتونة سنة 1331 هـ / 1913 م، فدرس به إلى أن تحصل على شهادة التطويع في شوال 1341 هـ / جوان 1923 م. وبعد عودته إلى سوف تولى مشيخة الزاوية القادرية ببلدته.

توفي بتونس في 2 صفر 1385 هـ / أول جوان 1965 م(2).

**ج) الشيخ حمزة بوكوشة :**

هو حمزة بن البشير بن أحمد بن بوكوشة بن شنوف، ولد سنة 1325 هـ / 1907 م، حفظ القرآن الكريم وهو في 14 من عمره، ثم انتقل إلى مدينة بسكرة للعيش مع والده، فتتلمذ على يد الشيخ علي بن إبراهيم العقبي بالزاوية القادرية، والشيخ المختار بن عمر اليعلاوي. ولما بلغ 17 من عمره توجه إلى تونس لإتمام دراسته بجامع الزيتونة، فنال شهادة التطويع سنة 1349 هـ / 1930 م.

توفي الشيخ حمزة بوكوشة يوم الإثنين 8 ذي القعدة 1414 هـ / 18 أفريل 1994 م(3).

**د) الشيخ الطاهر العبيدي :**

ولد الشيخ الطاهر العبيدي بن العبيدي بن علي خلال سنة 1303 هـ / 1886 م، بمدينة الوادي، وبها نشأ وترعرع وحفظ القرآن الكريم في سن 12 من عمره، كما تلقى مبادئ العلوم على يد شيوخ وعلماء المنطقة البارزين، من بينهم : الشيخ علي بن صابر ( ت 1909 م )، وعبد الرحمن بن محمد العمودي، والعربي بن محمد الصالح. وفي سنة 1321 هـ / 1904 م انتقل إلى تونس لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة، فتلقى العلم على عدة شيوخ في مختلف العلوم الشرعية من أمثال : الشيخ الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد الأخضر بن الحسين(4).

---

(1) إبراهيم رحماني : المرجع السابق، ص ص 15 – 45.

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 47 – 49.

(3) عاشوري قمعون : العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص ص 13 – 164.

(4) عاشوري قمعون : الشقيقان، المرجع السابق، ص ص 9 – 15.

قضى الشيخ الطاهر العبيدي مدة ثلاث سنوات بجامع الزيتونة، ثم عاد إلى مدينة الوادي قبل أن يتم دراسته بسبب ظروف والده المالية المتدهورة. وكان عصاميا مجتهدا، فتمكن من تكوين نفسه في علوم كثيرة. وقد استقر الشيخ بمدينة تقرت وتفرغ لتعليم وتدريس المواد الفقهية، وقواعد وأصول اللغة العربية(1).

توفي الشيخ في 28 شوال 1387 هـ / 28 جانفي 1968 م بمدينة تقرت(2).

## رابعا : جهود طلبة وادي سوف بتونس في المجالات الثقافية والعلمية :

اعتبارا لتكوينهم وتطلعاتهم نشأت بين طلبة وادي سوف وعديد الجمعيات والمنظمات الناشطة بتونس؛ علاقات وطيدة طيلة فترة دراستهم، وقد تراوحت هذه العلاقات بين الطابع الخاص والروابط الشخصية، لتشمل الجانب العلمي، والثقافي، والأدبي، والتنسيق المتبادل بين الطرفين، لاسيما منذ نهاية الحرب العالمية الأولى؛ بنمو الحركة الثقافية والإبداعية التونسية، وتزايد عدد طلبة وادي سوف الدارسين بتونس.

### 1) جهودهم في المجال الصحفي :

بفضل ما أتاحته الصحف التونسية من مجالات للتعبير والكتابة بالنسبة للطلبة الجزائريين؛ خاصة الدارسين بجامع الزيتونة، ظهرت النواة الأولى للأدباء، والكتاب، والشعراء الذين كانت ولادتهم الأدبية في الصحف والمجلات التونسية التي تبنت إنتاجهم المبكر، وشجعتهم على الكتابة، وكذا تناول القضايا الوطنية الجزائرية، والتعريف بنضال شعبهم(3).

فالطالب الجزائري في تونس لم يكتف بدور الطالب الذي يتلقى الدرس فقط، وإنما ساهم مساهمة فعالة فيما كانت تزخر به تونس؛ خاصة بعد رفع الحصار على الصحافة التونسية منذ سنة 1338 هـ / 1920 م، من نشاط فكري، وأدبي، وسياسي(4).

ومن خيرة من اشتهر في العمل الصحفي خلال هذه الفترة ضمن طلبة وادي سوف، الصحفي عبد الرحمان اليعلاوي؛ الذي تعود أصوله إلى وادي سوف، فكان له نشاط صحفي مميز حول العديد من القضايا الاجتماعية خلال الأربعينيات من القرن 14 هـ / العشرينات من القرن 20 م. فلقد كتب هذا الأخير العديد من المقالات على أعمدة الصحافة التونسية، ونشرت خاصة في الصحف التالية : لسان الشعب 43 مقالا، وجحجوح 11

---

(1) عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص 14.

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 40.

(3) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص 1306.

(4) محمد صالح الجابري : المرجع السابق، ص ص 183 - 185.

مقالا، والأمة، ومرشد الأمة، والمبشر، والنديم، والممثل، وإفريقيا(1). بالإضافة إلى ذلك فقد مثلت المنازل الخاصة مجالا للقاءات المثقفين، ويُذكر أنه استقبل في أكثر من مناسبة بغرفته الكائنة بنهج الصباغين بالعاصمة، العديد من هؤلاء، مثل : الشاعر الشاذلي خزندار ( 1298 – 1373 هـ / 1881 – 1954 م )، والحبيب جاوحده القيرواني(2).

كما أن محمد العيد آل خليفة الذي تعود أصوله أيضا إلى وادي سوف، لما التحق بجامع الزيتونة سنة 1339 هـ / 1921 م، أرسل إلى جريدة العصر الجديد أول قصيدة نظمها، ليتم نشرها لاحقا. وكانت أهم المواضيع التي نشرت في الصحف التونسية لمحمد العيد، بعض المراسلات المحلية، والقصائد الشعرية(3).

بالإضافة إلى ذلك، تولى بعض طلبة وادي سوف؛ وخصوصا منهم من كانت لهم موهبة القلم، الكتابة في بعض الصحف الأدبية والثقافية التونسية، مثل : الإرادة، والأفكار، والتقدم، والزهرة، والصباح، والنهضة، والصريح، وصوت الطالب الزيتوني، والعمل، ولسان الشعب، والأسبوع، ومن المجلات : الثريا، والمباحث، والزيتونية، والشباب التونسية، والصادقية، وغيرها من الصحف والمجلات الأدبية والفكرية المختصة التي كان يرسل إليها الطلبة مقالاتهم وإسهاماتهم حول بعض القضايا الثقافية(4).

وظهرت مع الأربعينيات من القرن 14 هـ / منتصف العشرينيات من القرن 20 م، طلائع الجزائريين المقيمين داخل تونس، فساهمت بالكتابة في الصحافة التونسية جراء الانفراج السياسي والإصلاحي الذي كان يسود تونس خلال هذه الفترة(5)، وأول ما تجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص؛ هو تعدد هذه المشاركات وتنوعها، وارتباط أصحابها بصحف معينة، إذ كثيرا ما لاحظنا اقتصار الكاتب الجزائري على التحرير في صحيفة واحدة دون غيرها، نظرا لارتباط هذا الكاتب بأحد محرري هذه الجريدة، كعلاقة الصداقة التي كانت بين حمزة بوكوشة ومحمود بورقيبة محرر الركن الأدبي في جريدة الوزير، الأمر الذي جعل حمزة ينشر جل إنتاجه في هذه الجريدة(6).

كما كان الشيخ حمزة بوكوشة ينشر في الخمسينيات من القرن 14 هـ / الثلاثينيات من القرن 20 م، مقالات وقصائد في الصحف التونسية، فقد نشر قصيدة رثاء عند وفاة شيخه إبراهيم بن عامر سنة 1350 هـ / 1932 م، في جريدة الوزير، وقصيدة " إلى بني وطني الأعزاء " في 21 جمادى الأولى 1346 هـ / 15 نوفمبر

---

(1) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص 1332.

(2) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 22.

(3) محمد صالح الجابري : المرجع السابق، ص 187.

(4) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 27.

(5) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج1، ص 516.

(6) محمد صالح الجابري : المرجع السابق، ص 186.

1927 م، وقصيدة زهرة الشاطئ في 13 جمادى الثانية 1351 هـ / 13 أكتوبر 1932 م في نفس الجريدة(1). وقد اتفق على أن الرجل كان كاتبا وصحافيا بامتياز، حيث كتب مقالات أدبية، واجتماعية، وتاريخية، ونقدية هامة، وكذا في مواضيع سياسية جريئة(2).

## 2) جهودهم في المجال التعليمي :

لقد نبغ في رحاب جامع الزيتونة مئات العلماء الجزائريين، وأسهموا في حركته العلمية إسهاما مرموقا، فكانوا من تلاميذه النبغاء، ثم أصبحوا من علمائه ومدرسيه وفقهائه وخطباء منابره(3).

فنجد بعضا من طلبة وادي سوف قد حصلوا على درجة وقدر من التعلم، أهلهم للتدريس بكثير من المساجد والمدارس بتونس، مثل : الشيخ الطيب الزاير ( 1306 – 1388 هـ / 1889 – 1969 م )، فبعد حفظه للقرآن الكريم على شيوخ مسقط رأسه بقمار، هاجر سنة 1337 هـ / 1919 م إلى جامع الزيتونة، وبه أتم دراسته، وتوج ذلك بحصوله على شهادة التطويع؛ ليعين بعد ذلك إماما في جامع زغوان بمدينة تونس، وإلى جانب إمامة الصلاة، تولى تعليم كتاب الله تعالى للنشء، وبقي في هذه الوظيفة إلى غاية حصوله على التقاعد سنة 1381 هـ / 1962 م(4).

والشيخ السعيد بن محمد بلعبيدي ( 1310 – 1374 هـ / 1893 – 1955 م )، حيث التحق سنة 1341 هـ / 1923 م بجامع الزيتونة، فحصل على شهادة التطويع، وشهادة التحصيل في القراءات، وأثناء سنوات الدراسة كان يقوم بتعليم أبناء بعض العائلات التونسية في منازلهم، من أشهرها : عائلة سالم بوحاجب، وعائلة ابن ميلاد، وعائلات النيفر(5).

ومن بين الشخصيات التي قامت بدور هام في نشر التعليم الديني والقرآني، الشيخ الحسين حمادي الذي احتضنته تونس طالبا متعلما في زوايا بلاد الجريد التونسي وجامع الزيتونة، ثم معلما وخطيبا بها. فأثناء دراسته بزاوية سيدي إبراهيم بنفطة، وصلته ذات مرة رسالة من أبيه، يقول له فيها : « راهي جاتك 50 فرنكا، وأنا

---

(1) حمزة شنوف بوكوشة : **من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب**، جمعه ونشره : سهيل شنوف، ط1، جوليت، الجزائر، 2012 م، ص ص 32 – 49.

(2) عاشوري قمعون : العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص 54.

(3) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 8.

(4) التجاني العقون : المرجع السابق، ص 154.

(5) عبد العزيز بلعبيدي : المرجع السابق، ص ص 11 – 13.

أكتب الرسالة وهي ليست لدي وإنما سلفا »(1). حينها أدرك الشيخ الحسين مدى العوز الذي يحياه أبوه وأهله بالنخلة، فقرر التوقف عن الدراسة بالزاوية والبحث عن عمل يكتسب منه(2).

وذهب الشيخ من نفطة إلى توزر، ومن ثم ركب القطار، حيث قادته الصدفة للتعرف على شخص في محطة القطار من قرية المكناسي، كان عائدا من توزر، وعند تجاذب أطراف الحديث علم الرجل بحفظ الشيخ الحسين للقرآن الكريم، وأنه من طلاب العلم والمعرفة، فطلب منه أن يعلّم عندهم الأطفال، واقترح عليه مرافقته إلى قرية أولاد العمامي، لأنهم يبحثون عن معلم للقرآن الكريم، فوافق الشيخ الحسين على المقترح وصحبه، كما رحّب رفقة إخوة هذا الأخير على إنشاء مدرسة قرآنية هناك(3).

وهكذا تمكن الشيخ من الحصول على عمل يعيل منه نفسه ويساعد به أهله، فاشتغل معلما وإماما يدرس بأولاد العمامي مدة قاربت 20 سنة، تولى خلالها إمامة القرية، وتعليم القراءة والقرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية، والعلوم الشرعية. وبعد مرور بعض السنوات، في نفس الوقت الذي كان يدرس بهذه القرية، كان يتردد على جامع الزيتونة لإكمال دراسته(4).

كما تولى عدد من طلبة وادي سوف؛ وخصوصا منهم من كان على وشك التخرج، إلقاء بعض المسائل في اختصاصات أدبية أو علمية على تلامذة الأقسام النهائية، حول بعض المسائل المدرجة في البرامج الرسمية، وكانت المبادرات تصدر من قبل الطلبة أنفسهم شعورا منهم بوجوب تأطير ودعم الزاد المعرفي للتلامذة المقبلين على امتحانات الارتقاء أو التخرج، أو باقتراح من جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين(5).

### 3) جهودهم في المجال الجمعوي :

منذ فترة التحاقهم بالجامع الأعظم نسج طلبة وادي سوف علاقات بالجمعيات والمنظمات الوطنية الموجودة على الساحة التونسية، فانخرطوا فيها ونشطوا داخلها، فكانت للعديد منهم محطات نضالية بارزة(6). وبالرغم من مشاغل الدراسة والصعوبات المادية التي كان يواجهها جل الطلبة خلال فترة دراستهم بتونس، فقد حرص البعض منهم على إبقاء قنوات الاتصال والترابط مع هذا المحيط، والقيام ببعض النشاطات خلال العطل

---

(1) محمد السعيد عقيب : **الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 2.

(2) محمد العيد قدع : المرجع السابق، ص 48.

(3) محمد الصالح بن علي : المرجع السابق، ص ص 41 – 43.

(4) محمد العيد قدع : المرجع السابق، ص 50.

(5) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 27.

(6) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص 1200.

المدرسية. فقد حافظ جل الطلبة الجزائريون على العلاقة التي كانت تربطهم بالجمعيات والنوادي الثقافية التونسية، حيث كانت مقرات هذه الجمعيات منابر للحوار حول بعض المؤلفات الأدبية والفكرية الصادرة حديثا بتونس أو بالعالم العربي، أو حول المناهج والاتجاهات الفكرية والعلمية الحديثة(1).

وجاء في مقال نشره محمد الصالح المهيدي أنه وبقصد التحضير لزيارة الشيخ بن باديس إلى العاصمة التونسية يوم 11 شوال 1355 هـ / 25 ديسمبر 1936 م، عزم مجموعة من الشباب الجزائري – أغلبهم أصلهم من وادي سوف – المقيم بتونس، على إنشاء جمعية جزائرية بحتة تحت اسم : " جمعية الإخاء الجزائري "، تنال الشرف في أن يتبناها الشيخ ابن باديس(2).

كما طُرحت فكرة توحيد الشبيبة المغربية بكل مجالاتها السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وقد طرح هذه الفكرة محمد العيد الجباري ( 1329 – 1361 هـ / 1911 – 1942 م )، بحيث تمكّن في شوال 1355 هـ / ديسمبر 1936 م من إنشاء منظمة طلابية جمعت شمل طلاب أقطار المغرب الثلاث : تونس، والجزائر، والمغرب، وقد عُرفت المنظمة في وقتها تحت اسم " شبيبة شمال إفريقيا الموحدة ". وبعد مضي أقل من شهر على تأسيس هذه الجمعية، وصل عدد المنخرطين فيها إلى ما يناهز 100 منخرط، من بينهم 31 منخرطا أصلهم من وادي سوف(3).

كما تشكلت في رحاب جامع الزيتونة جمعية طلابية جزائرية أخرى ذات طابع ثقافي اجتماعي خلال فترة الثلاثينيات، هي " جمعية الشباب السوفي الزيتوني "، التي جمعت في صفوفها الطلبة والشباب القادمين من وادي سوف إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة(4). حيث جاء في إحدى المراسلات المحررة من طرف المصالح الأمنية التابعة للمقيم العام بتونس أنها : « جمعية تأسست من طرف جماعة من الجزائريين من أصول وادي سوف، بهدف مساعدة مواطنيهم الطلبة في الجامع الكبير، وهو تجمّع لا يملك أي صبغة سياسية »(5).

كما تضمّنت مراسلة أخرى تقريرا مفصلا من طرف المصالح الأمنية موجّه إلى الإقامة العامة، حول ظروف انعقاد الجمعية العامة لهذه الجمعية، جاء فيه : « أن هذه الجمعية قد انعقدت تحت رئاسة الطالب الحفناوي هالي

---

(1) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص 1201.

(2) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 22.

(3) نفسه، ص 23.

(4) محمد السعيد عقيب : **جمعية الشباب السوفي الزيتوني**، مجلة البحوث والدراسات، العدد الثالث، السنة الثالثة، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، جمادى الأولى 1427 هـ / جوان 2006 م، ص 62.

(5) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 23.

لخضر ( 26 سنة ) بالحاضرة، أواسط شهر جويلية 1936 م، وأسفرت عن وضع قانون أساسي للجمعية يحدد أهدافها كما يلي :

– توطيد كل أشكال الصداقة والأخوة بين الطلبة الجزائريين الدارسين بجامع الزيتونة بصفة عامة، وبين الطلبة من وادي سوف بصفة خاصة.

– تكوين رابطة بين مجموع الطلبة بهدف تيسير العقبات التي عادة ما تصادف الطالب الجزائري بتونس سواء منها المادية أو المعنوية(1).

– مساعدة الطلبة القادمين من وادي سوف إلى تونس، والتكفل بانشغالاتهم المختلفة، والدفاع عن مصالحهم المرتبطة بالجانب الدراسي والاجتماعي.

– إنشاء صندوق للجمعية من تبرعات واشتراكات الطلبة المنضوين داخل الجمعية وفق شروط وضوابط معينة.

– تفعيل النشاط الثقافي، والإبداعي، والأدبي في وسط الطلبة الجزائريين الدارسين بجامع الزيتونة ».

أما أعضاؤها فيتم اختيارهم من بين المتمدرسين بجامع الزيتونة، أو من الأشخاص الراغبين في النشاط وفق ما حددته الجمعية من مبادئ وأهداف(2). وقد تمخضت الجمعية العامة السابقة الذكر عن تشكيلة شبابية أهمها :

– الرئيس : عبد الرحمن بن أحمد بن لخضر، طالب بجامع الزيتونة.

– نائب الرئيس : محمود بن محمد بن أحمد المناعي، واصل تعليمه بجامع الزيتونة، ثم عمل سائقا في الترمواي بتونس، ثم تاجرا في الزيوت.

– الكاتب العام : مصباح بن الطيب، طالب بجامع الزيتونة.

– أمين المال : عمر باري، متحصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة، ثم اشتغل تاجرا في الصوف.

– الأعضاء، وأهمهم : يوسف بن إبراهيم، والطاهر علالي، وبشير بن عثمان، ومحمد الصالح الطيب، وهم طلبة بجامع الزيتونة(3).

وقد مُنح الترخيص لهذه الجمعية في 17 ذي القعدة 1355 هـ / 28 جانفي 1937 م، في مراسلة من مصالح الحكومة العامة تحت رقم ( 6 – 2373 )(4).

---

(1) شترة خير الدين : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص ص 1206 – 1207.

(2) محمد السعيد عقيب : جمعية الشباب السوفي الزيتوني، المرجع السابق، ص 66.

(3) محمد السعيد عقيب : **جمعية الشباب السوفي الزيتوني**، وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة، المرجع السابق، ص 112 – 113.

(4) خير الدين شترة : المرجع السابق، ص 1208.

وقد كان لهذه الجمعية عدة مساهمات وأعمال تخدم أهدافها العامة من التأسيس قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، نتلمسها فيما يلي :

– التكفل بمعاناة الطلبة الجزائريين، وخصوصا منهم طلبة وادي سوف، والاهتمام بمشاكلهم ومحاولة التصدي لها، وإيجاد الحلول المناسبة.

– إجراء دورات تكوينية مكثفة في عدد من المواد المدرّسة للطلبة المقبلين على امتحانات شهادتي الأهلية، والتحصيل.

– إحياء بعض المناسبات الدينية والوطنية، كحفل المولد النبوي الشريف، وذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

– إقامة المسابقات الشعرية حول النهضة الإصلاحية، والاجتماعية، والثقافية، إضافة إلى إعداد الخطب المتنوعة وتعلّم إلقائها(1).

كما ساهم طلبة وادي سوف مع عصبة من الكتاب المفكرين الجزائريين، والتونسيين، في تأسيس " الرابطة العلمية " سنة 1342 هـ / 1924 م، وهذا سعيا منهم لإيجاد وسيلة فعالة للتضامن الفكري، والقلمي بينهم، وخدمة الحركة العلمية ببلادهم، ونفع شعبهم، والسعي في رفع مستواه العلمي، والسياسي، والاجتماعي(2).

بالإضافة إلى مساهمتهم الفعالة في تأسيس " جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين " سنة 1352 هـ / 1934 م. وكان من نشاطاتها في عهد رئيسها الأول المهدي البوعبدلي البجائي ( 1351 – 1352 هـ / 1933 – 1934 م )، هو إقامة الطلبة احتفالات عديدة بمناسبة استقبال الجدد، أو توديع الطلبة المتخرجين. ومن هذه الاحتفالات، الاحتفال الذي أقيم عند تكوين الجمعية، وقد ألقى في هذه المناسبة أحد الطلبة الشعراء من وادي سوف، وهو محمد الحفناوي بن الأخضر، قصيدة شعرية بعنوان : " **احتفال الطلبة الزيتونيين الجزائريين بتونس** "(3).

## خامسا : الجهود العلمية لطلبة وادي سوف الدارسين بتونس بالمنطقة :

إثر رجوع طلبة وادي سوف من تونس، كانت المساجد تستوعبهم للإمامة والتدريس، أو المدرسة القرآنية في حيهم القريب لتلقين الأطفال وتعليمهم، وقد تمكنوا من إحداث ثورة علمية، فجددوا المعارف، وقدّموا لطلبة القرآن علوما جديدة؛ رغم إمكاناتهم المحدود. فكان الأساس هو التعليم القرآني، وعلى هامشه يتم تقديم دروس

(1) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص 1208.

(2) خير الدين شترة : الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، المرجع السابق، ص 27.

(3) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج2، ص 1208.

في العلوم الدينية واللغوية؛ مثلما فعل الشيخ عمار بن الأزعر، والشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ محمد الطاهر التليلي في ڤمار، والشيخ أحمد التجاني بالبياضة(1)، والشيخ السعيد بن محمد بلعبيدي بكوينين(2)، والشيخ الحسين حمادي في بلدة النخلة، والشيخ عبد الرحمن معمري ( 1321 – 1376 هـ / 1904 – 1957 م )(3)، والشيخ أحمد غولي ( 1305 – 1379 هـ / 1888 – 1960 م ) بالزقم(4)، والشيخ إبراهيم بن عامر، والشيخ الميداني موساوي، والشيخ الطاهر العبيدي بالوادي، وغيرهم كثير.

فضلا عن تحويل منازل بعض الشيوخ إلى مدارس علمية يقصدها الطلبة النجباء، فيخصص لهم الشيخ كتابا معينا يدرس في فترة قياسية، وتطور ذلك إلى تكوين مدارس عصرية، وأبرزها في ڤمار والوادي(5). وسنفصل نوعا ما أشهرهم :

### 1) الشيخ الحسين حمادي :

أثناء وجود الشيخ الحسين عند أولاد العمامي بالمكناسي كما ذكرنا سابقا، كان يزور أهله وذويه بالنخلة من حين لآخر؛ خصوصا في المناسبات. وفي إحدى الزيارات خلال شهر رمضان سنة 1358 هـ / 1940 م(6)، كان القدر يخفي شيئا ما، وهو وفاة والده علي، وبوفاته استقر نهائيا في النخلة للتدريس والإمامة بمسجدها، آخذا بوصية والده بتعليم القرآن والصلاة بالجماعة(7).

فكان يدرس بعض العلوم الدينية كالفقه، والسيرة النبوية، ومبادئ اللغة العربية، كالنحو، والصرف. وهكذا عكف الشيخ على تعليم الأجيال المتون باللغة العربية، والقرآن، وبعض العلوم الشرعية، فتخرج على يديه عدد كبير من الحفاظ لكتاب الله، قُدِّر بحوالي 95 طالبا. ومن بين الطلبة الذين حفظوا القرآن ودرسوا مبادئ بعض العلوم على يد الشيخ الحسين : الساسي حمادي، وأحمد سواكر، وعثمان سواكر، والحفناوي بن علي، ومبروك بن علي، والطاهر بقاص، والطيب دادة(8).

---

(1) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 64.

(2) عبد العزيز بلعبيدي : المرجع السابق، ص ص 11 – 12.

(3) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 69 – 70.

(4) نفسه، ص ص 44 – 45.

(5) علي غنابزية : الشيخ محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 114.

(6) محمد العيد قدع : المرجع السابق، ص 55.

(7) محمد السعيد عقيب : الشيخ الحسين حمادي، المرجع السابق، ص 4.

(8) محمد الصالح بن علي : المرجع السابق، ص ص 76 – 77.

**2) الشيخ إبراهيم بن عامر :**

عاد إبراهيم بن عامر بعد أن أتم دراسته بجامع الزيتونة إلى الوادي، وتولى وظيفة عدل في سلك القضاء بمحكمة كوينين سنة 1328 هـ / 1910 م، ثم ترقى إلى رتبة باش عدل سنة 1331 هـ / 1913 م، ثم حُوِّل إلى المحكمة الشرعية بالوادي في نفس الرتبة سنة 1334 هـ / 1916 م، فعمل على تنظيم الأحكام بها وتطبيقها وفق الفقه الإسلامي، ولا سيما مذهب الإمام مالك(1).

برز الشيخ إبراهيم بن عامر على ساحة الوادي كمصلح ومرشد يدافع عن حمى الدين واللغة العربية والفضيلة، فاتخذ من مساجد : سيدي المسعود، وسيدي سالم، والنخلة بالوادي، منبرا لتعليم الصغار والكبار. ففي الفترة الصباحية كان يُلقي على طلابه في بيته بأولاد أحمد؛ دروسا في النحو، واللغة، والفقه، وغيرها، ولا يتوقف سوى صباح يوم الجمعة. وفي الفترة المسائية كان يُقدم فيها دروسا لعامة الناس يلقيها عليهم بجامع النخلة بعد صلاة المغرب، ولا تتوقف سوى ليلة الجمعة. وقد قسم أيام الأسبوع إلى قسمين : ثلاثة أيام لشرح " **مختصر الشيخ خليل** " في الفقه المالكي، وخصص الأيام الأخرى لتفسير القرآن الكريم معتمدا أساسا على تفسير العلامة الألوسي " **روح المعاني** "(2).

وما يكاد الشيخ أن ينتهي من التدريس في المسجد، حتى ينتقل بعد كل عشاء إلى المنزل المخصص للندوات والسهرات مع الأصدقاء والرواد؛ لإلقاء دروس في التوعية السياسية والاجتماعية، وأيضا للمسامرة وقراءة الصحف والمجلات، وتوعية وإيقاظ ضمائرهم بتتبع أحداث وأخبار ما يدور حولهم.

وقد تخرج على يدي الشيخ إبراهيم بن عامر الكثير من العلماء والأئمة والمفكرين، نذكر منهم على سبيل المثال : الشيخ الميداني موساوي، والهاشمي حسني، وحمزة بوكوشة، وسي العيد بن أحمد بن بكار(3).

وأما أهم المؤلفات التي أنجزها، فهي : " **رسالة الأصول الحسان لما به ثبوت صوم رمضان** "، " **ومتن ست وستون عقيدة وشرحه** "، " **وكتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** "(4).

**3) الشيخ الطاهر العبيدي :**

لم يمكث الشيخ الطاهر العبيدي طويلا بجامع الزيتونة، فترك تونس وعاد إلى مدينة الوادي قبل أن يتم

---

(1) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 31.

(2) عاشوري قمعون : الشيخان، المرجع السابق، ص ص 35 – 36.

(3) عاشوري قمعون : **ديوان الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر السوفي ( 1351 – 1292 هـ / 1875 – 1932 م )**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2013 م، ص 26.

(4) عبد الكامل عطية : المرجع السابق، ص 14.

دراسته بسبب فقر والده. استقر الشيخ بمدينة تقرت وتفرغ لتعليم وتدريس المواد الفقهية، وقواعد وأصول اللغة العربية، وفي كل فصل صيف كان يقضي مدة ثلاثة أشهر بمدينة الوادي، فكان يقوم حينها بإلقاء دروس في الفقه، والنحو، والتفسير في جامع سيدي المسعود بسوق الوادي، ثم تحول الشيخ إلى جامع النخلة للتدريس هناك.

وقد تخرج على يديه الكثير من حفظة القرآن الكريم، وبعض العلوم، من أمثال : شقيقه الشيخ أحمد العبيدي، والشيخ الميداني موساوي، والشيخ حمزة بوكوشة، ومصطفى سالمي(1).

وإضافة إلى ما قام به الشيخ من أعمال جليلة في مجالات الوعظ، والإرشاد، والتدريس، والإفتاء، فقد خلّف لنا مجموعة كبيرة من المؤلفات الهامة، والتي تربو على العشرين كتابا في ميادين اللغة، والأدب، والفقه، وبعض القضايا الاجتماعية والفلسفية، أهمها : " **رسالة الستر** "، " **ونظم رسالة القطب الدردير في البيان بأسهل بيان** "، " **ورسالة السلاح والعدة في مهمات أحكام المعتدة** "، " **والنصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية** "(2)، " **ورسالة الطبيعة** "(3).

**وملخص الفصل،** أن العلاقات الثقافية والرحلات العلمية ما فتئت تتطور مع توالي الأزمان، وتعاقب الدهور والأيام بين وادي سوف وتونس. وهناك عدة عوامل كانت سببا في هجرة العلماء وطلبة العلم من وادي سوف إلى تونس، وأهمها : طلب العلم وحب المعرفة، أو لأجل الفرار من بطش الاستعمار، والعامل الجغرافي وتأثيره الكبير على ذلك. كما كان لجامع الزيتونة ومكانته الدينية والثقافية، دور كبير في استقطاب كثير من أبناء وادي سوف.

لكن ما ميز الهجرة إلى تونس هو أن طلبة وادي سوف ليس فقط هم الطلبة القاصدين جامع الزيتونة، بل نجد من يقصد بعض الزوايا ببلاد الجريد، كالزاوية القادرية بتوزر، والزاوية الرحمانية بنفطة. ومن أشهر الشيوخ المدرسين بها : الشيخ محمد بن حمد. ومن طلبة وادي سوف الذين درسوا بها : الشيخ إبراهيم بن عامر.

وبخصوص جامع الزيتونة، فقد شهد تزايد هجرة طلاب وادي سوف إليه منذ العقد الثالث من القرن 14 هـ / العقد الأول من القرن 20 م. ومن بين مشايخ جامع الزيتونة : سالم بوحاجب، ومحمد الطاهر بن عاشور. ومن طلبة سوف الذين دروسوا به : عبد القادر الياجوري، ومحمد الطاهر التليلي، والطاهر العبيدي.

وقد ترقى بعض هؤلاء الطلبة في تونس إلى درجات عليا على سلّم المعرفة، وأسهموا في حركتها العلمية والثقافية إسهاما مرموقا، فلعبوا دورا في تمتين العلاقات بين سوف وتونس في العديد من المجالات. فبخصوص

---

(1) عاشوري قمعون : الشقيقان، المرجع السابق، ص ص 32 – 36.

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 40.

(3) عاشوري قمعون : المرجع السابق، ص ص 43 – 49.

جهودهم في المجال الصحفي نجد جهود الشيخ حمزة بوكوشة، وفي المجال التعليمي نجد بعضا من طلبة وادي سوف قد حصلوا على درجة وقدر من التعلم أهلهم للتدريس بكثير من المساجد والمدارس بتونس، مثل : الشيخ الطيب الزاير. وفي المجال الجمعوي أبرز مثال نجد " جمعية الشباب السوفي الزيتوني ".

وبخصوص الجهود العلمية لطلبة وادي سوف الزيتونيين بالمنطقة، فيمكن القول أنهم قد قاموا بأدوار جليلة في بث الوعي الديني والثقافة الإسلامية في نفوس سكان المنطقة. كما عملوا على التفرغ للتعليم والتدريس والإرشاد والإصلاح في المساجد، والزوايا، والمدارس، مثلما فعل الشيخان : إبراهيم بن عامر، وعمار بن الأزعر. والفصل الموالي سيوضح دور الزوايا والطرق الصوفية، والحركة الإصلاحية، في الحياة العلمية بالمنطقة، وأيضا في ترسيخ وتمتين العلاقات العلمية والثقافية مع تونس.

# الفصل الثالث : جهود الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية في الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتهما بتونس

## أولا : دور الطرق الصوفية في الحياة العلمية بوادي سوف وفي ربط العلاقات بينها وبين تونس

## ثانيا : جهود الحركة الإصلاحية في الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتها بتونس

# الفصل الثالث : جهود الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية في الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتهما بتونس

إن التصوف ملمح رئيسي من الملامح التي تميز بها سكان وادي سوف، وقد تجسد هذا البعد الديني منذ القرن 13 هـ / 19 م في الطرق الصوفية المتعددة، خاصة الأساسية منها، وهي : القادرية، والتجانية، والرحمانية، والتي ساهمت بدورها في الحياة العلمية بالمنطقة، كما ساهمت في ربط العلاقات مع تونس.

ثم إن الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية بالمنطقة، ساهمت في تكريس ملامح التخلف، مما أرسى وضعا ثقافيا مترديا، جعل العديد من الشخصيات تتكون لديهم رغبة في السعي لتكريس إرهاصات الحركة الإصلاحية بالمنطقة عند بداية العقد الثالث من القرن 14 هـ / مطلع القرن 20 م، لانتشال الوضع الثقافي من الانحطاط؛ رغم السياسة الاستعمارية الممارسة على السكان قصد طمس المعالم الحضارية.

## أولا : دور الطرق الصوفية في الحياة العلمية بوادي سوف وفي ربط العلاقات بينها وبين تونس :

شهدت وادي سوف نشاطا مميزا للعديد من الطرق الصوفية خلال القرنين 19 و20 م، والتي يمكن حصر أغلب مريديها في ثلاث طرق رئيسية، وهي : القادرية، والرحمانية، والتجانية، وقد أقيم لهذه الطرق زوايا في مختلف أنحاء المنطقة، ساهمت بدورها في الحياة العلمية بوادي سوف، كما ساهمت في ربط العلاقات العلمية، والدينية، والروحية بين المنطقة وتونس؛ وبالخصوص بلاد الجريد. وإلى جانب هذه الأخيرة نجد بعض الطرق الصوفية الأقل انتشارا، والأقل مساهمة في القضايا الاجتماعية، والثقافية بالمنطقة.

### 1) الطرق الصوفية الرئيسية :

وهي الطرق الأكثر انتشارا، مما سمح لها بالتوسع وتوزع زواياها وكثرة أتباعها في ربوع وادي سوف، مساهمة بذلك في الحياة الاجتماعية، والعلمية، والثقافية، وفي ربط العلاقات مع تونس، وهذه الطرق هي :

#### أ) الطريقة القادرية :

وهي أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، حيث يعود أصلها إلى سيدي عبد القادر الجيلاني ( 469 – 560 هـ / 1077 – 1165 م )[1]، ودخولها الجزائر كان مبكرا عن طريق الحجاج إلى بيت الله الحرام، أو عبر تونس، ومنها ظهرت بوادي سوف منذ القرن 6 هـ / 12 م، فأضحى لها مقدمون يمثلونها مع ارتباطهم التام

[1] سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني : **الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م، ص 15.

بمقرها العام في بغداد، وظلت التقاليد القادرية موحدة، ممثلة في الذكر والحضرة(1).

أما تنظيم الطريقة القادرية بوادي سوف وقيادة أتباعها، فقد بدأ خلال القرن 13 هـ / 19 م، من قبل عائلة الشريف التي تقطن بلاد الجريد التونسي. ووضع النواة الأولى للطريقة القادرية بسوف الشيخ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية الشريف ( 1227 – 1291 هـ / 1813 – 1875 م )(2)، وذلك بعد تأسيس الزاوية القادرية بنفطة بالجريد التونسي سنة 1250 هـ / 1835 م، ليتجه إلى الجزائر واضعا الأساس الأول لزاوية عميش بالوادي، وكان قد تلقى التصوف على يد الشيخ أبوبكر بن أحمد بن عبد الله الشريف في زاويته بتوزر. واستمرت علاقة الشيخ إبراهيم الشريف بأهل سوف حتى وفاته، فتولى أمر الزاوية من بعده ابنه الأكبر محمد الكبير الشريف(3).

كما تمكن أبناء الشيخ إبراهيم الشريف من فتح فروع لزاويتهم بعدة أماكن، منها :

– **زاوية الرباح بمنطقة عميش** : أسسها الشيخ محمد الإمام بن إبراهيم الشريف سنة 1301 هـ / 1884 م، وكان لها دور في تحفيظ القرآن، كما كانت تعقد بها حلقات الذكر، ويتم فيها إكرام الضيوف وإطعام الفقراء والمحتاجين.

– **زاوية ڤمار** : والتي أقيمت في إطار التنافس مع الطريقة التجانية في تلك الجهة، وتولى أمرها الشيخ محمد الحسين بن إبراهيم الشريف(4).

– **زاوية عميش** : وتولى أمرها الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف، وقد جاء من نفطة إلى الوادي في حدود سنة 1303 هـ / 1886 م، فاستطاع أن يكسب ودّ الأهالي، ويقيم له سلطة روحية على معظم أتباع الطريقة القادرية بوادي سوف(5).

وقد قام الشيخ الهاشمي بنشاط كبير، فكان يدعو للعلم والنهضة، حيث كانت زاويته بعميش مهتمة بالتعليم القرآني، وكانت ترسل حفظة القرآن الكريم لإتمام تعليمهم بزاوية نفطة، أو زاوية توزر التي تولى أمرها آنذاك الشيخ المولدي بوعراقية، وقد أثنى الشيخ عبد الحميد بن باديس على الشيخ الهاشمي في هذا المسعى(6).

---

(1) مختار الطاهر فيلالي : **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ( د، س، ن )، ص 37.

(2) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص 39.

(3) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 176.

(4) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 51.

(5) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 31.

(6) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 68.

ثم كانت " هدة عميش الأولى " التي قادها الشيخ الهاشمي الشريف كما ذكرنا سابقا، وكان رد فعل السلطات الاستعمارية أن أصدرت أمرا بنفيه من وادي سوف، ففرضت عليه الإقامة الجبرية بالجزائر العاصمة لمدة سنتين. وبعد عودته إلى وادي سوف في شوال 1338 هـ / جويلية 1920 م، حاول إزاحة كل أسباب النزاع بين الطريقتين القادرية والتجانية، وقبيل وفاته أوصى أولاده بربط علاقتهم بالتجانيين، ومحاولة نبذ كل معالم النزاع معهم، وحبس كل ما لديه في سبيل العلم، كما أرسل أبناءه إلى جامع الزيتونة، وأوصى أن يكون خليفته على الزاوية المتحصل من أبنائه على شهادة التطويع(1).

وبعد وفاة الشيخ الهاشمي في 12 صفر 1342 هـ / 23 سبتمبر 1923 م، وقع الاختيار على الشيخ عبد العزيز الشريف الابن الثالث له، لكونه الحاصل على شهادة التطويع، غير أن هذا الأخير تخلى عن المنصب لصالح أخيه الأكبر عبد الرزاق الشريف، الذي لم يُعمّر طويلا في المنصب نتيجة حالته الصحية المتدهورة، ولم تدم خلافته على الزاوية إلا 3 أشهر، فما كان على الشيخ عبد العزيز الشريف الذي لم يتجاوز سن 25 من عمره؛ إلا القبول بالأمر الواقع وتولّي مشيخة الزاوية، غير أن ثقافة الشيخ عبد العزيز وطبيعته جعلته يصرح برغبته في التخلي عن المشيخة.

وهكذا استمرت حياة الشيخ عبد العزيز رتيبة دون أن يُعرف عليه بأنه قام بإصلاحات أدبية أو مادية على زاوية عميش، وفروعها في سيدي عمران، وسكيكدة، والأغواط، والجزائر العاصمة، بل انشغل باستثمار أموال عائلته؛ خاصة في تجارة التمور. واستمر الشيخ قائما على مشيخة الزاوية القادرية بعميش إلى سنة 1355 هـ / 1936 م، حين سافر إلى أداء فريضة الحج، وعند رجوعه، حدث التحول في حياته ليتجه صوب الإصلاح مشهرا دعوته ضد نبذ الخرافة، داعيا للعودة إلى الدين الصحيح(2).

**ب) الطريقة الرحمانية ( العزوزية ) :**

يعود أصل الطريقة إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري الجرجري ( 1132 – 1207 هـ / 1720 – 1793 م )، والمعروف ببوقبرين. وأخذت الطريقة تنتشر في أرجاء البلاد، وكان من بين تلامذته الشيخ محمد بن عزوز البرجي ( 1169 – 1232 هـ / 1756 – 1817 م )(3)، والذي نشر الطريقة بالجنوب، حتى أصبحت الطريقة تنسب إليه، وصار أتباع الطريقة الرحمانية يعرفون بالعزوزية. وقد زار الشيخ محمد بن عزوز وادي سوف، ومكث بها أربعة أيام ناشرا للطريقة، واستمرت مراسلاته مع مريديه في سوف، وكان من أشهرهم الشيخ

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص ص 81 – 82.

(2) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 32.

(3) عبد الباقي مفتاح : **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، 2005 م، ص 118.

" علي بالليل " من بلدة الزقم، والحاج أبو بكر، يُذكّرهم فيها بالإكثار من الذكر لبلوغ أعلى مراتب التربية الصوفية.

أما رسوخ وتوسع الطريقة بوادي سوف فكان على يد سيدي سالم العايب ( 1186 – 1276 هـ / 1772 – 1860 م )[1]، الذي أخذ الطريقة وأورادها عن الشيخ محمد بن عزوز، ثم اتصل بزاوية طولقة العزوزية وأخذ الطريقة أيضا عن الشيخ علي بن عمر الطولقي. وقد كان الشيخ سيدي سالم أميا، لكنه اتسم بالسمت الصوفي، والخلق الفاضل، ولما تحقق له إخلاص النية، عينه الشيخ علي بن عمر مقدما على أتباع الطريقة بسوف، وأوصاه بإنشاء زاوية بالوادي للتربية الروحية، وكمدرسة لتعليم القرآن الكريم، والعلوم الشرعية. فامتثل للأمر ووضع أول نواة لزاويته على شكل كوخ من الخوص ( الزريبة ) سنة 1205 هـ / 1791 م، ثم تطورت إلى زاوية في حدود سنة 1235 هـ / 1820 م، ليضاف إليها سنة 1245 هـ / 1830 م مسجدا بجوارها، وقد سهر سيدي سالم العايب على إعداد وتربية أبنائه وتحفيظهم القرآن الكريم، والارتقاء بهم في منازل العلم[2].

ثم تولى مشيخة الزاوية بعده ابنه الشيخ مصباح بن سيدي سالم ( 1255 – 1327 هـ / 1839 – 1909 م )، ليخلفه أخوه الشيخ محمد الصالح ( 1263 – 1335 هـ / 1846 – 1916 م )[3]، الذي حفظ القرآن الكريم في عمر مبكر، ودرس الفقه على الشيخ علي بن قديري، وأخذ الطريقة عن والده سيدي سالم، والشيخ مصطفى بن عزوز بزاوية نفطة. وقد انتشرت الطريقة في عهده في كل من : الوادي، والزقم، وكوينين[4]، وقمار، التي كان سي سعيد هو مقدم الطريقة الرحمانية العزوزية بها[5].

كان للطريقة العزوزية دور هام في تعليم القرآن الكريم بزاوية سيدي سالم، التي كانت مقصدا للطلبة من كامل وادي سوف، كما كان يتوافد عليها الطلبة بشكل مستمر من خارج المنطقة، من : الشاوية، واللمامشة، وأولاد سيدي عبيد، وبئر العاتر، وتبسة، وخنشلة، والزاب الشرقي، ووادي ريغ. وقد كان لهؤلاء نظام داخلي يضمن لهم من خلاله السكن والإطعام[6].

---

[1] عبد الباقي مفتاح : المرجع السابق، ص ص 174 – 176.

[2] أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص ص 44 – 45.

[3] محمد بن عزوز سالمي : **تاريخ زاوية سيدي سالم**، مخ، يوجد بزاوية سيدي سالم، الوادي، الجزائر، ص 241.

[4] Ahmed Najah : op cit, p 126.

[5] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 154.

[6] عاشوري قمعون : **دور المدارس القرآنية والزوايا في تربية الفرد تربية إسلامية معاصرة ( منطقة وادي سوف بالجنوب الشرقي للجزائر أنموذجا )**، الأوراق العلمية للمؤتمر الدولي الثاني رؤى تربوية إسلامية معاصرة – واقع وطموح، ج 1، إع وتحر : أ.د محمد علي سميران وآخرون، منشورات جامعة آل البيت، الأردن، 2012 م، ص 330.

كتّاب زاوية سيدي سالم سنة 1344 هـ / 1926 م[1]

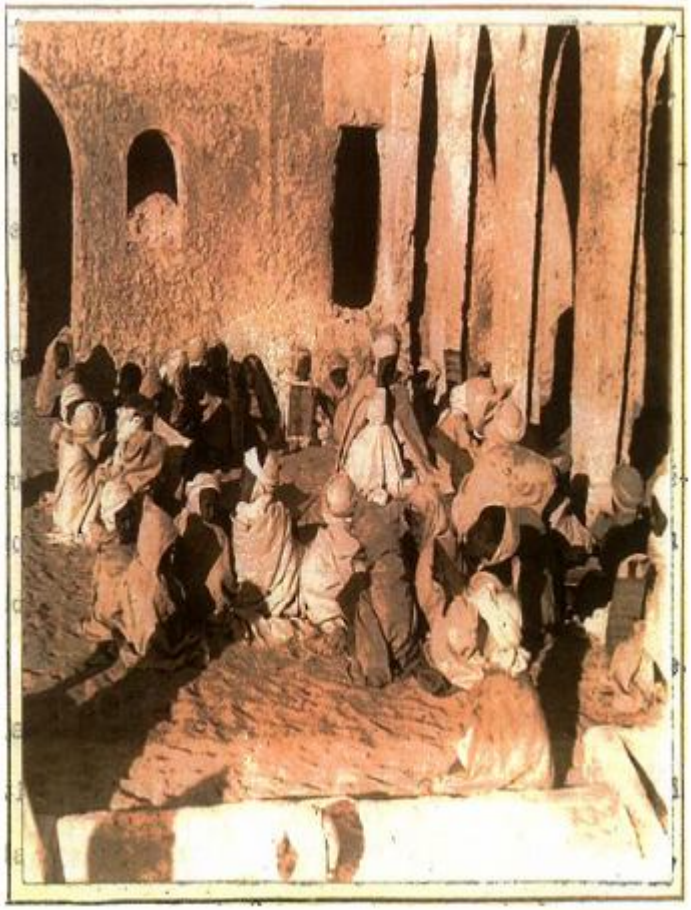

[1] موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 101.

كما تشير إحدى الإحصائيات إلى أنه تواجد بزاوية سيدي سالم سنة 1357 هـ / 1938 م، 60 تلميذا لحفظ القرآن الكريم، من بينهم 20 تلميذا من خارج وادي سوف(1).

أما طلبة وادي سوف، فكانوا يأتون إليها من أرجاء عديدة، كعميش، والطريفاوي، وتاغزوت، بالإضافة إلى أحياء الوادي، كأولاد أحمد، والأعشاش، والمصاعبة.

وقد كان هؤلاء الطلبة يحفظون القرآن الكريم على أساس طبقات، منها : الطبقة الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة. وكل طبقة من هذه الطبقات الأربع تضم عددا من الطلبة الذين وصل بهم المطاف إلى حفظ القرآن الكريم كاملا. وعلى هذا الأساس استطاعت الزاوية العزوزية تأسيس نظام تعليم يعتمد النظام الداخلي، قصد ضمان الراحة للطلبة الوافدين من أرجاء عدة(2).

ودرّس بهذه الزاوية من علماء وشيوخ المنطقة : الشيخ العربي موساوي، والشيخ إبراهيم بن عامر، والشيخ الطاهر العبيدي، والشيخ محمد بن الجديدي. كما تخرج منها الآلاف من حفظة القرآن الكريم، نجد من أشهرهم : مقرؤها الشيخ أحمد بن بكار، وابنه سي العيد، الذي كان إماما ومعلما للقرآن الكريم بالزاوية قرابة 40 سنة(3).

ولما توفي الشيخ محمد الصالح سنة 1334 هـ / 1916 م، تولى مشيخة الزاوية ابن أخيه محمد العربي بن مصباح ( 1293 – 1365 هـ / 1876 – 1946 م )، الذي واصل مسيرة أسلافه في القيام بشؤون الزاوية والتعليم مدة 28 سنة(4). لتستمر زاوية سيدي سالم في مواصلة المسيرة التي أرساها الشيوخ الأوائل، حيث ظلت الزاوية خلال مشيخة هذا الأخير، تمثل منارة من منارات الإشعاع العربي الإسلامي الذي ظلت الزاوية تشعه للمحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية.

**ج) الطريقة التجانية :**

وهي طريقة صوفية حديثة، ظهرت بداية القرن 13 هـ / أواخر القرن 18 م، على يد مؤسسها الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد التجاني ( 1150 – 1230 هـ / 1737 – 1815 م )(5). وارتباط أهل سوف بطريقته كان مبكرا، عندما أرسل الشيخ أحمد التجاني أحد أتباعه وهو محمد الساسي القماري، لينشر الطريقة بقمار، فاستجاب له جماعة من أهلها، فذهب عشرة منهم معه لزيارة الشيخ أحمد التجاني سنة 1200 هـ / 1786 م بعين ماضي، وأخذوا منه الطريقة مباشرة. وفي سنة 1203 هـ / 1789 م رافقهم في زيارتهم إلى

---

(1) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 197.

(2) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 37.

(3) محمد بن عزوز سالمي : المصدر السابق، ص 241.

(4) عبد الباقي مفتاح : **أضواء على زاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2009 م، ص 26.

(5) يوسف بن حيدة : المرجع السابق، ص 11.

الشيخ أحمد التجاني؛ الحاج علي التماسيني ( 1179 – 1260 هـ / 1766 – 1844 م )[1]، الذي دخل في الطريقة، وكان لهذا الأخير دور كبير في قيادة الطريقة ونشرها خصوصا بواديي ريغ، وسوف.

وقد أمر الشيخ أحمد التجاني مريديه بتأسيس زاوية لهم بقمار، فتم ذلك سنة 1204 هـ / 1789 م على يد المقدم محمد الساسي القماري، الذي أشرف عليها في بداية الأمر، ثم سلم مفاتيحها للشيخ الحاج علي التماسيني، وبقيت تحت رعاية أبنائه من بعده[2].

وبعد أن توفي الشيخ الحاج علي التماسيني سنة 1260 هـ / 1844 م، خلفه نجله الشيخ محمد العيد ( 1230 – 1292 هـ / 1815 – 1875 م )[3]، الذي وسع زاوية قمار، وبنى بها مسجدا، وشيد مساكن للعائلة التماسينية[4]، لتبدأ منذ ذلك الحين رحلة تنقل هذه العائلات في الشتاء والصيف بين تماسين وقمار.

أما أشهر الشيوخ الذين أشرفوا على الزاوية التجانية بقمار، وكان لهم تأثير في وادي سوف، فنذكر منهم :

**– الشيخ محمد الصغير بن الشيخ الحاج علي التماسيني ( 1232 – 1308 هـ / 1817 – 1891 م )** : حفظ القرآن الكريم، والكثير من المتون الدينية، وعند قدوم العلامة المختار الشنقيطي سنة 1258 هـ / 1842 م إلى تماسين، أخذ عنه الشيخ محمد الصغير العلم، فدرس على يديه " **مختصر الشيخ خليل** "، وبعض شروح الألفية، كما كان ملازما لأبيه، وتربى على يديه، فصار مثالا للعلم، والتقوى، والفضيلة، كما كسب ثقة سكان سوف والصحراء، وقد تولى أمر الزاوية التجانية بتماسين في 21 شوال 1292 هـ / 19 نوفمبر 1875 م، خلفا لأخيه محمد العيد، ودامت رئاسته للزاوية حتى وفاته في 18 رمضان 1309 هـ / 15 أفريل 1892 م[5].

**– الشيخ محمد العروسي التجاني بن محمد الصغير ( 1266 – 1338 هـ / 1850 – 1920 م )** : حفظ القرآن الكريم، وأخذ الفقه على قاضي قمار الأخضر بن أحمد، والتصوف عن والده، وكان له اهتمام كبير بالعلوم والمعارف، وتولى في عهد والده منصب مقدم زاوية قمار. كما تميز الشيخ محمد العروسي بالدبلوماسية والحكمة التي أكسبته ثقة بين الناس، وجعلت كلمته مسموعة في سوف وخارجها؛ خاصة في منطقتي الهقار وغدامس، اللتين انتشرت بهما التجانية، بالإضافة إلى اهتمامه بالتأليف، وتسجيل الوقائع والأحداث التاريخية في

---

[1] عبد الباقي مفتاح : **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، ( د، س، ن )، ص ص 158 – 168.

[2] أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص 41.

[3] عبد الباقي مفتاح : المرجع السابق، ص 175.

[4] محمد الطاهر التليلي : الفوائد المنثورة، المصدر السابق، ص 11.

[5] علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 179.

تقاييد خاصة تعرف بالكناش والمخدرة. كما كانت زاوية ڤمار في عهده مدرسة لتدريس العلوم لعدد من أبناء الزاوية وأصدقائها(1).

**– محمد السايح بن محمد العروسي ( 1283 – 1377 هـ / 1866 – 1958 م )** : حفظ القرآن الكريم على الشيخ سي محمد الصالح بن الحاج علي بالخوصة بڤمار، أما الفقه فأخذه عن الشيخين : الحاج علي بالقيم الڤماري، وسي مبارك بن المبارك التاغزوتي. كما أخذ علوم اللغة والبلاغة عن محمد بن سويسي خريج جامع الزيتونة، وهذا لمدة عشر سنوات بزاوية ڤمار، وأخذ الأدب عن الطيب بن الأخضر، حتى أصبح آية من آيات البيان العربي شعرا، ونثرا، وخطابة. أما التصوف فأخذه عن أبيه(2). وفي سنة 1338 هـ / 1920 م تولى مشيخة زاوية ڤمار إثر وفاة أبيه.

وقد كانت للطريقة التجانية بجانب زاوية ڤمار، زاوية تاغزوت المجاورة لها، يشرف عليها مقدم، غير أنها لم تكن في مكانة زاوية ڤمار في فترة الشيخ محمد العروسي(3)، حيث بلغت الزاوية مكانة علمية مرموقة لنشاطها الدائم وحيويتها العلمية، واستقبالها للشيوخ الوافدين من تونس؛ خاصة علماء الشابية الذين قدّموا دروسا في زاوية ڤمار، وبهذا تكون الزاوية بمثابة الإشعاع العلمي الذي حافظ على الثقافة والدين الإسلامي، واللغة العربية وآدابها. وحسب التقرير السنوي لملحقة الوادي لسنة 1938 م، أن مدرسة الزاوية التجانية في ڤمار كان بها 54 تلميذا(4).

**2) الطرق الصوفية الفرعية :**

وكانت قليلة الأتباع، ومحدودة الانتشار مقارنة بالطرق السابقة الذكر، كما لم يكن لأغلبها زوايا بالمنطقة، وإنما كان ارتباطها يبرز من خلال بعض المساجد المتناثرة بوادي سوف، ضف إلى ذلك أن دورها في الحياة العلمية كان بسيطا، ومن أهم هذه الطرق :

**أ) الطريقة البوعلية :**

وهي قادرية الأصل، تعود إلى القرن 6 هـ / 12 م، ظهرت ببلاد الجريد التونسي، ومؤسسها هو أبو علي حسن بن محمد بن عمران النفطي ( 589 – 610 هـ / 1193 – 1213 م )، وعرف بالسنّي لانتصاره لأهل السنة أمام أصحاب المذاهب الأخرى؛ خاصة الخوارج، فمات على أيديهم سنة 610 هـ / 1213 م،

---

(1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 231.

(2) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 86.

(3) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 235.

(4) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 170.

ليدفن بنفطة، وقد أقيمت له قبة تزار هناك(1).

ويعود انتشار الطريقة البوعلية بوادي سوف إلى الشيخ محمد بن ناصر النفطي الأصل، المولود سنة 1215 هـ / 1800 م، وقد أخذ الطريقة عن شواش ضريح سيدي بوعلي يقال لهم الطواهرية، ثم وفد إلى وادي سوف، وأسس سنة 1266 هـ / 1850 م خلوة، أو زاوية صغيرة، ليشيّد فيما بعد مسجدا حوالي سنة 1307 هـ / 1890 م، عرف بمسجد سيدي بوعلي، الكائن بحي أولاد أحمد بمدينة الوادي. وفي سنة 1312 هـ / 1895 م توفي محمد بن ناصر، ودفن بالجنوب الغربي من المسجد(2).

**ب) الطريقة المرزوقية :**

وتنسب إلى سيدي مرزوق، وهو رجل أسود كان خادما عند سيدي بوعلي النفطي، فلما توّسم فيه الصلاح وظهرت على يده الكرامات، أمره أن يستقل عنه، ويشكل طريقة خاصة به، ففعل سيدي مرزوق ذلك، وقد أعلن له السود في بلاد الجريد التونسي ووادي سوف الولاء، وهم يدعون " بالوصفان ". وكان لديهم بوادي سوف ثلاثة قيّاد، في الوادي، وكوينين، وعميش. ولهم احتفال سنوي(3) يجتمعون فيه، ويقام هذا الأخير في أول اثنين من شهر مارس من كل سنة ميلادية، ويطلق عليه اسم محفل سيدي مرزوق.

**ج) الطريقة الشابية :**

وهي طريقة شاذلية، أسّسها الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي ( 834 – 897 هـ / 1431 – 1492 م ) بالقيروان، كما يعد ابنه سيدي عرفة الشابي ( ولد 880 هـ / 1475 م ) المؤسس الحقيقي للطريقة، والذي زار مواطن قبيلة طرود بسوف، فقام بإرشادهم، وعيّن لهم مقدمين من بينهم لتوجيههم(4).

وتجذر الطريقة بوادي سوف كان على يد الشيخ سيدي المسعود الشابي(5) ( ت 1028 هـ / 1619 م )، الذي زار وادي سوف بداية القرن 11 هـ / أواخر القرن 16 وبداية 17 م. وقد قام هذا الأخير بإنشاء عدة مساجد بالوادي، وقمار، وحملت هذه المساجد اسمه. كما كان أحفاده يأتون سنويا لجمع التمور خاصة من قمار، وقد نصبوا خيمة شعر غربي المدينة أطلقوا عليها تسمية " بيت الشريعة "(6).

---

(1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 274.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 183.

(3) André Voisin : op cit, p 98.

(4) محمد الأمين بلغيث : **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية**، ط2، دار كتاب الغد، جيجل، الجزائر، 2007 م، ص ص 114 – 123.

(5) إبراهيم العوامر : المرجع السابق، ص ص 192 – 194.

(6) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 184.

ثم أسس أحد أحفاده زاوية شابية بتوزر سميت ببيت الشريعة(1)، لتتحول تلك الخيمة إلى مسجد، وجعلوا مصلاه عصا، ثم خشبة، ثم حجرا، ليُخرج هذا الحجر سنة 1354 هـ / 1935 م حتى لا يقال إنه صار وثنا يعبد من دون الله. وقد استمرت هذه الصلة بين شيوخ بيت الشريعة من شابية الجريد التونسي وأهالي وادي سوف، ومن هؤلاء المترددين نجد الشيخ أحمد عمار(2).

وقد كان لهذه الطريقة أوراد وقواعد تسير عليها تشبه أوراد الطرق الأخرى(3)، وهي طريقة موجودة في ڤمار، والدبيلة، حيث توجد زاوية الشابية بڤمار(4)، وأتباعها منحصرون في بعض العائلات التي تحمل اسمها(5).

**د) الطريقة الطيبية :**

هي طريقة صوفية تأسست في وزان بالمغرب الأقصى، على يد الشيخ عبد الله الشريف ( ت 1089 هـ / 1678 م )، وخلفه في مشيخة الطريقة أبناؤه وأحفاده، من بينهم الشيخ مولاي الطيب الذي تنسب إليه الطريقة، لكونه ساهم في ازدهارها وانتشارها حتى وفاته سنة 1078 هـ / 1668 م(6).

وقد ظهرت هذه الطريقة بوادي سوف خلال القرن 13 هـ / 19 م، وأورادها شبيهة بالطرق الأخرى، حيث تدعو إلى التقوى والإكثار من فعل الخير، والقيام بالواجبات الدينية(7)، غير أن أتباعها قليلون، لهم زاوية تعرف باسم الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد، الذي عاش في القرن 12 هـ / 18 م، وقد سمي عليه الحي الذي تتواجد به الزاوية، وهو حي سيدي عبد الله بمدينة الوادي.

**3) دور الطرق الصوفية في ربط العلاقات بين وادي سوف وتونس :**

لعبت بدورها الطرق الصوفية دورا بارزا في إرساء تواصل بين أوساط المجموعات السكانية التي تشكل كلا من المنطقتين بدرجات متفاوتة : كالرحمانية، والقادرية، وكذلك التجانية.

فالطريقة الرحمانية وصلت لوادي سوف انطلاقا من تونس، كما كان لزعمائها علاقات مع مريدين لهم بتونس؛ بدليل حصول محمد العربي بن مصباح بن سيدي سالم شيخ زاوية سيدي سالم الرحمانية على موافقة

---

(1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 276.

(2) محمد الطاهر التليلي : من تاريخ سوف، المصدر السابق، ص 68.

(3) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 276.

(4) محمد الطاهر التليلي : الفوائد المنثورة، المصدر السابق، ص 42.

(5) Ahmed Najah : op cit, p 125.

(6) أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص 38.

(7) أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص ص 94 – 95.

السفر إلى مدينة تونس لمدة ثلاثة أشهر في 16 ذو الحجة 1344 هـ / 26 جوان 1926 م، مما يوحي بمدى التواصل بين الطريقة العزوزية والأقاليم التونسية(1).

كما توافد على هذه الزاوية علماء من تونس مثل : العلامة الشيخ البختري، والشيخ محمد بن حمد النفطي، والشيخ العروسي بن عزوز، والشيخ المكي بن عزوز، والشيخ الأخضر بن الحسين(2).

أما الطريقة القادرية والتي كان لها زاوية في نفطة بتونس، فحصلت على دعم لها في سوف رغم وصولها متأخرة نسبيا، فلم تؤسس زاوية بالمنطقة إلا في سنة 1301 هـ / 1884 م، وكان لها علاقات متقدمة مع مريديها في القطر التونسي. كما أن أعمال وإنجازات الطريقة القادرية بتونس تم توثيقها وتطويرها أيضا من خلال إقرار الشيخ محمد الهاشمي الشريف شيخ الطريقة القادرية بعميش، ومدينة الوادي، وتقرت؛ لأحباس في ست زوايا أسسها كمعاهد، تشمل كل واحدة منها 20 تلميذا لحفظ القرآن الكريم وتلقي العلوم الدينية. ولم يتوقف دورها في هذا المجال فقط، بل كانت الطريقة من خلال مركزها بالوادي تشتري القمح لفائدة الزاوية القادرية بنفطة، كمساهمة منها في تلبية حاجات مريديها، وطلبتها، والطبقات المحتاجة(3).

وظل التواصل مستمرا بين الطرق الصوفية بوادي سوف وتونس، مثل زيارة الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الشريف نائب الطريقة القادرية بعميش، مرفوقا بـ 10 من طلبة زاويته، وكان ذلك في جمادى الأول 1327 هـ / جوان 1909 م، وكانت هذه الزيارة إما لزاوية نفطة، أو لتفقد أملاكهم ونخيلهم بالجريد التونسي، وتفقد أحباس أسستها الطريقة القادرية في مدينة تونس لتموين تعليم الطلبة المعوزين بجامع الزيتونة. وكذا زيارات الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الشريف وإخوته من حين لآخر لزاوية نفطة(4).

هذا من دون أن ننسى هجرة طلبة وادي سوف إلى بعض زوايا الجريد التونسي، بدعم من زوايا المنطقة، ومن ثم مواصلة بعضهم تعليمهم بجامع بالزيتونة، وقد فصلنا في هذا الموضوع في الفصل السابق.

## ثانيا : جهود الحركة الإصلاحية في الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتها بتونس :

إن نشأة الحركة الإصلاحية صاحبها تأثيرات وعوامل عديدة، ساهمت أيّما مساهمة في بناء صرح الإصلاح بوادي سوف، باعتبار المنطقة كانت دوما في حاجة ماسة إلى رفع مستويات الإصلاح نتيجة الوضع الاجتماعي الذي كان يعيشه سكانها، بالإضافة إلى السياسة الاستعمارية المجحفة في حقهم. وقد نشطت هذه الأخيرة مع

---

(1) عثمان زقب : علاقات وادي سوف بتونس وليبيا، المرجع السابق، ص ص 77 – 78.

(2) عبد الباقي مفتاح : المرجع السابق، ص 182.

(3) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 220.

(4) عثمان زقب : علاقات وادي سوف بتونس وليبيا، المرجع السابق، ص ص 77 – 78.

قدوم الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة، فلعبوا دورا بارزا في إرساء دعائم الحركة الإصلاحية، وتنشيطها في مختلف الميادين.

**1) عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف :**

**أ) الهجرة ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة :**

مما يلاحظ على الهجرة بسوف، أنها اتخذت ثلاثة اتجاهات أساسية لدورها في دعم الحركة الإصلاحية، وهي : الهجرة إلى المشرق العربي، والهجرة إلى تونس، وقد تم التطرق إليها سابقا، والهجرة إلى المناطق الداخلية.

**– الهجرة إلى المشرق العربي :**

نجد أن الهجرة إلى المشرق العربي قد ساهم من خلالها أهالي سوف، خاصة النخبة المثقفة؛ في رفع لواء الإصلاح عن طريق التعليم أكثر من المساهمة بالمنطقة نفسها، لكن هذا لم يمنع عامل التواصل الذي ضمن استمرارية مساهمة هؤلاء في الإشعاع الإصلاحي بالمنطقة، كما شجع استقرارهم هناك على تشجيع العديد من أبناء المنطقة على الهجرة قصد التحصيل العلمي للمساهمة في رفع أسس الإصلاح، وكانت الحجاز أهم منطقة من بلاد المشرق استقطبت مهاجري المنطقة(1). ومن الطلبة والشيوخ المهاجرين نجد : الطالب الحاج العربي ستو ( 1293 – 1373 هـ / 1877 – 1954 م )، الذي درّس بجامع الأزهر(2).

**– الهجرة الداخلية :**

إن الدور الذي لعبته الهجرة الداخلية هو زيادة رغبة المهاجرين في النهل من روافد الإصلاح، والمشاركة في رفع مستوياته دون انقطاعهم عن أهاليهم، ليتمكنوا بذلك من رفع مستوى الإصلاح بوادي سوف، التي ظلت زمنا طويلا تقاوم الاستعمار وسياسته التعسفية(3).

وهكذا كانت الهجرة باتجاهاتها المختلفة عاملا من عوامل نشأة الحركة الإصلاحية بوادي سوف، خاصة الهجرة إلى تونس، وبهذا كان لها دور فاعل في إنعاش الإصلاح ودفع حركيته نحو الأمام، من أجل التطور والازدهار عبر فترات زمنية متفاوتة، والقصد من ذلك إزاحة كل عائق أمام حقيقة النهوض بالوضع الثقافي للمنطقة، دون السماح للطرق الصوفية بأن تتواجد لوحدها على مستوى التفاعلات الثقافية التي ما فتئ الفرد المحلي يتطلع إليها، ويحاول النهوض بواقعه المزري، دون الاستسلام للأمر الذي تود فرنسا تكريسه وتثبيته، انطلاقا من استغلال الطرق

(1) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 205.

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 26 – 27.

(3) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 117.

الصوفية عن طريق تشجيع النزاع بين الطريقة التجانية والقادرية، وهذا بقصد تمرير مشاريعها الاستعمارية(1).

**ب) النخبة ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية بالمنطقة :**

**– النخبة المحافظة :**

إن دور النخبة المحافظة برز من خلال التعليم العربي الإسلامي، حيث كان لهؤلاء دور في تربية النشء دون التخلي عن وظائفهم الأساسية، وهذا لكون بعضهم كانوا قضاة في المحاكم الشرعية، ورجال فتوى، وأئمة مساجد، ومؤدبين للصبيان، بالإضافة إلى دروسهم الموجهة لتعليم كبار السن المتمثلة في المبادئ الدينية، وأصول العلوم الشرعية واللغوية، وهذا من خلال دروس الوعظ والإرشاد التي تقام في المساجد، والزوايا، كما كانت بيوتهم الخاصة مقصدا لطلبة العلم(2). وعلى هذا الأساس، كانت وادي سوف يومئذ مقسمة إلى ثلاث حواضر علمية أساسية هي : الوادي، وقمار، والزقم؛ علما أن قمار كانت أكثر حركية من غيرها من الحواضر الأخرى، ويتجلى هذا من خلال أشهر المساهمين في هذا الدور عبر كل حاضرة من بين المناطق الثلاث(3).

ففي مدينة الوادي نجد **الشيخ محمد العربي موساوي ( 1290 – 1322 هـ / 1873 – 1905 م )**(4) : كان ذا علم غزير، وقد بذل جهودا معتبرة في التعليم بوادي سوف وتقرت، فعند عودته من تقرت إلى سوف في فصل الصيف، كان يلتقي بعدد كبير من التلاميذ، وهذا بعدة مساجد، كان أهمها : مسجد سيدي المسعود الشابي، ومسجد زاوية سيدي سالم، والمسجد الحسيني. كما اتصف الشيخ محمد العربي بالزهد والتواضع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(5).

ونجد **الشيخ عبد الرحمن العمودي** : كان عالما زاهدا ومتصوفا، وكثير التجوال، ناشرا للعلم، فكلما حط بمكان سعى إلى نشر العلم فيه، كما عمل في سلك القضاء بكوينين.

و**الشيخ علي بن صابر** : الذي بلغ درجة علمية معتبرة، فهو مثال للورع والصلاح، وكان كثير الترحال ما بين جريد تونس ووادي سوف(6).

أما حاضرة قمار، فكانت تعج بكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم في الآفاق، ومنهم : **الشيخ الحاج**

---

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 117.

(2) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية، المرجع السابق، ص 152.

(3) موسى بن موسى : المرجع السابق، ص 119.

(4) مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص 20.

(5) علي غنابزية : المرجع السابق، ص 152.

(6) عاشوري قمعون : دور المدارس القرآنية والزوايا في تربية الفرد تربية إسلامية معاصرة، المرجع السابق، ص 331.

**أحمد سالم ( 1257 – 1346 هـ / 1842 – 1927 م )**[1] : والملقب بـ أقاية، وقد ساهم في تعليم القرآن الكريم والفقه، ومبادئ العلوم العربية بقمار، وقد تخرج على يده الكثير من الطلبة كان لهم دور في المساهمة في التعليم.

أما بحاضرة الزقم، فنجد : **الشيخ إبراهيم بن السلمي ( ت 1322 هـ / 1914 م )** : الذي لم تقِل مكانته في العلم عن أقرانه، بسبب فطانته وغزارة علمه، كما كان له دور فاعل في التعليم بالمنطقة[2].

**– نخبة المعاهد الإسلامية :**

وهي مجموعة العناصر الطلابية التي تلقت تعليمها في الزيتونة بعد التحصيل الأولي الذي تلقوه من شيوخ النخبة المحافظة، الذين نفخوا في روحهم رغبة السعي والبحث الدؤوب على ما هو أفضل من التعليم الذي تلقوه على أيديهم، فكانوا دوما يشجعونهم على الهجرة إلى تونس، لهذا جاء دور جامع الزيتونة لاستيعاب عدد معتبر من بين هذه النخبة. فكان تأثير طلبة وادي سوف وعلمائها في مرحلة دراستهم هناك، على يد ثلة من علماء الإصلاح، أمثال : الشيخ الطاهر بن عاشور، ومحمد الأخضر بن الحسين، ومحمد النخلي، وسالم بوحاجب[3].

وقد كانت موجة الهجرة من أجل العلم خلال العشرينيات في تزايد عدد الوافدين إلى الزيتونة بصورة واسعة، نتيجة الرغبة الجامحة للتعلم في هذا الصرح الحضاري، ودور العلماء العائدين إلى المنطقة، وهم كثيرون، حيث زاولوا التدريس رغم انشغالهم بوظائف أخرى، كالشيخ إبراهيم بن عامر الذي عُيّن بالمحكمة الشرعية بالوادي برتبة باش عدل[4]، والشيخ الطاهر العبيدي، وأخيه الشيخ أحمد، والأستاذ حمزة بوكوشة، الذين كان لهم دور فاعل في نشر العلم والتعليم ومبادئ الدين بالمنطقة، والمناطق المجاورة لها[5].

لقد بدأت حركة الإصلاح بالزيتونة منذ سنة 1328 هـ / 1910 م، وهذا وفقا لتجديد برامج التعليم؛ سواء من حيث المحتوى أو من حيث الأساليب التربوية، واستمرت حتى سنة 1343 هـ / 1925م، التي شهدت اندلاع أول إضراب عن الدروس بجامع الزيتونة، لتليها الفترة المحصورة بين 1346 – 1351 هـ / 1928 – 1932 م تاريخ إلغاء النظارة العلمية وتعيين أول شيخ مدير على رأس الجامعة الزيتونية، ثم الفترة بين 1352 – 1358 هـ / 1933 – 1939 م، وهي الفترة الأكثر تفاعلا والمنادية بالإصلاحات الضرورية لتطور الحركة الزيتونية، التي أصبحت عنصرا أساسيا من عناصر الحركة الوطنية. بالإضافة إلى الصحف التونسية المتعددة والمتنوعة

---

(1) محمد الطاهر التليلي : من تاريخ سوف، المصدر السابق، ص 97.

(2) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 121.

(3) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 75.

(4) إبراهيم مياسي : من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 210.

(5) أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م، ص 173.

المتناولة للمسائل الدينية والسياسية، والمحلية والقومية، فكان ذلك جوا مفعما بالطموح لدى كثير من الطلبة الجزائريين من بينهم طلبة سوف، حيث استطاع بعضهم المشاركة في التفاعلات الطلابية البارزة والمختلفة التأثير(1).

وعند عودة هؤلاء الطلبة خلال العطلة، كانت تصاحبهم الكثير من التأثيرات وبعض الصحف التي كانت تلقى صدى واسعا في القراءة والاطلاع من طرف الأهالي، خاصة قرية الزقم التي كانت تعج بكثير من الصحف التونسية؛ كجريدة النهضة، وغيرها من الجرائد والمجلات التونسية.

وقد كانت هذه النخبة تجمع بين فئتين؛ فئة ظلت تحافظ على انتمائها للصوفية، مثل : الشيخ إبراهيم بن عامر، والشيخ الطاهر العبيدي، وأخيه أحمد، والشيخ محمد بن البرية؛ أما الفئة الثانية فهي فئة قد حاولت التملص من تبعية الطرق الصوفية، بل راحت تعلن مواجهتها العدائية لها من خلال البدع المنسوبة للدين الإسلامي، مواجهة مباشرة. وقد كان لهؤلاء عند عودتهم في فترات العطل الصيفية الفضل الكبير في إلقاء دروس عامة في المساجد والكتاتيب، والبيوت الخاصة(2).

وخلال فترة الحرب العالمية الأولى أوصدت أبواب كل من جامع الزيتونة وباقي المعاهد المنتسبة له، أو المنفصلة عنه أمام الطلبة، تماشيا مع القوانين الجائرة التي اتخذتها فرنسا نتيجة الظروف التي أملتها الحرب. لكن ما يميز الفئة الثانية عن سابقتها هو التحصيل الذي تميزت به، حيث أصبحت هي الفئة العظمى من الطلبة الزيتونيين الذين أصبحوا يتحصلون على شهادة التطويع، وهذا بدوره أثّر في مستوى التحصيل الذي أضحى ميزة هؤلاء، مما حدا بهم للاستفادة والتأثر بالواقع السياسي، والاجتماعي، والثقافي المتأجج بتونس. وعليه، فإن غالبية هذه النخبة تشبعت بالفكر الإصلاحي، وساهمت مساهمة مباشرة وفاعلة في تقوية جانب الإصلاح بوادي سوف(3).

**– النخبة المفرنسة :**

إن جهود فرنسا الأولى في إرساء المدارس الفرنسية بوادي سوف، جاء نتيجة الاستقرار الذي عرفته الإدارة الفرنسية بالمنطقة(4). غير أن الدور الذي قامت به المساجد والعلماء، والنخبة المعربة، استطاع أن ينبه النخبة المفرنسة لمشروع الاستعمار حتى لا تنخدع، وعليه استطاعت النخبة المفرنسة أن تبرز على مستويات محلية رغم ضآلة التحصيل، انطلاقا من التكوين العصامي الذي ساهم بشكل وافر في رفع تحديات هؤلاء الذين استطاعوا فضح نوايا المستعمر من خلال قوانينه وجرائده، والتي لعبت دورا هاما في عرقلة الإصلاح والتعليم العربي، خاصة

---

(1) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 56.

(2) محمد صالح الجابري : المرجع السابق، ص 44.

(3) موسى بن موسى : المرجع السابق، ص ص 57 – 58.

(4) Ahmed Najah : op cit, p 109.

خلال الفترة الممتدة ما بين 1352 – 1357 هـ / 1933 – 1938 م، وهذا في إطار الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإدارة الاحتلال الفرنسي.

وأمام هذا الوضع المتردي الذي حاول المستعمر تكريسه، حتى يعيق عملية التنمية الفكرية لدى الأهالي، حاولت جمعية العلماء ومن قبلها العلماء والمؤدبون، طمس الأكاذيب التي يحاول المستعمر تثبيتها من أجل إنجاح عمليات التلاعب بالهوية الحضارية والشخصية الوطنية المستمرة وفق الفترات المتعاقبة، مما جعل غالبية النخبة تنهل من نبع الحضارة العربية الإسلامية. ولهذا انصهرت هذه النخبة في جمعية العلماء والإصلاح بجميع مراحله لمحاربة الغزو الثقافي الممارس في حق الأهالي. ومن هذه الشخصيات نجد الأمين العمودي ( 1307 – 1377 هـ / 1890 – 1957 م )[1]، الذي كان دعامة قوية للجمعية، رغم تشبعه بالثقافة الفرنسية، والشيخ الهاشمي حسني، وغيرهما كثير بوادي سوف، الذين استطاعوا تقديم يد العون والدفاع عن اللغة العربية أيّما دفاع، وهذا انطلاقا من الشعور بالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى الاحتكاك بالنخبة المعربة التي تمثلت في الطلبة الزيتونيين[2].

وعليه، فإن التحصيل المحدود بوادي سوف والذي تلقته هذه النخبة، وطبيعة المواد المدروسة، رسخت لدى الكثير منهم مفهوم الاحتقار الذي مارسه المستعمر عليهم من خلال مستوى التدريس الابتدائي، دون أن يسمح لكثير منهم بتخطي هذا المستوى. وعليه فإن النخبة المفرنسة كانت على قدر عال من الوعي والتفطن لما يدور حولها، لهذا كان موقف الكثير منها موقف عداء قد لا يصرح به الواحد منهم، لكنه يظل كامنا في نفسه، وعندما تحين الفرصة، يحاول اتخاذ موقف يرضيه باعتباره عنصرا يتمتع بكامل الخصوصيات والخصال ذات الأبعاد الحضارية، التي هي في الأساس تنبع من انتمائه للحضارة العربية الإسلامية[3].

**ج) زيارات بعض علماء تونس إلى وادي سوف :**

أبرز هذه الزيارات كانت زيارة الشيخ محمد المكي بن عزوز، وكذا البشير التوزري[4]، والشيخ إبراهيم

---

[1] محمد الأمين العمودي : ولد سنة 1307 / 1890 م بوادي سوف. درس بالمكتب الفرنسي الابتدائي، وبالكتاب بمدينة الوادي، ثم التحق بمدرسة قسنطينة. اشتغل في عدة وظائف منها : أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في السنوات الخمس الأولى لتأسيسها ( 1349 – 1355 هـ / 1931 – 1936 م ). كما اشتغل بالصحافة، فكتب في أغلب الصحف الوطنية، وأصدر جريدتي الدفاع، والجحيم. أستشهد بالجزائر العاصمة في 16 ربيع الأول 1377 هـ / 10 أكتوبر 1957 م. ينظر : محمد الأخضر عبد القادر السائحي : **محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب**، ط2، دار هومه، الجزائر، 2001 م، ص ص 25 – 31.

[2] موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 128.

[3] نفسه، ص 128.

[4] التجاني العقون : المرجع السابق، ص 259.

البختري التوزري، والعلامة محمد الأخضر بن الحسين(1)، وقد فصلنا في هذا الموضوع في الفصل الأول.

**2) حركة الكتلة المحافظة بوادي سوف 1318 – 1337 هـ / 1900 – 1919 م :**

**أ) طبيعتها :**

إن الوضع الذي كانت تعيشه الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين 1318 – 1337 هـ / 1900 – 1919 م، يعتريه الكثير من الغموض حول طبيعة الحركة الإصلاحية، بخلاف الوطن العربي والإسلامي الذي كان يعيش نهضة فعلية منذ النصف الثاني من القرن 13 هـ / 19 م، هذا لم يمنع الجزائر من أن تشهد حركة ثقافية استطاع أن ينشط من خلالها العديد من أبنائها، وذلك في إطار الدعوة إلى مناهضة الركود والتخلف، ومجابهة الاستعمار، انطلاقا من رفع راية التعليم ومسايرة الظروف التي كانت تعيشها البلدان العربية والإسلامية. ووادي سوف لم تكن في منأى عن هذه الظروف، ما جعل مجموعة من أبنائها تنمو لديهم روح الرغبة في التعلم والتعليم فيما بعد، حيث كان لهذا الدور أثر بالغ الأهمية في إنشاء جيل استطاع تحمل المسؤولية أكثر من أولئك الذين ظل سعيهم يتراوح بين مناهضة العادات السيئة التي سادت بالمنطقة من جهة، ومسايرة الطرق الصوفية بشتى أطيافها من جهة أخرى(2).

وعليه، فإن طبيعة الحركة الإصلاحية غلب عليها طابع الكتلة المحافظة، بالإضافة إلى طغيان الطابع الطرقي على الكثير من أعلامها الذين أبدوا مساهمات مختلفة فرضتها ظروف سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية؛ علما أن حاضرة قمار شهدت حركة إصلاحية منذ الحرب العالمية الأولى، نتيجة نشاط مساجدها التعليمي والدعوي من خلال دور الشيخ عمار بن الأزعر(3)، بالإضافة إلى دور شيوخ حاضرة الزقم الذين كانوا أكثر تحررا كما هو معهود في الكثير من قرى وحواضر سوف(4).

لهذا، نجد أن الحركة طبعت بطابع كتلة المحافظين، وهي لا تختلف عن الكتلة المحافظة بالجزائر، والتي عرّفها أبو القاسم سعد الله بقوله : « نعني بكتلة المحافظين كل الطبقات الجزائرية التي قبلت المحافظية...، كانت هذه الكتلة تتكون من المثقفين التقليديين أو العلماء، ومن المحاربين القدماء، ومن زعماء الدين، وبعض الإقطاعيين والمرابطين، وقد كان بعض هؤلاء معلمين، وممثلين نيابيين معينين تعيينا، ومصلحين يؤمنون بالجامعة الإسلامية، وصحفيين، كما كان بعضهم ينادون بالتقدم والتسامح والتعليم. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان منهم من ترك

---

(1) علي غنابزية : زيارة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين للجنوب الجزائري، المرجع السابق، ص ص 9 – 10.

(2) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 58.

(3) أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة، المرجع السابق، ص ص 173 – 174.

(4) موسى بن موسى : المرجع السابق، ص 59.

المقاومة وانغمس في الغموض الديني والسلبية المجردة »(1).

وهذا بخلاف المنطقة التي لم تشهد هذه التشكيلة المختلفة الأطياف، غير أنها عرفت حضور العديد منهم باختلاف مشاربهم من خلال الأدوار التي لعبوها؛ انطلاقا من الصحافة والكتب العديدة التي قام أصحابها بنشرها بالمطابع التونسية، وهذا للعلاقات الوطيدة بهذا البلد المجاور من جهة، والحركة الثقافية التي يعيشها من جهة أخرى، حيث كان لها الأثر البالغ على شخصيات وأعلام المنطقة؛ علما أن غالبيتهم قد تلقى مرحلة من التعليم سواء بالجريد التونسي، أو بجامع الزيتونة، وهو ما دفع بالكثير من الشيوخ بوادي سوف إلى محاربة الوضع الثقافي المتردي، والسعي وراء تطوير الإمكانيات المتاحة لهم، حيث برزوا على مستوى التعليم من خلال مساجد المنطقة، أو في بيوت خاصة أُعدت للمسامرات، ومتابعة أحداث العالم الإسلامي، وهذه الكتلة يمكن التعرف عليها من خلال بعض الشخصيات، وما استطاعت أن تساهم به في هذا الميدان الثقافي(2).

**ب) شخصيات وأعلام الكتلة المحافظة بوادي سوف :**

**– حاضرة الوادي :**

زخرت حاضرة الوادي بعدد من الشيوخ الذين كان لهم دور في تنشئة الأجيال، وهذا منذ بداية القرن 14 هـ / أواخر القرن 19 م، مما دفع بالكثير من أبناء المنطقة إلى الرغبة في تحصيل العلم وتعليمه، نتيجة ما كانت المنطقة تعيشه من أوضاع اجتماعية مزرية، وأخلاق متعفنة. وأمام هذا الوضع المؤلم، لم يتقبل الكثير من أبناء المنطقة هذه الوضعية، بل راحوا يبثون في نفوس الناشئة روح المقاومة ومناهضة الوضع، فتظافرت الجهود بين علماء المنطقة، وانبعث النشء، وبرز عدد لا بأس به من هؤلاء، نجد من بينهم :

**– الشيخ إبراهيم بن عامر** : فبعد أن أتم دراسته بتونس استقر بوادي سوف، وانشغل بهموم الحياة وانغمس في العمل رغم الظروف التي كانت تعيشها المنطقة، من استعمار وجهل، وسوء أخلاق قد تفشى لدى شباب المنطقة(3)، فما كان على الشيخ إلا رفع صوته لإصلاح ما كان فاسدا، وراح يجمع الناس من خلال مسامرات دينية، ودروس في تفسير القرآن الكريم، فكانت مسامراته عبارة عن دروس مركّزة على التوعية وإيقاظ الضمائر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 128.

(2) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص ص 59 – 60.

(3) علي غنابزية : **مؤرخ الصحراء وسوف العلامة الشيخ إبراهيم العوامر**، جريدة النبأ، العدد 165، ( د، د، ن )، الجزائر، الاثنين من 29 صفر إلى 05 ربيع الأول 1415 هـ الموافق من 08 إلى 14 أوت 1994 م، ( د، ص ).

كما وُظف الشيخ بالمحكمة الشرعية بالوادي برتبة باش عدل، وعلى إثرها عمل على تنظيم الأحكام بها وتطبيقها وفق المذهب المالكي، فكان مرجعا للفتوى في معظم القضايا داخل المحكمة وخارجها، ليس وفق المذهب المالكي فحسب، بل حتى في المذاهب الأخرى؛ قصد تيسير الأمور على الناس(1).

**– الشيخ الميداني موساوي** : بعد تخرجه من جامع الزيتونة، استقر بمسقط رأسه مدينة الوادي، آخذا على عاتقه مهمة التوعية، والوعظ، والإرشاد، وذلك بمساجد عديدة، أهمها مسجد سي موسى بحي الأعشاش(2).

**– الشيخ لزهاري الحرزولي ( 1320 – 1407 هـ / 1902 – 1986 م )**(3) : بعد دراسته بجامع الزيتونة لمدة سنة، عاد إلى مسقط رأسه نتيجة ظروف قاهرة، ليمكث بالوادي مدرسا بالمساجد، وبزاوية سيدي سالم بالخصوص. وكان حُجّة في علم الميراث(4).

**– حاضرة ڤمار :**

كان النشاط التعليمي بحاضرة ڤمار في حركة مستمرة وفاعلة، وكان دوما يعرف نشاطا دؤوبا نتيجة الدور الذي قامت به المساجد والمدارس والكتاتيب(5)، مما جعلها تعرف باستمرار بروز شخصيات وأعلام ساهموا في تفعيل الحركة الثقافية، ليس على مستوى ڤمار فحسب، بل في كل أرجاء وادي سوف، بل وصل تأثيرهم لمناطق أبعد كوادي ريغ. ومن بين هؤلاء الذين كان لهم حظ وافر في المساهمة بقسط من التعليم :

**– الفقيه العيد بن أحمد بن سعد ( 1311 – 1330 هـ / 1839 – 1912 م )** : ساهم في تعليم القرآن الكريم واللغة العربية، كما علّم فنّ الخط، واشتغل في سلك القضاء نحو 28 سنة بڤمار، وقد تعلم على يده العديد من أبناء المنطقة(6).

**– الشيخ الأديب محمد الزبيري** : وهو المعروف بسي محمد بن البرية، استطاع أن يكون شيخ علم عصامي. وبعد مرحلة التحصيل؛ مارس الشيخ مهنة التعليم مؤدبا بالزاوية التجانية بڤمار، فعلّم القرآن الكريم، ثم بدأ في تعليم العلوم الأخرى؛ بالزاوية نفسها وفي بعض مساجد ڤمار. كما كان يرتحل مع أهل الزاوية كل ستة أشهر إلى تماسين، ليعود إلى ڤمار أوائل الصيف منشغلا دوما بتأديب الصبية، ومعلما للشيوخ(7).

---

(1) علي غنابزية : مؤرخ الصحراء وسوف العلامة الشيخ إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ( د، ص ).

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 59 – 60.

(3) نفسه، ص 68.

(4) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 178.

(5) أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة، المرجع السابق، ص ص 173 – 174.

(6) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 61.

(7) محمد الطاهر التليلي : من تاريخ سوف، المصدر السابق، ص 77.

**– الشيخ محمد الصالح بالخوصة ( ت 1345 هـ / 1926 م )** : كانت له ثقافة أدبية، وقد علّم الصبية من خلال تحفيظ القرآن الكريم سنوات عديدة بالزاوية التجانية في قمار(1).

**– الشيخ أحمد بن القا** : بعد أن عاد من هجرته إلى منطقة الجريد التونسي، انخرط في سلك التعليم بقمار، حيث كان يدرّس " **متن ابن عاشر** " في الفقه، وكتاب " **الآجروميّة** " في النحو(2).

**– حاضرة الزقم :**

إن هذه الحاضرة تميزت عن غيرها بانحسار الطابع الطرقي بها، مما جعل شيوخها يتحررون من الطرق الصوفية، رغم تواجد الطريقة الرحمانية التي كان يبدو على أتباعها عدم التعصب لجهة دون أخرى من ناحية، وانعدام وجود زاوية من جهة أخرى، بالإضافة إلى تعدد الدارسين بالزيتونة، هذا بدوره ساهم في جعل هذه البلدة أكثر استعدادا لفكرة الإصلاح، والدعوة إليه، ومن هؤلاء نذكر :

**– الشيخ يونس معمري** : تولى منصب إمام مسجد العدواني بالزقم منذ سنة 1297 هـ / 1880 م، وهو شيخ علم متمرس في الدين، ومصلح، ومدرس ناجح للقرآن الكريم. أشرف على مدرسة العدواني، حيث كان يقيم حلقات الذكر، والدروس العلمية والأدبية. كما كان يعتمد في دروسه العامة على الوعظ والإرشاد.

**– الشيخ عبد الرحمن معمري ( 1322 – 1376 هـ / 1904 – 1957 م )**(3) : بعد حصوله على شهادة التطويع من جامع الزيتونة، عاد إلى مسقط رأسه بلدة الزقم ليزاول نشاطه الإصلاحي، ومحاربة البدع والخرافات، ونشر العلم والمعرفة. كما تولى منصب إمام مسجد العدواني بعد وفاة جده مدرسا، وخطيبا، وموجّها(4).

**– الشيخ مسعود عباسي ( 1310 – 1374 هـ / 1893 – 1954 م )** : كان فقيها بارعا ومعلما ناجحا، شغل منصب إمام مسجد الأصفر بالزقم(5)، وقسّم يومه في العمل على ثلاث فترات : الفترة الصباحية من الصباح إلى منتصف النهار، وهي فترة لتحفيظ القرآن وما يتصل به من علوم كالرسم، والقراءات، والثانية من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، وخصصها لتحفيظ القرآن. أما الفترة الثالثة فهي من صلاة المغرب إلى صلاة

---

(1) محمد الطاهر التليلي : من تاريخ سوف، المصدر السابق، ص 83.

(2) نفسه، ص 91.

(3) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 69.

(4) علي غنابزية : **جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف نشاط فكري وسياسي وتجاوب واسع**، جريدة الشعب، ( د، د، ن )، الجزائر، السبت 25 جويلية 1998 م، ( د، ص ).

(5) عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 178.

العشاء، يتناول خلالها دروس الوعظ والإرشاد، بالإضافة إلى وقت التكرار والمراجعة مع الطلبة الكبار، والتي كانت تمتد بين الآذان الأول لصلاة الصبح إلى شروق الشمس(1).

**ج) ميادين ومجالات نشاطها :**

إن الوضع الثقافي السائد بوادي سوف جعل حركة الكتلة المحافظة قبل العشرينيات ذات نشاطات محدودة، غير متسعة مثل ما شهدته الحركة في مدن الشمال، حيث انحصر عدد المدارس الرسمية في ثلاث مدارس : واحدة في العاصمة، والثانية في تلمسان، والثالثة في قسنطينة، والتي كانت في مجموعها تسعى إلى تجديد الدين الإسلامي. ولكن هذه المدارس كانت في حاجة إلى الوسائل الكفيلة للرجوع إلى الأصالة الحقيقية(2). ومنطقة سوف تفتقر لأسباب العيش الضروري، فكيف يمكن لمجتمعها أن يستطيع في هذه الأثناء الارتقاء بمستوى الميادين التي يمكن أن تنشط من خلالها هذه الحركة.

فالزوايا والطرق الصوفية هي المحرك الأساسي للقيم الثقافية والفكرية للمجتمع المحلي، كما كانت هذه الزوايا ملتقى الكثير من الطلبة، وهذا ما كان يأخذ به الشيخ إبراهيم بن عامر لبلوغ أهدافه ونشر دعوته، وهذا لربط صلات وديّة مع هذه الزوايا، والانتماء إليها دون تحيز أو تعصب لواحدة دون الأخرى، فكان يتردد على زاوية سيدي سالم الرحمانية بالوادي لينشط بها(3). وهذا ما فعله أيضا الشيخ محمد بن البرية، الذي كان يشتغل بوظيفة التعليم في كل من زاوية تماسين، وقمار باعتبار الزاويتين تضمّان عددا معتبرا من الطلبة.

أما الميدان الثاني، فقد كان يتمثل في المسجد، وهذا بالنسبة لدور الشيوخ الدائم في تنشيط حركية دور المساجد؛ خاصة في الفترة ما بعد صلاة المغرب، رغم اشتغال بعضهم بوظائف قضائية، لكن المسجد كان دوما هو المرتع الذي يعود إليه الشيوخ، باعتباره الميدان الأوسع، والأرحب، والأشمل، لضم كل من الطلبة والعامة، وهذا مثل مساجد قمار خلال الحرب العالمية الأولى(4).

أما الميادين الأخرى التي نشطت من خلالها حركة الكتلة المحافظة، فهي في عمومها منازل مخصصة للمسامرات الليلية قصد التسلية والترفيه عن النفس من جهة، والاطلاع على أحوال العالم الإسلامي من جهة أخرى، ومن هذه المنازل : منزل إبراهيم بن عامر(5). كما شهدت قمار وجود نادي أدبي ممثل في بيت

---

(1) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 55 – 56.

(2) عبد الكريم بوالصفصاف : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945**، رسالة تقدم بها الباحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1978 م، ط1، دار البعث، الجزائر، 1981 م، ص ص 55 – 56.

(3) إبراهيم مياسي : من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص ص 212 – 213.

(4) أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة، المرجع السابق، ص 173.

(5) إبراهيم مياسي : المرجع السابق، ص 212.

القاضي عبد الغني، وهذا لإنشاد القصائد التي كان ينشدها الشيخ محمد بن البرية؛ خاصة أيام المولد النبوي الشريف.

وأدت هذه الميادين دورا هاما، وهذا نتيجة الوضع الثقافي العام السائد في تلك المنطقة. كما أن هذا الوضع لم يمنع من وجود حركة الكتلة المحافظة، التي استطاعت المحافظة على اللغة العربية من خلال تعليم القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية، مما ضمن حماية البعد والانتماء الحضاريين للدين الإسلامي، والأمة العربية.

### 3) الحركة الإصلاحية بوادي سوف ما بين 1337 – 1358 هـ / 1919 – 1939 م :

#### أ) الحركة الإصلاحية بوادي سوف خلال العشرينيات :

إن عقد العشرينيات كان مرحلة تخمّر الحركة الإصلاحية، وهذا منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، مما دفع بالكثير من العلماء، وعلى رأسهم العلامة عبد الحميد بن باديس، إلى رفع لواء الحركة التعليمية بعد نهاية الحرب، وتطهير الثقافة الإسلامية بالبلاد من الانحطاط الذي وصلت إليه، فكان على هؤلاء العلماء التفكير في إيجاد آلية منظمة تكون أكثر تكفلا برفع مستوى الثقافة الإسلامية بالجزائر المحتلة.

وكان من بين هذه الآليات، إحياء البعثات الطلابية من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة، والذي لعب دورا هاما في إيقاظ همم الجزائريين، وهذا بعد أن عمدت السلطات الاستعمارية إلى تقليص المدارس العربية، ومحاربة الثقافة العربية والدين الإسلامي، وإحلال اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاهد والمدارس(1).

وخلال الأربعينيات من القرن 14 هـ / العشرينيات من القرن 20 م، شهدت وادي سوف عودة مجموعة من الطلبة الذين تخرجوا من جامع الزيتونة بعدّة شهادات، فكانوا نبراسا وهاجا على محاربة الفكر المتعفن، ومن هؤلاء : الشيخ عمار بن الأزعر، الذي كان قد نشط بقمار، ولعب دورا بارزا في تشجيع عدد من الطلبة بها على الهجرة إلى تونس لمواصلة التعليم بجامع الزيتونة، غير أن هذا الشيخ ضُيق عليه من طرف السلطة الاستعمارية، فما كان من أمره إلا الهجرة من جديد(2).

كان هذا النشاط ناجعا جدا، حيث ساهم في توسيع دائرة الهجرة إلى جامع الزيتونة كما ذكرنا في الفصل السابق. وهكذا استمر التوافد على جامع الزيتونة من أجل مواصلة التعليم من أبناء المنطقة عبر كامل أنحائها وحواضرها، لما كان لهذه العشرية من آثار، بدءا من عودة بعض الشيوخ، والسياسة الاستعمارية المتبعة في اضطهادهم. كما شهدت هذه العشرية حدثا هاما تمثل في إعلان أحد أقطاب الطرق الصوفية وهو الشيخ

---

(1) محمد صالح الجابري : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، دار الحكمة، الجزائر، 2007 م، ص ب ( المقدمة ).

(2) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 69.

الهاشمي الشريف حبس أملاكه في سبيل العلم، وبعث أبنائه إلى جامع الزيتونة، جاعلا لكل من يتحصل على شهادة التطويع الحق في الإشراف على زاوية من الزوايا القادرية(1).

وبعد عودة ابنه الأصغر الشيخ عبد العزيز الشريف سنة 1341 هـ / 1923 م من جامع الزيتونة؛ بعد حصوله على شهادة التطويع سنة 1340 هـ / 1922 م بامتياز(2)، وقد تزامن وجوده هناك مع ثلة من خيرة علماء الجزائر ومصلحيها من أمثال : محمد السعيد الزاهري، وصالح بن يحي، ومبارك الميلي، ومحمد خير الدين(3)، مما يدل على وجود صلات ساهمت في دفع الشيخ عبد العزيز إلى تعيين الكثير منهم مدرسين بالزوايا المتفرعة عن زاويته بعميش بوادي سوف. وقد عُدّ هذا الفعل من طرف الشيخ عبد العزيز تحولا على المسار الطرقي من أجل تقويمه وإصلاحه.

**ب) ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف :**

إن ظهور جمعية العلماء المسلمين بالجزائر(4) كان نتاج جهد استغرق عقودا عديدة، وهذا انطلاقا من الحركة الصحفية التي شهدتها، كما أن الحركة التعليمية المتأججة، والتي كانت وجهتها جامع الزيتونة، ساهمت بدورها في إبراز أقلام مُصلحة راحت تبشر بالعهد الجديد، فما إن أقيمت الاحتفالات المئوية بمرور قرن على وجود الاستعمار، حتى طفت فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد كان حظ علماء سوف وفيرا في الدعوة إلى الحضور لهذا الصرح، حيث حضر كل من : الأمين العمودي، والشيخ عمار بن الأزعر، وحمزة بوكوشة. كما وصلت دعوات للعديد من الشيوخ قد حال بينهم وبين السفر أسباب مختلفة(5).

وبعد تأسيس جمعية العلماء، وفي ظرف وجيز، انتشرت دعوتها عبر أنحاء الوطن، ووجدت في منطقة وادي سوف كغيرها تجاوبا وإقبالا من سكانها. وهكذا اتسع نطاق التفاعل مع الحركة الإصلاحية بالمنطقة، فتشكلت لجنة أو شعبة لجمعية العلماء بها، مثّلها كل من : عمار بن الأزعر، وحمزة بوكوشة، وعبد الكامل بن عبد الله النجعي... الخ. ثم كان تأسيس شعبة الوادي نتيجة مساعي هذا الأخير(6).

---

(1) موسى بن موسى : إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 70.

(2) إبراهيم مياسي : أضواء حول الشيخ عبد العزيز الشريف المصلح الديني والفكري، المرجع السابق، ص 24.

(3) محمد صالح الجابري : التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المرجع السابق، ص هـ ( المقدمة ).

(4) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : تأسست يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349 هـ / 5 ماي 1931 م، بنادي الترقي بمدينة الجزائر. ينظر : الزبير بن رحال : المرجع السابق، ص 56.

(5) علي غنابزية : جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، المرجع السابق، ( د، ص ).

(6) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 169.

وهكذا بدأت دائرة الإصلاح تتسع بوادي سوف؛ خاصة في كل من قمار، والوادي، وهذا كله كان نتيجة عودة الكثير من طلبة الزيتونة إلى وادي سوف، ومباشرتهم مهمة التعليم والتوعية، والدعوة إلى الإصلاح، قصد مناهضة الاستعمار وجرائمه المقترفة في حق الأهالي؛ خاصة رجال الإصلاح بالمنطقة.

وعلى هذا الأساس ظل أعضاء جمعية العلماء المسلمين يتزايدون مع مرور الوقت، لتعم الجمعية أرجاء المنطقة بكاملها، وهذا وفق الإحصائيات التي قدمها الدكتور أحمد نجاح خلال دراسته للمنطقة – دون أن ننسى الوضع المعيشي الذي دعا بالكثير منهم إلى التستر دون الإفصاح عن ميولهم، أو تعاطفهم مع جمعية العلماء –، حيث جاء كالآتي : في حاضرة الزقم كانت نسبة قبول أفكار الجمعية لدى الأهالي البالغ عددهم 7000 ساكنا 99%، وفي قمار وصلت إلى 50% من أصل 10150 ساكنا، أما في حاضرة الوادي فكان أغلب أعضاء الجمعية بها ينتمون إلى عرش أولاد أحمد، حيث كان عددهم آنذاك 600 ساكن، أي نسبة 7.5% من سكانه، و0.05% من كامل سكان الوادي. أما بكوينين، والرقيبة، فقد وجد فيهما القليل من أعضاء جمعية العلماء ما بين 200 و300 مصلح، لتأثرهما بالطرق الصوفية(1).

وهكذا أخذت الحركة الإصلاحية تتوغل في أوساط الأهالي، وكانت المواجهات متكررة بين الإصلاحيين وأصحاب الطرق الصوفية، ورغم ذلك استمر صوت الإصلاح يرنّ في المناطق كلها، حتى أصبح ذا شأن كبير عند إعلان أحد أقطاب الصوفية ألا وهو الشيخ عبد العزيز الشريف، عن رغبته في الانتماء إلى جمعية العلماء في سنة 1356 هـ / 1937 م، ليكون لهذا الموقف شأن عظيم بالمنطقة(2).

**– ميادين ومجالات نشاطها :**

إن نشاط جمعية العلماء بوادي سوف كان يعتمد اعتمادا كبيرا على مجهودات الأفراد؛ دون الاعتماد على النوادي أو المقرات ذات الصبغة القانونية، وهذا نتيجة الوضع العام الذي كانت تعيشه المنطقة، مما شجع الكثير من الإصلاحيين فيها العمل على ابتكار ميادين ومجالات لتنشيط حركية الإصلاح. ومن هذه الميادين والمجالات نجد محل التاجر عبد الكامل النجعي بسوق الوادي، حيث كان هذا المحل – لكون صاحبه من المثقفين – شبه مقر يؤمه الإصلاحيون في كل حين، فكانت هناك لقاءات راتبة تجمع رواد الإصلاح بالمنطقة بنفس المتجر، من أهمهم : الشيخ الهاشمي الدراجي، والهاشمي حميداتو، كما كان يفدُ عليهم حمزة بوكوشة كلما قدم إلى الوادي(3).

---

(1) Ahmed Najah : op cit, p 130.

(2) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص ص 171 – 172.

(3) نفسه، ص 172.

وقد كانت السلطات الفرنسية تولي اهتماما بالنجعي لنشاطه الحثيث، حيث ضربت عليه محاصرة ومضايقة. ثم ما لبث أن تحول المقر إلى الزاوية القادرية بالوادي.

أما بتكسبت فقد كانت ثلة من المصلحين يتخذون من أحد المنازل بالحي مقرا لهم؛ للالتقاء به في الليل قصد الاجتماع فيه والمذاكرة، ومن هؤلاء : عبد الحفيظ صالحي، والطيب فرحات احميدة، والبشير بن بردي، والحاج العربي فرحات احميدة، وهم يشكلون الأعضاء الأساسيين لشعبة جمعية العلماء بتكسبت، مقره بيت مُكترى، يُستغل في الصباح كمدرسة حرة لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين علوم الدين واللغة(1).

أما بقمار فقد كان لكثير من رجال الإصلاح الرغبة الجامحة في الإفصاح على خلجاتهم الإصلاحية دون تردد أو خوف، وهذا انطلاقا من الشيخ عمار بن الأزعر الذي رفع صوت الإصلاح قبل بزوغ نجم جمعية العلماء، ليُدعم فيما بعد بعدد من الشباب خريجي جامع الزيتونة، وهم كثر، أهمهم : الشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ على بن سعد خيران، والشيخ محمد الطاهر التليلي. وقد استغلت المساجد في قمار منذ الوهلة الأولى؛ خاصة مسجد الطلبة الذي اعتبر صرحا من صروح الإصلاح، فقد نوّه به الشيخ عبد الحميد بن باديس قائلا : «... وقد كان أعظم مظاهر الإصلاح في قمار، حيث سعى المصلحون وجدّوا في بناء مسجد عظيم، وتأسيس مدرسة للتعليم... »، وقد كان لهذا المسجد كغيره من المساجد العديدة بوادي سوف دور فاعل في نشاط الحركة الإصلاحية(2).

وفي بلدة الزقم، كان للإصلاحيين دور كبير في تنشيط الحركة الإصلاحية، وهذا نتيجة النسبة العالية لقبول الجمعية التي تزيد عن 99% من مجموع سكان البلدة(3)، هذا بدوره جعل الحركة الإصلاحية بالزقم تعمل دون تكتم، وقد تمثلت هذه الكوكبة الإصلاحية في شخصيات عديدة، أهمها : الشيخ عبد الرحمن معمري، والشيخ مسعود عباسي، والحاج فرج، وإبراهيم كلكامي ( 1331 – 1376 هـ / 1913 – 1957 م )(4).

ولقد تعددت أماكن وميادين نشاطاتهم، حيث شملت : المساجد، والساحات العامة، والأزقة، والمقاهي، والمنازل، مثل : منزل بدر الدين، ومنزل حناني. فكانت هذه المواقع محطة إلقاء الدروس والمحاضرات، ومختلف الأنشطة، وكذا إحياء المناسبات. وقد كانت هذه الأعمال تقام يوميا خاصة في الفترة ما بين صلاتي المغرب والعشاء، حيث توصد الدكاكين والمقاهي ليخرج سكان القرية للحضور والمشاركة في تلقي الدروس؛ خاصة دروس

---

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص ص 172 – 173.

(2) نفسه، ص ص 173 – 176.

(3) Ahmed Najah : op cit, p 130.

(4) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 92 – 95.

مسجد العدواني المسائية(1).

أما المناطق الأخرى المترامية الأطراف فإننا وجدنا بعض المحاولات تكاد تكون محاولات فردية، مثل دور الشيخ مصباح حويذق ( 1320 – 1393 هـ / 1902 – 1973 م )(2)، الذي كان يقيم دروسا مسائية يخصصها لعامة الناس، فكانت تنصب حول الوعظ والإرشاد بمسجد قرية الطريفاوي، وفي قرية الرقيبة، معقل الطرقية، نجد كلاّ من الشيخ أحمد بلخياري، والشيخ سي الهادي بالباد، اللذين كان لهما دور كبير في الحركة التعليمية بالرقيبة(3).

كما تم إعادة تأسيس شعبة الوادي في ذي الحجة 1355 هـ / مارس 1937 م، قبل زيارة وفد جمعية العلماء، ومن أهم الشخصيات التي تكوّن منها مكتب هذه الشعبة : الشيخ الأخضر شبرو ( 1304 – 1381 هـ / 1887 – 1962 م )(4) رئيسا، والهاشمي الدراجي نائبا للرئيس، ومحمد بن عيسى كاتبا عاما، ومن أهم الأعضاء : الطيب بن فرحات(5). كذلك تشكلت شعبة تكسبت قبل زيارة الوفد، لتتشكل فيما بعد شُعَبُ كل من قمار، والزقم، والرقيبة أثناء زيارة وفد الجمعية. وقد تشكل مكتب شعبة الزقم أثناء اليوم الأول لزيارة الوفد، ومن أهم الأعضاء : عبد الرحمن معمري رئيسا، وإبراهيم كلكامي نائبا للرئيس، ومحمد حامد بدير ( 1335 – 1366 هـ / 1917 – 1947 م )(6) كاتبا عاما.

**– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف :**

إن حقبة الخمسينيات من القرن 14 هـ / الثلاثينيات من القرن 20 م كانت عقد التفاعلات الكبرى في الجزائر، باعتبارها فترة زمنية حاسمة شهدت ميلاد جمعية العلماء، وهذا بدوره كان مساعدا لتفعيل الأحداث قصد الوصول بالمجتمع الجزائري إلى مستوى اليقظة والوعي السياسي، لتحميله المسؤولية الحضارية تجاه ما هو حاصل. وعلى هذا الأساس نما الأدب الإصلاحي من أجل الوصول إلى الأهداف السابقة لإحداث تغيير على مستوى الفكر لدى الفرد الجزائري، وهذا لأن الحركة الإصلاحية كانت تهدف في المقام الأول إلى إحياء المقومات الأصلية للشخصية الجزائرية، ونشر التعليم العربي في الجزائر المستعمرة، التي هيمنت عليها المدرسة الفرنسية، ومقاومة التمسيح والتنصير، والاندماج والتدنيس. لذلك برز الأدب الإصلاحي خاصة على مستوى الصحافة، فكان تطلع

---

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص ص 173 – 174.

(2) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص 97.

(3) موسى بن موسى : المرجع السابق، ص 174.

(4) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 42 – 43.

(5) علي غنابزية : جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، المرجع السابق، ( د، ص ).

(6) سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ص ص 102 – 103.

الأهالي بسوف دائما مشرئبا إلى ما سيأتي من بسكرة من صحف وجرائد تفصح عن واقع الصراع القائم بين رجال الإصلاح والسلطة الاستعمارية، رغم السياسة التي اتبعتها فرنسا، حيث مارست كل أنواع الأساليب التعسفية تجاه سكان الصحراء(1).

ورغم هذا الوضع المتردي كان نشاط الحركة الإصلاحية بوادي سوف قائما، وذلك من خلال السرية التامة في كثير من المناطق، لكن هذا لم يمنع بعض رجال الإصلاح من إبراز مواقفهم والتصدي للبدع والخرافات، وهذا من خلال موقف الشيخ عمار بن الأزعر المجاهر بالحق والمتصدي للأشخاص الذين يحولون بين الحق والناس، لهذا وجدناه متنقلا عبر مساجد عديدة من مساجد بلدة ڤمار، معلنا مواقفه صراحة. وقد كان الشيخ محاربا للبدع والضلالات والمفاسد الأخلاقية السائدة بالمجتمع، والأفكار الطرقية المنحرفة، والسياسة الاستعمارية المستبدة، وهذا ما جعله يترك في نفوس العديد من أهل ڤمار الأثر البالغ، بل حتى مناطق أخرى من وادي سوف، مما كلفه المضايقة والمحاصرة الدائمة، فاضطر إلى الهجرة إلى المدينة المنورة سنة 1355 هـ / 1937 م. لكن بمجرد إعلان الشيخ عبد العزيز الشريف انضمامه إلى جمعية العلماء تغير الوضع عامة(2).

**تحول الشيخ عبد العزيز الشريف للحركة الإصلاحية وأثره على العمل الإصلاحي بوادي سوف :**

إن موقف الشيخ عبد العزيز الشريف المائل لصالح جمعية العلماء، واختيار التيار الإصلاحي السلفي لم يكن عبثا، بل جاء بعد تأمل فاحص للشيخ في مبادئ وأهداف الجمعية، أدى إلى اقتناعه بالانضمام إليها، فما كان عليه إلا أن راسل الشيخ عبد الحميد بن باديس في رجب 1356 هـ / أكتوبر 1937 م، ببرقية يفصح له فيها عن رغبته في الانخراط في الجمعية. فبادر الشيخ ابن باديس بالإسراع في الردّ عليه بالمثل، معيّنا إياه كعضو نشط في مكتب الجمعية مكلفا بمنطقة وادي سوف وما جاورها(3). وعلى إثر هذا الموقف الذي أبداه الشيخ عبد العزيز من الجمعية، وقبوله المنصب الذي منحه إياه مجلس إدارتها، راح يكشف عن موقفه الإصلاحي دون تردد، بل قد يكون تعمد استفزاز الإدارة الفرنسية التي ثارت ثائرتها معتبرة الأمر خطيرا، ويهدد أمن المنطقة ومناطق الجنوب قاطبة(4).

وعلى إثر هذا الموقف وجدت الجمعية نفسها بوادي سوف تنتشر انتشارا واسعا نتيجة السعي المكثف من طرف الشيخ عبد العزيز، والذي تمثل في تحويل جزء من زاوية عميش إلى مدرسة عصرية على طراز مدارس

---

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 177.

(2) نفسه، ص 178.

(3) علي غنابزية : جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، المرجع السابق، ( د، ص ).

(4) موسى بن موسى : المرجع السابق، ص 180.

الجمعية، وانتدب لها الشيخين : عبد القادر الياجوري، والشيخ علي بن سعد خيران. كما قام الشيخ عبد العزيز بفتح مدرسة بالوادي وانتدب لها من الشيوخ ما يُحوّلها إلى معهد إسلامي يتوفر على الشروط الضرورية، وعلى إثر هذه المساعي التعليمية طالبت الإدارة الفرنسية من الشيخ عبد العزيز رخصة التعليم، فرد عليها الشيخ بأن الزاوية تقوم بدور التعليم من قديم الزمان بدون رخصة(1).

**زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى وادي سوف وأثرها على الحركة الإصلاحية بالمنطقة :**

إن فكرة زيارة وفد جمعية العلماء لوادي سوف كانت من بين انشغالات أعضائها، وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهذا من خلال الزيارات التي كان يقوم بها وفود أعضاء الجمعية إلى مختلف المناطق، وبمجرد إعلان الشيخ عبد العزيز انضمامه للجمعية؛ حتى تمكن علماء الجمعية من الدخول إلى مناطق سوف معززين مكرمين، وذلك خلال شوال 1356 هـ / ديسمبر 1937 م. فكان أول وفد للجمعية بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد رافقه كل من الشيخ مبارك الميلي، والعربي التبسي، ومحمد خير الدين، وحمزة بوكوشة، فما كان من السلطة الاستعمارية إلا إبداء التخوف بخصوص هذه الزيارة.

كما كانت هذه الزيارة مرتقبة من طرف أعضاء الحركة الإصلاحية لما كان لها من تأثير على الأوساط المحلية، حيث وجد الشيخ عبد العزيز من خلالها متنفسا في مهاجمة الطرقية، والإفصاح عن مواقفه الصريحة. وقد زار الوفد عدة مناطق بدءا ببلدة عميش، حيث زار الوفد زاوية الشيخ الهاشمي الشريف، وألقى الشيخ ابن باديس في مسجدها خطابا توجيهيا للسكان(2).

ثم توسط الشيخ عبد العزيز لدى الشيخ ابن باديس لزيارة الزقم، فما كان منه إلا قبول الدعوة لدعم سكانها ومواساتهم ورفع معنوياتهم، اعترافا وتثمينا للمجهودات المبذولة من طرف إصلاحيي البلدة. وقد توقف الوفد في الطريق بقرية البهيمة، فاستقبلهم السكان بكل حفاوة، وأقيمت لهم الاحتفالات، ثم واصل المسير إلى بلدة الزقم، أين كان في استقبال الوفد في مدخل البلدة كل من شيوخها وعلمائها وحشد غفير من الأهالي، حيث ألقى الشيخ ابن باديس درسا للحاضرين بعنوان : " **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب** "، ثم أخذ الشيخ عبد العزيز الكلمة، ليتدخل الشيخ العربي التبسي بدرس تحت عنوان : " **الدين النصيحة** "(3)، ثم ألقى على أسماعهم الشيخ مصباح حويذق قصيدة بعنوان : " **نشيد الترحيب بالزائر** ". وعند الانتهاء من التدخلات، توجت الزيارة

---

(1) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص ص 180 – 181.

(2) إبراهيم مياسي : من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 229.

(3) علي غنابزية : جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، المرجع السابق، ( د، ص ).

بتنصيب شعبة جمعية العلماء، والمتكونة من 15 عضوا، حيث عَيّن الشيخ عبد الحميد بن باديس الشيخ عبد الرحمن معمري رئيسا لها. ثم عاد الوفد قافلا إلى الوادي(1).

وفي مساء اليوم الموالي، توجه الوفد صوب تكسبت، ثم كوينين، لينتقل بعدها إلى تاغزوت ليستقبل في زاوية الشيخ العيد التجاني. وفي الغد، توجه الوفد إلى قمار، حيث استقبل بترحاب كبير، أخذ الكلمة فيه كل من : الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد خير الدين، والشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي، والشيخ عبد العزيز الشريف. وبعدها قام الوفد بتنصيب مكتب شعبة الجمعية بقمار، ومنها توجه الوفد صوب الرقيبة، فاستقبلوا استقبالا حافلا، وتم إلقاء الدروس وعقد الاجتماعات وتنظيم شعبة الجمعية فيها(2).

وهكذا، انتهت زيارة الوفد للمنطقة بنجاح باهر على حساب الإدارة الاستعمارية وأعوانها، رغم ما شابها من دسائس حاول من خلالها البعض تعكير صفو الوفد. كما تكللت بتنصيب شعب عديدة، وكان لها أيضا آثار بالغة في مسيرة تطور الحركة الإصلاحية والعلمية بوادي سوف.

وفي أواخر ذي القعدة 1356 هـ / جانفي 1938 م، استدعى الشيخ عبد العزيز الشيخ الفضيل الورتلاني إلى وادي سوف، فكانت زيارته يوم الثلاثاء 24 ذي القعدة 1356 هـ / 25 جانفي 1938 م، ليبقى مدة يومين في ضيافة الشيخ عبد العزيز.

ومن تأثيرات زيارة جمعية العلماء، تأسيس مدراس تابعة للجمعية في الوادي، والبياضة، وقمار، والزقم، والرقيبة، منذ سنة 1356 هـ / 1938 م، كان لها تأثير في تكوين نخبة من العلماء والمصلحين(3). ففي شهر مارس من نفس السنة، عمل الشيخ عبد العزيز على إنشاء مدرسة بزاوية الوادي في شكل معهد يستقبل الطلبة، ويؤمن لهم الإقامة الطيبة؛ خاصة الطلبة الوافدين من أنحاء بعيدة، وهذا في الشكل النظامي العصري، حيث استعملت مناهج مدارس الجمعية، واستقدم إليها شيوخ أجلاء، من أهمهم : الشيخ علي بن سعد خيران، والشيخ عبد القادر الياجوري(4).

أما عن تأسيس الشعب، فقد أُسست شعبتا عميش، والطريفاوي. أما شعبة حاسي خليفة فقد تأسست إثر زيارة قام بها الشيخ عبد العزيز يوم 4 محرم 1357 هـ / 5 مارس 1938 م، برفقة كل من : الشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ الأخضر بن الإمام(5).

---

(1) علي غنابزية : جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، المرجع السابق، ( د، ص ).

(2) إبراهيم مياسي : من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 231.

(3) علي غنابزية : مجتمع وادي سوف من الاحتلال، المرجع السابق، ص 77.

(4) علي غنابزية : جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، المرجع السابق، ( د، ص ).

(5) موسى بن موسى : الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق، ص 185.

**وملخص الفصل**، حاول أعلام المنطقة باستمرار رفع لواء الثقافة العربية الإسلامية المتأصلة في أبناء وادي سوف، انطلاقا من دور الطرق الصوفية، حيث لم تخل أي زاوية من كتّاب خاص بتحفيظ القرآن الكريم، ونشر العلوم الشرعية، ولا أدل على ذلك من النشاط المتميز الذي لعبته الزاوية الرحمانية بوادي سوف، حيث كانت زاوية سيدي سالم تعلم القرآن الكريم لأبناء المنطقة، وغيرهم من طلبة الزيبان، أو النمامشة، أو وادي ريغ.

بالإضافة إلى الدور الذي لعبته كل من الطريقة القادرية، والرحمانية في حثّ الطلبة على مواصلة دراستهم في بلاد الجريد التونسي. وبهذا لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في إرساء التواصل وربط العلاقات العلمية، والدينية، والروحية بين المنطقة وتونس؛ وبالخصوص بلاد الجريد، بدرجات متفاوتة : كالرحمانية، والقادرية، وكذلك التجانية.

ومع ذلك لم يكن هذا الوضع خاليا من الخرافة والبدع التي كانت سائدة، مما دفع بالكثير من شيوخ المنطقة المحافظين منهم والإصلاحيين إلى مناهضة ذلك. فبرزت إرهاصات الحركة الإصلاحية بها منذ العقد الثاني من القرن 14 هـ / مطلع القرن 20 م، نتيجة مساعي بعض الشخصيات لتنشيط الوضع الثقافي، الذي برز بواسطة ثلة من علماء المنطقة يمثلون الكتلة المحافظة، وهذا من خلال دورهم التعليمي المناهض للتخلف والفساد الاجتماعي.

أما خلال عقد الأربعينيات من القرن 14 هـ / العشرينيات من القرن 20 م، فقد بدأت ملامح الإصلاح تتبلور في المنطقة انطلاقا من توافد الصحف والجرائد، بالإضافة إلى الرحلات العلمية للجنوب التونسي، وإلى جامع الزيتونة عبر فترات متعاقبة.

ثم كان تأسيس جمعية العلماء سنة 1349 هـ / 1931 م، وكانت وادي سوف من بين المناطق المشاركة في تأسيسها، ورغم ذلك اتسم وجودها بالمنطقة في البداية بمظهر الاحتشام نتيجة الوضع السائد بها، وانعدام وجود شخصية مؤيدة ذات مكانة معتبرة، إلى غاية سنة 1356 هـ / 1937 م، حينما أعلن الشيخ عبد العزيز الشريف انضمامه إلى الجمعية، مما جعل الأخيرة تعرف انتشارا واسعا من خلال تأسيس شعب لها بالمنطقة.

وفي عقد الستينيات من القرن 14 هـ / الثلاثينيات من القرن 20 م، شهدت المنطقة عودة مجموعة من الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة، وقد تأثروا بالحركة العلمية والإصلاحية التي شهدها العالم الإسلامي، ليظل هذا التأثر قائما لديهم حتى بعد استقرارهم بالمنطقة.

وكان لهذه الحركة الإصلاحية دور في الحياة العلمية بالمنطقة، من خلال المساجد، وبعض الزوايا، والمنازل الخاصة. كما أن الكثير من أبناء المنطقة الذين رحبوا بالجمعية، اشتغلوا كمعلمين ومدرسين بمدارسها.

# الخاتمة

# الخاتمة

بعد دراسة بحث الحياة العلمية بمنطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس خلال الفترة ما بين سنتي ( 1317 – 1358 هـ / 1900 – 1939 م )، يمكن الوقوف عند النتائج والاستنتاجات التالية :

إن الموقع الجغرافي الذي تميزت به منطقة وادي سوف في العرق الشرقي الكبير من الجزائر، جعلها تلعب دورا بارزا من خلال التواصل الحضاري، والاقتصادي، والاجتماعي، مع الأقاليم التونسية، نظرا للحدود المتاخمة بينهما، والتي كان من الصعب على المستعمر الفرنسي مراقبتها. مما جعله يسعى لمحاولة احتلال المنطقة، لما كانت تسببه من خطر وقلق دائمين.

وقد شرعت فرنسا في تطبيق مخططاتها الاستعمارية لاحتلال مناطق الجنوب، ومنها منطقة سوف؛ وفق سياسة المراحل التي دامت أكثر من 40 سنة، انتهت سنة 1304 هـ / 1887 م عندما استقرت نهائيا بالمنطقة.

ومنذ الاحتلال، عرفت المنطقة أوضاعا مغايرة لما كانت عليه، ففي الحياة السياسية، حاولت السلطات الاستعمارية القضاء النهائي على كل محاولة تمرد، وهذا من خلال إقامة حاميات عسكرية في المنطقة. وعلى مستوى الوضع الإداري حاولت السلطات الاستعمارية الاعتماد على نظام يُمكّنها من إحكام قبضتها على المنطقة، باعتبارها منطقة صحراوية مفتوحة. أما في القضاء فقد غلب الطابع العسكري على النظام القضائي الفرنسي بمناطق الجنوب.

وفيما يخص الحياة الاقتصادية، فقد تبين لنا مدى الصعوبات الكبيرة التي واجهتها المنطقة؛ خاصة في النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م، مما جعلها تتسم بالبساطة، فارتبطت بالطبيعة ومتطلبات الفرد، والاستجابة ولو نسبيا لحاجاته المتزايدة. كما كان لهذه الأوضاع الاقتصادية أبلغ الأثر على علاقتها مع تونس. فمع تزايد السكان، ومحدودية الموارد الاقتصادية، اضطر السكان إلى الهجرة نحو تونس، والتي كانت باستمرار متنفسا حقيقيا لاقتصاد المنطقة. وكذلك لعبت زراعة التبغ في المنطقة دورا في ازدهار هذه العلاقات، والتجارة أيضا، حيث استمرت المبادلات بين المنطقة وتونس خاصة بلاد الجريد؛ رغم تراجعها بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي الحياة الاجتماعية، نرى أن غالبية سكان المنطقة ينتسبون إلى العنصر العربي. وكانت المعيشة فيها صعبة جدا وبسيطة، حيث عانت من تدهور مستوى الغذاء، وكانت التمور المصدر الأساسي لمعيشة السكان. كما أن الإمكانات والرعاية الصحية محدودة وغير كافية، مع بروز ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية. ونرى أن هناك عدة عوامل ساهمت في ربط وتمتين التواصل بينها وتونس، على رأسها القرب الجغرافي، والتواصل البشري، وأهم عصب فيه الموجة الكبيرة من مهاجري سوف في تونس، وما نتج عن ذلك من تواصل اقتصادي، واجتماعي، وثقافي.

وفيما يتعلق بالتعليم العربي الإسلامي بوادي سوف خلال النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م، فإنه انتشر من خلال : التعليم القرآني، والتعليم في المدارس العربية، وكذا نشاط الشيوخ والعلماء عبر المساجد والزوايا.

فالتعليم القرآني بوادي سوف لقي رواجا واهتماما وسندا بفضل المساجد، التي كانت عامرة بالقرآن الكريم، كما يتم بها تدريس العلوم الشرعية، خاصة الفقه الإسلامي، والحديث النبوي الشريف. ومن أهم المساجد التي استطاعت أن تخرج أعدادا معتبرة من حفظة القرآن الكريم، نجد : مسجد سيدي المسعود العتيق بالوادي، بالإضافة إلى المدارس القرآنية التي ازدهرت في القرن 14 هـ / أواخر القرن 19 م وخلال القرن 20 م، في مدينة الوادي وضواحيها. زد على ذلك مساهمة العلماء من خارج سوف، وخصوصا بلاد الجريد التونسي في دفع عجلة التعليم، من أهمهم : محمد المكي بن عزوز، ومحمد الأخضر بن الحسين، ومحمد بن حمد.

أما المدارس العربية فقد قامت بمهمة التعليم أيضا، وتربية الناشئة على القيم العربية الإسلامية، وكان من أبرزها : مدرسة الوادي العصرية، ومدرسة النجاح الحرة بقمار.

وبهذا نجح التعليم العربي الإسلامي في إخراج العديد من الشيوخ والعلماء في شتى المجالات، من علم، ودين، وأدب، وقضاء.

وبخصوص موقف الإدارة الاستعمارية من التعليم العربي الإسلامي بوادي سوف، فقد عملت الأخيرة على اضطهاد المعلمين، وإغلاق المدارس الحرة، والتضييق على النشاط بالمساجد.

أما التعليم الفرنسي، فبعد استقرار الإدارة الفرنسية بوادي سوف، عملت على فتح أول مدرسة فرنسية بمدينة الوادي سنة 1303 هـ / 1885 م، ثم المدرسة الثانية ببلدة كوينين سنة 1311 هـ / 1893 م، ثم المدرسة الثالثة بقمار سنة 1321 هـ / 1903 م. وكانت البرامج التعليمية المتبعة ذات طابع فرنسي شكلا ومضمونا. مع ملاحظة أن إقبال التلاميذ من السكان كان في بادئ الأمر محتشما وقليلا.

وفيما يتعلق بالعلاقات الثقافية والرحلات العلمية، فما فتئت تتطور مع توالي الأزمان، وتعاقب الدهور والأيام بين وادي سوف وتونس. وقد عرفت هذه الروابط ازدهارا وانتعاشا، وخاصة منذ أن تدفقت الهجرات الطلابية لمواصلة الدراسة في زوايا الجريد، أو جامع الزيتونة وفروعه. وفي الجملة هناك عدة عوامل كانت سببا في هجرة العلماء وطلبة العلم من وادي سوف إلى تونس، من أهمها : طلب العلم وحب المعرفة، أو لأجل الفرار من بطش الاستعمار، إضافة إلى السبب الديني والروحي. كما كان لجامع الزيتونة ومكانته الدينية والثقافية، دور كبير في استقطاب كثير من أبناء وادي سوف، دون أن نغفل العامل الجغرافي وتأثيره الكبير على ذلك.

لكن ما ميز الهجرة إلى تونس هو أن طلبة وادي سوف ليس فقط هم الطلبة القاصدين جامع الزيتونة، بل نجد من يقصد بعض الزوايا ببلاد الجريد، كالزاوية القادرية بتوزر. فمن بلدة نفطة بالجريد التونسي حتى عاصمة

مدينة تونس، كانت المدارس والزوايا التونسية مشرعة الأبواب لأفواج طلاب العلم القادمين من وادي سوف. وكانت توزر ونفطة آهلتين بالعلم، زاخرتين بالأدب، ناشطتين في حركة التأليف والتدريس، ومن أشهر الشيوخ المدرسين بها نجد : الشيخ محمد بن حمد، والشيخ إبراهيم الصمادح، والشيخ التابعي بن الوادي. ومن أهم طلبة وادي سوف الذين درسوا بمنطقة الجريد التونسي : الشيخ إبراهيم بن عامر، والشيخ الحسين حمادي.

وبخصوص جامع الزيتونة، فقد ابتدأت هجرة طلاب وادي سوف إلى تونس لطلب العلم فيه وفي مدارسه في النصف الثاني من القرن 13 هـ / 19 م، بأعداد قليلة، لتشهد تزايدا منذ العقد الثالث من القرن 14 هـ / العقد الأول من القرن 20 م، حيث صارت تونس مقصد كل من يريد الثقافة العربية الواسعة.

ومن بين مشايخ جامع الزيتونة : سالم بوحاجب، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الخضر بن الحسين. ومن طلبة وادي سوف الذين زاولوا دروسهم بجامع الزيتونة : عبد القادر الياجوري، ومحمد الطاهر التليلي، والطاهر العبيدي، وشقيقه أحمد.

وكان بعض هؤلاء الطلبة قد ترقى في تونس إلى درجات عليا على سلّم المعرفة، وأسهموا في حركتها العلمية والثقافية إسهاما مرموقا، فلعبوا دورا في تمتين العلاقات بين سوف وتونس في العديد من المجالات. فبخصوص جهودهم في المجال الصحفي نجد جهود الشيخ حمزة بوكوشة، وفي المجال التعليمي نجد بعضا من طلبة وادي سوف قد حصلوا على درجة وقدر من التعلم أهلهم للتدريس بكثير من المساجد والمدارس بتونس، أو حتى الزيتونة في حد ذاتها، مثل الشيخ الطيب الزاير. وفي المجال الجمعوي أبرز مثال نجد جمعية الشباب السوفي الزيتوني، التي جمعت في صفوفها الطلبة والشباب القادمين من وادي سوف إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة.

وبخصوص الجهود العلمية لطلبة وادي سوف الزيتونيين بالمنطقة، فإثر رجوع الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة بالخصوص، عملوا على التفرغ للتعليم، والوعظ، والإرشاد في المساجد، والزوايا، والمدارس. وقد تمكنوا من إحداث ثورة علمية، فجددوا المعارف، وقدّموا لطلبة القرآن الكريم علوما جديدة؛ رغم إمكاناتهم المحدودة، فكان الأساس هو التعليم القرآني، وعلى هامشه يتم تقديم دروس في العلوم الدينية واللغوية؛ مثلما فعل الشيخ إبراهيم بن عامر في الوادي، وعمار بن الأزعر في قمار، والشيخ الحسين حمادي في النخلة.

ولقد حاول علماء المنطقة باستمرار رفع لواء الثقافة العربية الإسلامية المتأصلة في أبناء وادي سوف، انطلاقا من دور المساجد، والطرق الصوفية، حيث لم تخل أي زاوية من كتّاب خاص بتحفيظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته كل من الطريقة القادرية، والرحمانية في حثّ الطلبة على مواصلة دراستهم في بلاد الجريد التونسي. وبهذا لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في خلق تواصل، وربط العلاقات العلمية، والدينية، والروحية بين المنطقة وتونس؛ وبالخصوص بلاد الجريد، بدرجات متفاوتة : كالرحمانية، والقادرية، وكذا لحقت بهم التجانية.

كما حوّلت الطريقة التجانية زاويتها بثمار إلى مدرسة جلبت لها المؤدبين والعلماء. وحظيت بالزيارات المتكررة لكثير من العلماء؛ خاصة علماء تونس، مما أوجد وضعا ثقافيا متميزا. ومع ذلك لم يكن هذا الوضع خاليا من الخرافة والبدع التي كانت سائدة، وهو ما دفع بالكثير من شيوخ المنطقة المحافظين منهم والإصلاحيين إلى مناهضة تلك الأوضاع.

وبرزت إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف منذ العقد الثاني من القرن 14 هـ / مطلع القرن 20 م، نتيجة مساعي بعض الشخصيات لتنشيط الوضع الثقافي، التي ظهرت بواسطة ثلة من علماء المنطقة يمثلون الكتلة المحافظة، وتجلى ذلك في دورهم التعليمي المناهض للتخلف والفساد الاجتماعي. ومع ذلك تصدر المشهد العلمي شخصيات كانت منذ الوهلة الأولى تصدع بالإصلاح، مثل : الشيخ عمار بن الأزعر.

أما خلال عقد الأربعينيات من القرن 14 هـ / العشرينيات من القرن 20 م، فقد بدأت ملامح الإصلاح تتبلور في المنطقة؛ انطلاقا من توافد الصحف والجرائد، بالإضافة إلى الهجرة العلمية نحو تونس.

ثم كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1349 هـ / 1931 م، وقد شارك بعض أبناء وادي سوف في تأسيسها، ورغم ذلك اتسم وجودها بالمنطقة في البداية بمظهر الاحتشام نتيجة الوضع السائد بها، وانعدام وجود شخصية مؤيدة ذات مكانة معتبرة، إلى غاية سنة 1356 هـ / 1937 م، حينما أعلن الشيخ عبد العزيز الشريف انضمامه إلى جمعية العلماء، مما جعل الأخيرة تعرف انتشارا واسعا وتأسيس شعب لها بالمنطقة.

وفي عقد الستينيات من القرن 14 هـ / الثلاثينيات من القرن 20 م، شهدت المنطقة عودة مجموعة من الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة، وقد تأثروا بالحركة العلمية والإصلاحية التي شهدها العالم الإسلامي، ليظل هذا التأثر قائما لديهم حتى بعد استقرارهم بالمنطقة.

كما كان للحركة الإصلاحية بوادي سوف دور في الحياة العلمية بالمنطقة، من خلال المساجد والمنازل الخاصة منذ الحرب العالمية الأولى. كما أن الكثير من أبناء المنطقة الذين رحبوا بالجمعية، اشتغلوا كمعلمين ومدرسين بمدارسها.

ومما يلاحظ أن هذا البحث، رغم صعوبته، واتساع مجاله، وتشابك عناصره، استطاع تقديم صورة عامة عن الحياة العلمية في مجتمع محلي بسيط في شتى مجالاته ومظاهره، مع محاولة الوصول إلى بعض النتائج الهامة، آملا أن أكون قد وفقت في الجواب عن أغلب الإشكاليات بتوضيح ما غمض، وتحليل ما استعصى منها.

ومن ثم يمكن اعتبار هذه الدراسة المتواضعة قابلة للنقد، والإثراء، بحكم ما يتولد عنها من جدل ونقاش من قبل الباحثين والمهتمين. ومن الضروري أيضا تكثيف البحوث التي تتناول مواضيع تخص المنطقة، حتى نكشف عن دورها المحلي من جهة، ودورها في التواصل بين الجزائر والبلدان المجاورة لها كتونس، وليبيا من جهة أخرى.

# الملاحق

ملحق رقم 1 : جدول لقائمة بعض مساجد وادي سوف مع تاريخ التأسيس ومكان التواجد ما بين القرنين 10 و 14 هـ / 16 و20 م[1]

| اسم المسجد | تاريخ التأسيس | مكان المسجد |
|---|---|---|
| مسجد سيدي المسعود الشابي | 1005 هـ / 1597 م | ڤمار |
| مسجد الشيخ العدواني | 1007 هـ / 1599 م | الزقم |
| مسجد سيدي المسعود العتيق | 1008 هـ / 1600 م | الوادي |
| المسجد العتيق | بين القرنين 10 – 11 هـ / 16 – 17 م | تاغزوت |
| المسجد العتيق | 1043 هـ / 1634 م | كوينين |
| مسجد بيت الشريعة | 1085 هـ / 1674 م | ڤمار |
| مسجد أولاد خليفة | 1111 هـ / 1700 م | الوادي |
| مسجد سيدي عبد الرزاق | 1163 هـ / 1750 م | حي المصاعبة – الوادي |
| مسجد سيدي إبراهيم | 1185 هـ / 1771 م | ڤمار |
| مسجد أولاد أحمد | 1204 هـ / 1790 م | حي أولاد أحمد – الوادي |
| مسجد القبلاوي | 1206 هـ / 1792 م | كوينين |
| مسجد سيدي عبد القادر | 1225 هـ / 1810 م | حي المصاعبة – الوادي |
| مسجد سيدي سالم | 1245 هـ / 1830 م | حي لعشاش – الوادي |
| مسجد ضواي روحه | 1245 هـ / 1830 م | نزلة ضواي روحه – الوادي |
| مسجد الظهارة | 1252 هـ / 1836 م | حي الظهارة –كوينين |
| مسجد بلقاسم بلعجال | 1257 هـ / 1841 م | نزلة بلقاسم بلعجال – الوادي |
| مسجد الزاوية التيجانية | 1261 هـ / 1845 م | ڤمار |
| مسجد ورماس | 1266 هـ / 1850 م | ورماس |

[1] مصطفى سالمي : المصدر السابق، ص ص 15 – 16؛ André Voisin Roger : op cit, p p 118, 55 – 56.؛ محمد الطاهر التليلي : الفوائد المنثورة، المصدر السابق، ص ص 42 – 43؛ محمد الطاهر التليلي : من تاريخ سوف، المصدر السابق، ص 68؛ أحمد بن الطاهر منصوري : المرجع السابق، ج2، ص 50.

| | | |
|---|---|---|
| مسجد النخلة الغربية | 1276 هـ / 1860 م | النخلة |
| مسجد الشيخ سيدي علي دربال | 1287 هـ / 1870 م | الرباح |
| مسجد الحسيني | 1287 هـ / 1870 م | حي لعشاش – الوادي |
| مسجد العزازلة | 1289 هـ / 1872 م | حي لعشاش – الوادي |
| مسجد العمامرة | 1295 هـ / 1878 م | ڤمار |
| مسجد الدويرة | 1302 هـ / 1885 م | ورماس |
| مسجد سيدي بوعلي | 1307 هـ / 1890 م | حي أولاد أحمد – الوادي |
| مسجد سيدي سعيد | 1307 هـ / 1890 م | ڤمار |
| مسجد الزرايطة | 1308 هـ / 1891 م | ڤمار |
| المسجد العتيق | 1317 هـ / 1900 م | الرقيبة |
| مسجد الشرقية | 1323 هـ / 1905 م | حاسي خليفة |
| مسجد الهمايسة | 1346 هـ / 1928 م | حاسي خليفة |

ملحق رقم 2 : صورة للشيخ الحسين حمادي سنة 1351 هـ / 1932 م بجامع الزيتونة[1]

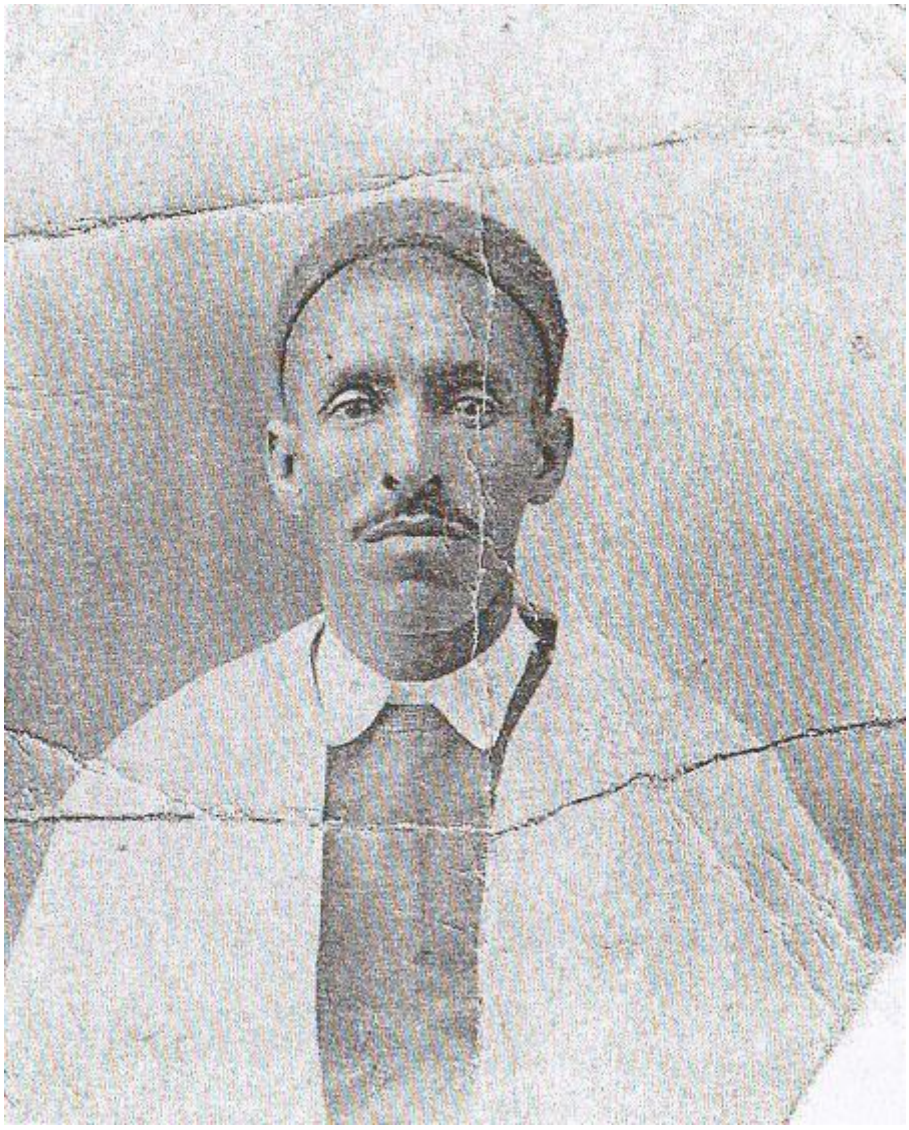

[1] محمد الصالح بن علي : المرجع السابق، ص 191.

ملحق رقم 3 : صورة لجامع الزيتونة سنة 1317 هـ / 1900 م[1]

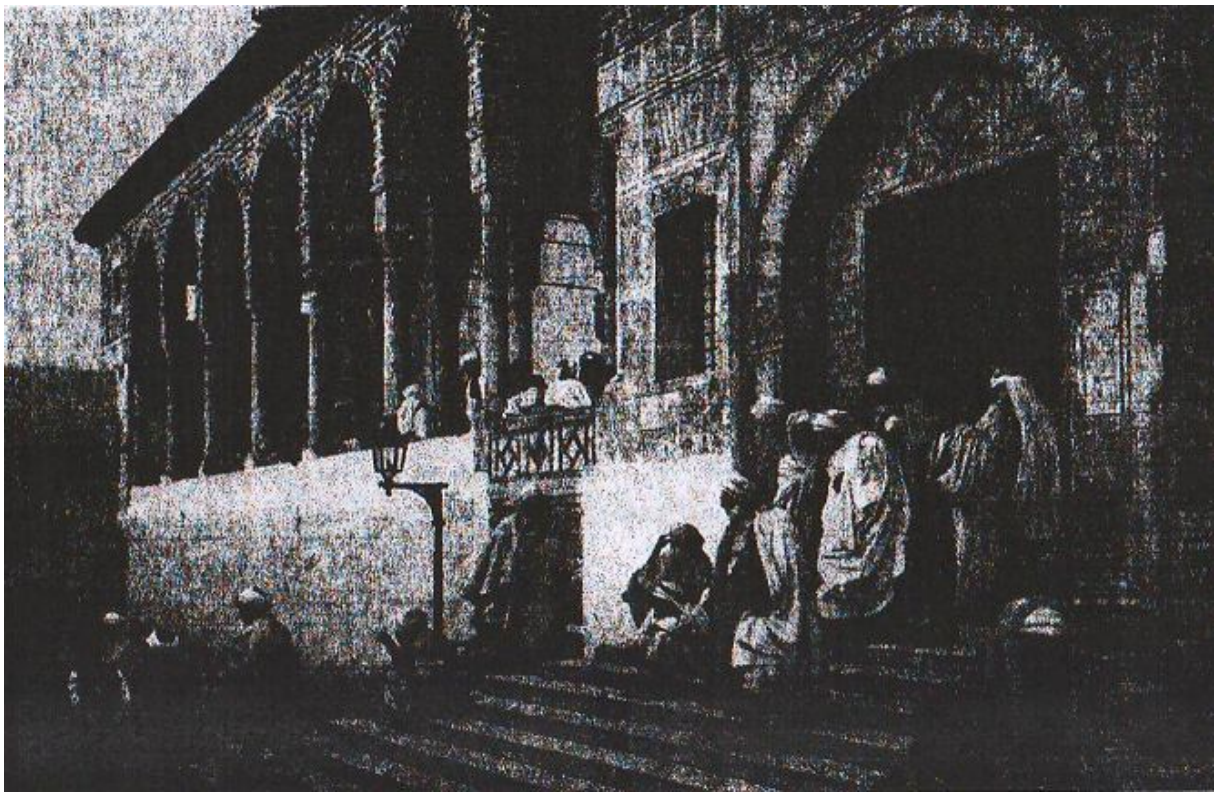

[1] سهيل شنوف : **ما رأيت وما رويت للأستاذ الشيخ شنوف حمزة بوكوشة**، ط1، جوليت، الجزائر، 2012 م، ص 25.

ملحق رقم 4 : صورة للشيخين : الهاشمي حسني على اليمين، برفقة حمزة بوكوشة سنة 1350 هـ / 1932 م[1]

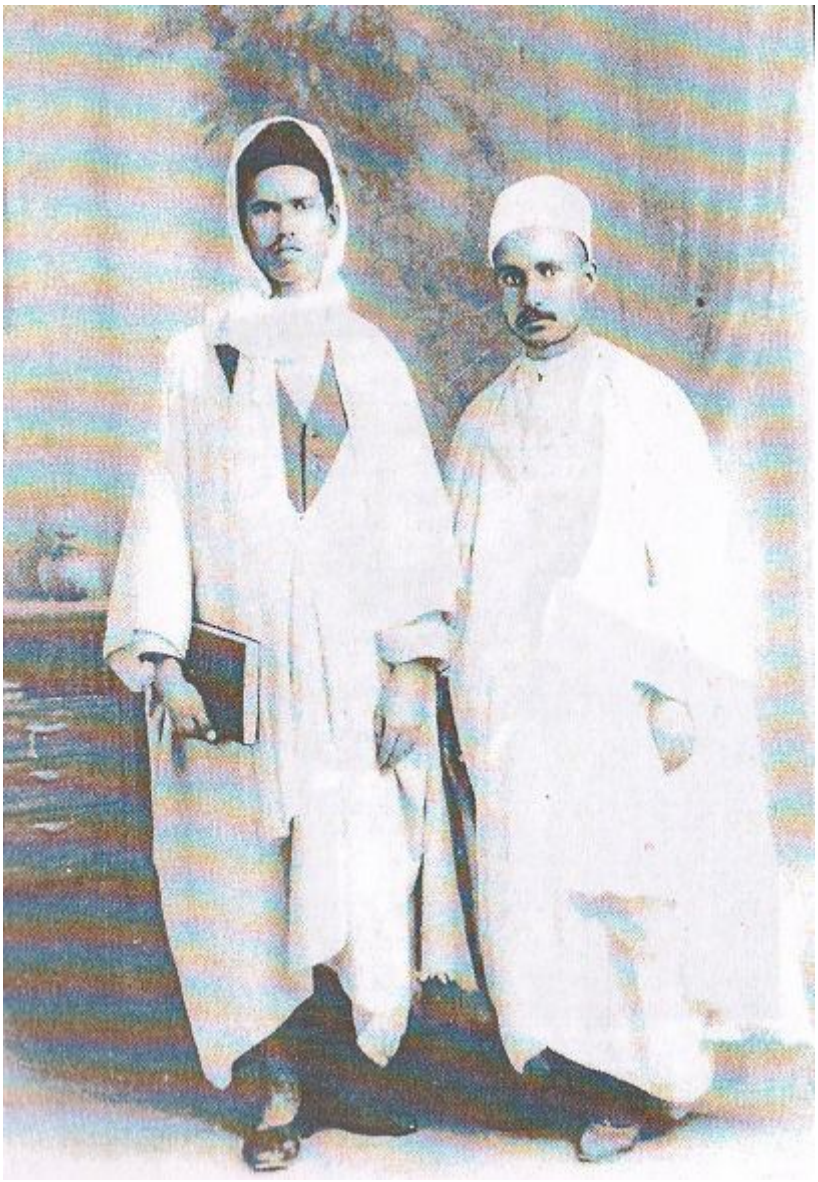

[1] عاشوري قمعون : العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص 196.

ملحق رقم 5 : صورة للشيخ علي بن سعد خيران(1)

(1) عاشوري قمعون : العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص 190.

ملحق رقم 6 : سلسلة شيوخ زاوية سيدي سالم الرحمانية العزوزية بوادي سوف[1]

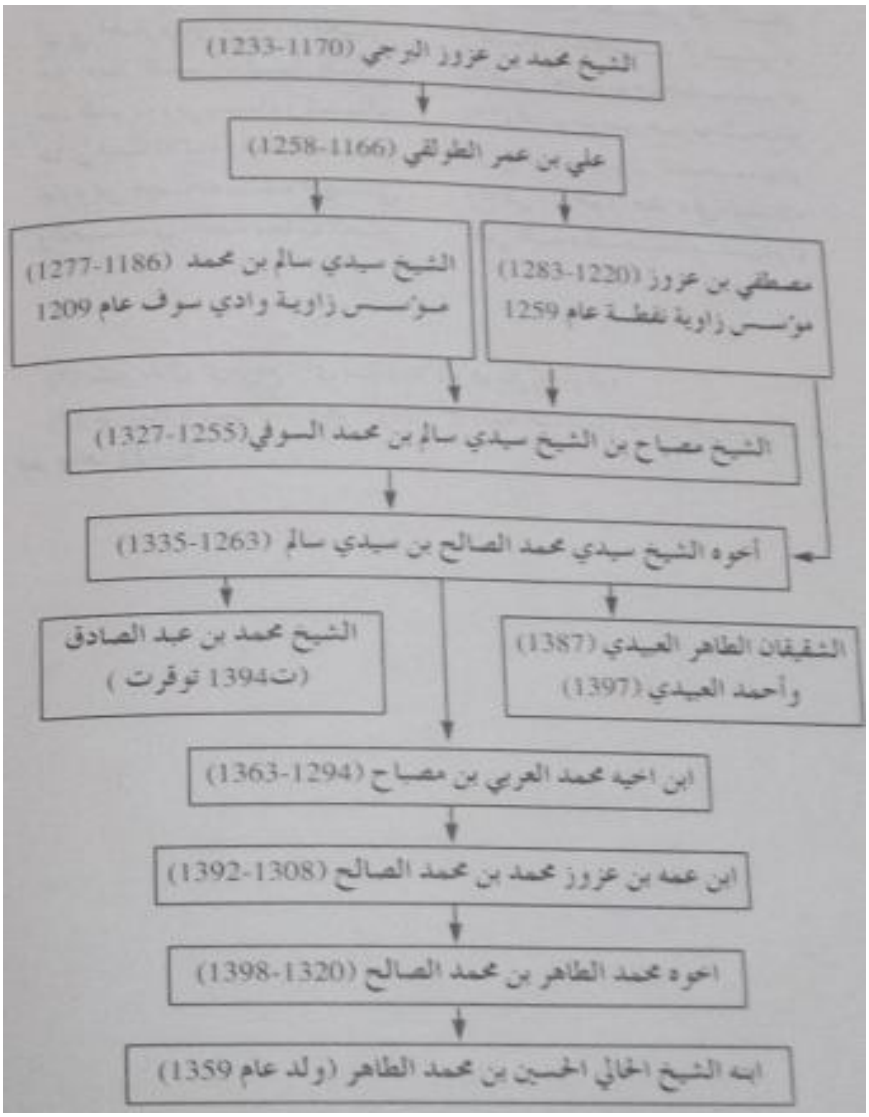


[1] عبد الباقي مفتاح : أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، المرجع السابق، ص 192.

ملحق رقم 7 : بوابة الزاوية التجانية بڤمار[1]

[1] الجيلاني حسان : المرجع السابق، ص 182.

ملحق رقم 8 : صورة للصفحة التاسعة من دفتر التقييم والمتابعة بجامع الزيتونة بتاريخ 9 جمادى الثانية 1351 هـ / 9 أكتوبر 1932 م، وفيها انتقال الشيخ الحسين حمادي إلى السنة الثانية من المرتبة المتوسطة، بإمضاء الشيخ محمد العزيز النيفر[1]

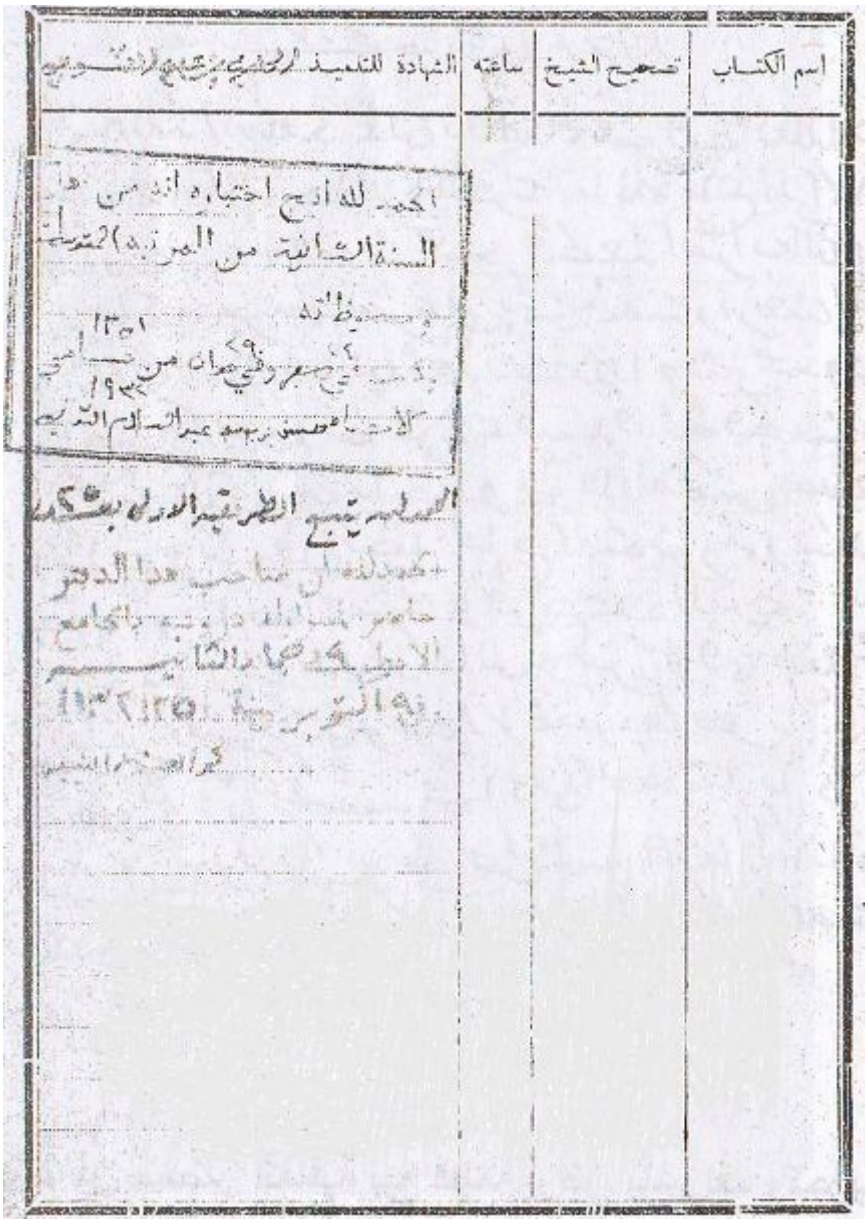


[1] محمد الصالح بن علي : المرجع السابق، ص 197.

ملحق رقم 9 : صورة لدفتر شهادات الشيخ حمزة بوكوشة بجامع الزيتونة، وحصوله على شهادة التطويع ممضاة من طرف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[1]

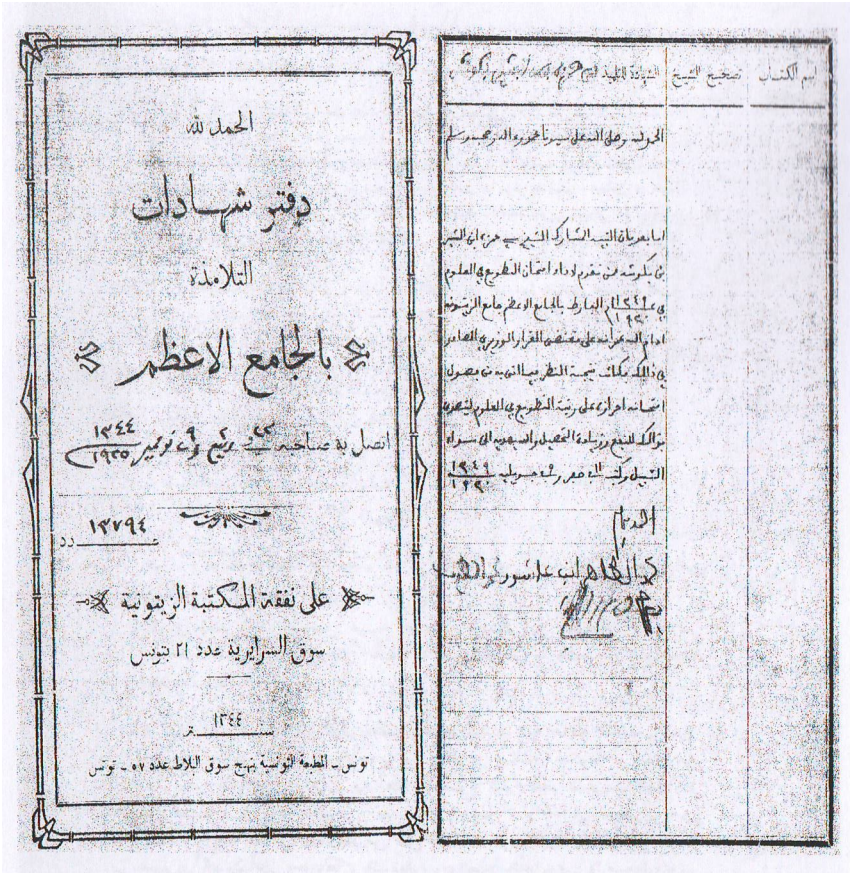
الحمد لله

دفتر شهادات

التلامذة

بالجامع الاعظم

اتصل به صاحبه في ربيع ... نوفمبر ١٩٢٥

١٣٧٩٤

على نفقة المكتبة الزيتونية

سوق السراريز عدد ٢١ بتونس

١٣٤٤

تونس - الطبعة التونسية بنهج سوق اللاط عدد ٥٧ - تونس

[1] سهيل شنوف : المرجع السابق، ص 123.

# قائمة المصادر

# والمراجع

# أولا : المصادر والمراجع العربية :

## 1) المصادر :

- القرآن الكريم.

### أ) المخطوطات :

- ابن علي بالقاسم بن سليمان : **حياة الشيخ محمد المولدي الشريف بوعرقية**، مخ، يوجد بزاوية سيدي المولدي بوعراقية بتوزر، تونس، وتوجد نسخة منه بمكتبة الدكتور عاشوري قمعون، الوادي، الجزائر.

- التليلي محمد الطاهر : **الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة**، مخ، توجد نسخة منه بمكتبة الدكتور علي غنابزية، الوادي، الجزائر.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **من تاريخ سوف**، مخ، مكتبته المنزلية، قمار، الوادي، الجزائر.

- سالمي محمد بن عزوز : **تاريخ زاوية سيدي سالم**، مخ، يوجد بزاوية سيدي سالم، الوادي، الجزائر.

- سالمي مصطفى : **الدر المصفى من تقاييد الشيخ سالمي مصطفى**، مخ، رتب مادته وصنفه وعلق عليه : علي غنابزية، الجزائر، أوت 1999 م – سبتمبر 2001 م.

### ب) الكتب المطبوعة :

- ابن خلدون عبد الرحمن ( ت 808 هـ / 1406 م ) : **مقدمة ابن خلدون**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحادة، مر : سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م.

- ابن عاشور محمد الطاهر : **أليس الصبح بقريب**، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2006 م.

- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم : **لسان العرب**، ج6، 11، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ( د، س، ن ).

- الحموي شهاب الدين ياقوت : **معجم البلدان**، مج 2، دار صادر، بيروت، 1977 م.

- العدواني محمد : **تاريخ العدواني**، تح : أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م.

– العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد : **الرحلة العياشية 1661 – 1663 م**، تح : سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006 م.

## 2) المراجع :

### أ) الكتب المطبوعة :

– ابن رحال الزبير : **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية ( 1889 – 1940 م )**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997 م.

– ابن علي محمد الصالح : **الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، مطبعة سخري**، الوادي، الجزائر، 2012 م.

– ابن نعمية عبد المجيد وآخرون : **موسوعة أعلام الجزائر 1830 – 1954 م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م، الجزائر، 2007 م.

– بالهادف بن سالم بن الطيب : **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، 2008 م.

– بلعبيدي عبد العزيز : **رجال أخيار**، مطبعة سيب، الوادي، الجزائر، 2010 م.

– بلغيث محمد الأمين : **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشبابية**، ط2، دار كتاب الغد، جيجل، الجزائر، 2007 م.

– بوالصفصاف عبد الكريم : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945**، رسالة تقدم بها الباحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1978 م، ط1، دار البعث، الجزائر، 1981 م.

– بوعزيز يحي : **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 1996 م.

– تامة محمد البشير : **حاسي خليفة تاريخا وثقافة واجتماعا بلدة رجل القرآن سي لمين غمام**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2012 م.

– الجابري محمد صالح : **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، دار الحكمة، الجزائر، 2007 م.

– ( ـــــ، ـــــ ) : **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962**، ط2، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2007 م.

- حسان الجيلاني : **قصة العودة مذكرات عائد من الرديف تونس إلى وادي سوف الجزائر في صائفة الاستقلال ( 1962 )**، ج1، دار هومه، الجزائر، 2011 م.

- حسونه عبد العزيز : **عمارة مدينة قمار بمنطقة وادي سوف من القرن 10 إلى 13 هـ دراسة أثرية وعمرانية**، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ( د، س، ن ).

- حلوش عبد القادر : **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2013 م.

- رحماني إبراهيم : **الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2011 م.

- الزمرلي الصادق : **أعلام تونسيون**، تق وتعر : حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 م.

- السائحي محمد الأخضر عبد القادر : **محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب**، ط2، دار هومه، الجزائر، 2001 م.

- سعد الله أبو القاسم : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، 5، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **أفكار جامحة**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954**، ج 3، 4، 5، 6، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **منطلقات فكرية**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م.

- شترة خير الدين : **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 – 1956 م**، ج1، 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م.

- الشريف محمد الهاشمي : **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تعر : محمد الشاوش، ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993 م.

- شنوف حمزة بوكوشة : **من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب**، جمعه ونشره : سهيل شنوف، ط1، جوليت، الجزائر، 2012 م.

- شنوف سهيل : **ما رأيت وما رويت للأستاذ الشيخ شنوف حمزة بوكوشة**، ط1، جوليت، الجزائر، 2012 م.

- صاري أحمد : **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، تق : أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004 م.

- العمامرة سعد بن البشير ومنصوري أحمد بن الطاهر : **أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب**، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2006 م.

- العمامرة سعد والعوامر الجيلاني : **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، الجزائر، ( د، س، ن ).

- العقون التجاني : **أعلام من ثمار بوادي سوف**، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2013 م.

- العوامر إبراهيم بن محمد الساسي : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع : الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007 م.

- غنابزية علي : **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية للحفاظ على الهوية الوطنية**، ج2، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2012 م.

- فيلالي مختار الطاهر : **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، ط1، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ( د، س، ن ).

- القحطاني سعيد بن مسفر بن مفرح : **الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.

- قدع محمد العيد : **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902 – 1982 م**، ط1، مطبعة ذويب، الوادي، الجزائر، 2013 م.

- قمعون عاشوري : **ديوان الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر السوفي ( 1351 – 1292 هـ / 1875 – 1932 م )**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2013 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **الشقيقان الشيخ الطاهر العبيدي ( 1304 – 1387 هـ / 1886 – 1968 م ) والشيخ أحمد العبيدي ( 1306 – 1398 هـ / 1888 – 1977 م )**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2010 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **الشيخان الشيخ إبراهيم بن عامر ( 1292 – 1351 هـ / 1875 – 1932 م ) والشيخ الهاشمي حسني ( 1320 – 1410 هـ / 1902 – 1989 م )**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2010 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة ( حمزة شنوف ) 1907 – 1994**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2012 م.

- محفوظ محمد : **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 م.

- مدني أحمد : **كتاب الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، 2010 م.

- مفتاح عبد الباقي : **أضواء على زاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2009 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، 2005 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، ( د، س، ن ).

- منصوري أحمد بن الطاهر : **الدر المرصوف في تاريخ سوف**،ج1، ط1، الحفيد، الوادي، الجزائر، ( د، س، ن ).

- مياسي إبراهيم : **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 – 1934 م**، دار هومه، الجزائر، 2005 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 – 1962 م**، دار هومه، الجزائر، 2007 م.

- النّووي أبو زكرياء يحي بن شرف : **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، مر وتح : خليل الخطيب، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2010 م.

## ب) الرسائل الجامعية غير المنشورة :

- ابن موسى موسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها ( 1900 – 1939 م )**، رسالة ماجستير، إش : أ. د أحمد صاري، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية : 2005 – 2006 م.

- زقب عثمان : **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918 – 1947 م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إش : د. يوسف مناصرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية : 2005 – 2006 م.

- غنابزية علي : **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300 – 1374 هـ / 1882 – 1954 م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش : أ. د عمر بن خروف، جامعة الجزائر، الجزائر، السنة الجامعية : 2008 – 2009 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر ( هـ ) التاسع عشر ( م )**، إش : د. عمر بن خروف، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، السنة الجامعيية : 2000م – 2001 م.

- فلاحي رابح : **جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر ( 1908 – 1954 م )**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إش : أ. د بوالصفصاف عبد الكريم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية : 2007 – 2008 م.

## ج) الدوريات :

- ابن حمد ثريا : **مساجد ومعالم جامع الزيتونة**، نشرية الخبر الإسلامي، العدد الأول، ( د، د، ن )، تونس، 5 ذو القعدة 1433 هـ / 21 سبتمبر 2012 م.

- دحدي سعود : **ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي ( 1842 – 1895 م )**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، جويلية 2010 م.

- سعد الله أبو القاسم : **مجاهد من نوع آخر**، مجلة الثقافة، السنة التاسعة عشر، مؤسسة المجاهد الأسبوعي، الجزائر، عدد نوفمبر / فيفري 105 – 106، 1995 م.

- عقيب محمد السعيد : **جمعية الشباب السوفي الزيتوني**، مجلة البحوث والدراسات، العدد الثالث، السنة الثالثة، السنة الثالثة، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، جمادى الأولى 1427 هـ / جوان 2006 م.

- غنابزية علي : **جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف نشاط فكري وسياسي وتجاوب واسع**، جريدة الشعب، ( د، د، ن )، الجزائر، السبت 25 جويلية 1998 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر ( مجتمع وادي سوف أنموذجا )**، مجلة البحوث والدراسات، العدد الرابع، السنة الرابعة، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، محرم 1428 هـ / جانفي 2007 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **دور وادي سوف في معركة المقارين ( 1854 ) وآثارها على المقاومة المسلحة في المنطقة الجنوبية الشرقية**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، جويلية 2010 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **مؤرخ الصحراء وسوف العلامة الشيخ إبراهيم العوامر**، جريدة النبأ، العدد 165، ( د، د، ن )، الجزائر، الاثنين من 29 صفر إلى 05 ربيع الأول 1415 هـ الموافق من 08 إلى 14 أوت 1994 م.

- قمعون عاشوري : **دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية**، مجلة البحوث والدراسات، العدد الثالث، السنة الثالثة، ( د، د، ن )، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، جمادى الأولى 1427 هـ / جوان 2006 م.

- مياسي إبراهيم : **جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف**، مجلة الثقافة، العدد ( د،ع )، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995 م.

### د) المحاضرات والمدونات :

- ابن حراث علي : **قراءة في أسباب تركيز الرحلات العلمية الجزائرية على تونس**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881 – 1954 م، يومي 10 – 11 نوفمبر 2013 م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 2013 م.

- ابن حيدة يوسف : **التواصل الطرقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19 م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- ابن خليفة بالقاسم : **واقع النشاط الاقتصادي لمجتمع وادي سوف خلال القرن 19 م**، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12- 13 هـ / 18- 19 م

من خلال المصادر المحلية، يومي 29 صفر 01 ربيع الأول 1433 هـ الموافق لـ 24 – 25 جانفي 2012 م، المركز الجامعي بالوادي، مطبعة منصور، الوادي، الجزائر، 2012 م.

- ابن موسى موسى : **إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف في مطلع القرن 20 م – قمار نموذجا –**، العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي 1910 – 2003 م، تص : أ.د أبو القاسم سعد الله، إش وتن : أ. عادل محلو، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2005 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14 هـ / 20 م ( وادي سوف أنموذجا )**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف خلال مطلع القرن العشرين**، وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة، تق : زغب أحمد، إع : عادل محلو، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2008 م.

- بوترعه بلال ومطوري أسماء : **المناخ والنمط العمراني في وادي سوف**، الإنسان والعمارة محاضرات الندوة الفكرية التاسعة أيام 26 – 27 – 28 جانفي 2013 م، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2013 م.

- بوترعه بلال : **أثر الظروف البيئية على الأنشطة الاقتصادية لسكان وادي سوف**، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري.

- بوصبيع العايش علي : **النخيل ثقافيا واقتصاديا في حياة أهل سوف**، محاضرات الندوة الفكرية الثامنة، محمد الأمين العمودي، أيام 28 – 30 مارس 1995 م، ( د، د، ن )، الجزائر، 1995 م.

- بوهند خالد : **جامع الزيتونة ودوره في تكوين النخبة الدينية الإصلاحية ( علماء وادي سوف أنموذجا )**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- بوطيبي محمد : **الهجرة الجزائرية نحو البلاد التونسية بين القرنين التاسع والعشرين 1830 – 1950 م ( الجنوب الشرقي الجزائري أنموذجا )**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- حسونه عبد العزيز : **جدلية العمارة والعمران بمنطقة وادي سوف**، الإنسان والعمارة.

- حميدي أبو بكر الصديق : **التواصل الاجتماعي والثقافي بين تونس ووادي سوف 1881 – 1954 م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- زقب عثمان : **علاقات وادي سوف بتونس وليبيا أواخر القرن 19 وفي النصف الأول من القرن 20 م،** وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري والتونسي 1881 – 1954 م،** الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- شترة خير الدين : **الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس وأثرها في خصوصية التواصل بين المنطقتين،** الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- عطية عبد الكامل : **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة السوافة نحو القطر التونسي قبل اندلاع الثورة التحريرية 1954 م،** الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- عقيب محمد السعيد : **جمعية الشباب السوفي الزيتوني،** وادي سوف دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف،** الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- غنابزية علي : **أثر زراعة النخيل في التوسع العمراني بوادي سوف،** الإنسان والعمارة.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **الخدمات والأعراف الاجتماعية لرعاية غيطان النخيل بوادي سوف خلال القرن التاسع عشر،** أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **زيارة الشيخ محمد الأخضر بن الحسين للجنوب الجزائري 1905 م وأثرها على الحركة العلمية بوادي سوف،** الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري في مدرسة النجاح بقمار،** العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي 1910 – 2003 م.

- قاصري محمد السعيد : **الطرق الصوفية ودورها في التواصل الحضاري والثقافي بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس،** الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- قعر المثرد السعيد : **بعض أوجه التواصل بين " سوف " والأقاليم المحيطة في القرن 13 هـ – 19 م من خلال كتاب " الصروف "**، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري.

- قمعون عاشوري : **دور المدارس القرآنية والزوايا في تربية الفرد تربية إسلامية معاصرة ( منطقة وادي سوف بالجنوب الشرقي للجزائر أنموذجا )**، الأوراق العلمية للمؤتمر الدولي الثاني رؤى تربوية إسلامية معاصرة – واقع وطموح، ج 1، إع وتحر : أ.د محمد علي سميران وآخرون، منشورات جامعة آل البيت، الأردن، 2012 م.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- ( ـــــ، ـــــ ) : **من تاريخ سوف**، الوادي، الجزائر، 14 نوفمبر 2009 م.

- لميش صالح : **تأثير العوامل الجغرافية في التواصل بين سكان منطقة وادي سوف وتونس**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- مياسي إبراهيم : **أضواء حول الشيخ عبد العزيز الشريف المصلح الديني والفكري**، محاضرات الندوة الفكرية السادسة محمد الأمين العمودي، أيام 29 – 30 أفريل وأول ماي 1993 م، ( د، د، ن )، الجزائر، 1993 م.

# ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية :

## 1) المصادر :

**– الكتب المطبوعة :**

- Bataillon ,C. L. : **Le souf Etude de géographie humaine**, Institut de recherches Sahariennes, Université d'Alger, Alger, 1955.

- Millie , J. Scelles : **Contes Sahariens du Souf**, Maisonneuve et La Rose, Paris, 1964.

## 2) المراجع :

**أ) الكتب المطبوعة :**

- Najah ,Ahmed : **Le Souf des Oasis**, Edition la Maison de livres, Alger, 1970.

- Voisin André : **Le souf Manographie d'une region Saharienne**, Paris, 1985, ( Manuscrit ).

**ب) الرسائل الجامعية :**

- Haggu Jamel : **les Algériens Originaires du Sud dans la ville de Tunis Pendant l'époque Coloniale ( 1881 – 1956 )**, Mémoire de DEA, ( M.N ), sous la direction de le Prof Habib Kazdaghli, Université de Manouba, Tunisie, 2003 – 2004.

**ج) الدوريات :**

- G. Marty : **Les Algériens à Tunis**, Revue I. B. L. A, N °43 et 44, Tunis, 11ème année, 3ème et 4ème trimestre 1948.

# الفهارس

فهرس الأسماء والأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الملاحق

فهرس الموضوعات

# فهرس الأسماء والأعلام

( أ )

الأحمدي عمر : 51.

الأزهري محمد بن عبد الرحمن الجرجري : 85.

الأغواطي الحاج ابن الدين : 4، 8.

الأفغاني جمال الدين : 68.

آل الخليفة محمد العيد : 59، 72.

الألوسي : 79.

الإمام مالك : 79.

الإمام محمد : 38، 43.

الأمير عبد القادر : 7.

ابن إبراهيم : 59.

ابن إبراهيم الخليل الحاج محمد : 61.

ابن إبراهيم يوسف : 76.

ابن أحمد أبو بكر بن عبد الله : 60.

ابن أحمد الأخضر : 89.

ابن أحمد سي العيد بن بكار : 79.

ابن أحمد سيدي عبد الله : 92.

ابن أحمد عبد الرحمن بن لخضر : 76.

ابن أحمد العيد بن سعد : 101.

ابن الأخضر الطيب : 90.

ابن الأخضر محمد الحفناوي : 77.

ابن الأزعر عمار : ج، 62، 69، 78، 81، 99، 104، 105، 107، 109، 116، 117.

ابن الإمام الأخضر : 111.

ابن الأمير عبد القادر محيي الدين : 10.

ابن باديس عبد الحميد : ج، 56، 57، 58، 75، 77، 84، 104، 107، 109، 110، 111.

ابن بردي البشير : 107.

ابن البرية محمد : 52، 97، 101، 103، 104.

ابن بكار محمد العيد : 88.

ابن الجديدي محمد : 88.

ابن الحبحاب عبيد الله : 64.

ابن الحسين محمد الأخضر : 50، 51، 52، 67، 70، 93، 96، 99، 115، 116.

ابن حمد محمد : 61، 63، 80، 93، 115، 116.

ابن خلدون عبد الرحمن : 54، 65.

ابن زغودة إبراهيم : 64.

ابن سالم الساسي بن علي : 45.

ابن السايح محمد اللقاني : 50.

ابن سعيد علي : 43.

ابن السلمي إبراهيم : 96.

ابن سماية عبد الحليم : 56.

ابن سويسي محمد : 90.

ابن سيدي سالم محمد الصالح : 86، 88.

ابن سيدي سالم مصباح : 86.

ابن صابر علي : 70، 95.

ابن الطالب السعيد عبد القادر : 45.
ابن الطيب مصباح : 76.
ابن عاشر عبد الواحد : 62.
ابن عاشور محمد الطاهر : 67، 70، 80، 96، 116.
ابن عاشور محمد الفاضل : 67، 68.
ابن عامر إبراهيم : هـ، 3، 47، 51، 61، 62، 66، 72، 78، 79، 80، 81، 88، 96، 97، 100، 103، 116.
ابن عثمان بشير : 76.
ابن عزوز العروسي : 93.
ابن عزوز محمد المكي : 50، 52، 93، 98، 115.
ابن عزوز مصطفى : 60، 62، 86.
ابن عفان عثمان : 37.
ابن علي الحسين بن عمر : 60.
ابن علي الحفناوي : 78.
ابن علي مبروك : 78.
ابن العماري خليفة بن عبد الله : 40.
ابن عيسى محمد : 108.
ابن فرحات بن سعيد علي باي : 9.
ابن فرحات الطيب : 108.
ابن القا أحمد : ج، 61، 64، 102.
ابن قديري علي : 86.
ابن محمد الصالح بن موسى محمد العربي : 62، 70.
ابن محمد العروسي محمد السايح : 90.
ابن مصباح محمد العربي : 88، 92.
ابن منظور : 4.
ابن موسى موسى : ج.
ابن ناصر بن شهرة : 9.
ابن ناصر محمد : 91.
ابن النعمان حسان : 64.
ابن الوادي التابعي : 61، 63، 116.
ابن يحي صالح : 105.
أبو بكر : 85.
أبو داود : 34.
أبو زكرياء يحي : 4.

( ب )

باري عمر : 76.
باشا خير الدين : 65.
بالباد سي الهادي : 108.
بالمم علي القماري : 36.
بالي الصادق : 63.
باي أحمد باشا : 65.
باي الحاج أحمد : 7.
باي مصطفى : 26.
البجائي المهدي البوعبدلي : 77.
البخاري : 37.
البختري إبراهيم التوزري : 50، 93، 98.
بالخوصة سي محمد الصالح بن الحاج علي : 90، 102.

بدير محمد حامد : 108.
البرجي محمد بن عزوز : 85، 86.
بقاص الطاهر : 78.
بالقيم الحاج علي القماري : 90.
بكار : 88.
بلاشير : 13.
بلخياري أحمد : 108.
بلعبيدي السعيد بن محمد : 73، 78.
بالليل علي : 85.
بوحاجب سالم : 67، 73، 80، 94، 116.
بورفة الحاج الساسي : 51.
بورقيبة محمود : 72.
بوصبيع عمار بن العايش : 43.
بوعتور محمد العزيز : 67.
بوعراقية سيدي المولدي : 60، 84.
بوكوشة حمزة : 29، 33، 47، 68، 69، 70، 72، 79، 80، 96، 105، 106، 110، 116.
بيجو : 7.
بيربروجر : 8.

( ت )

التاغزوتي سي مبارك بن المبارك : 90.
التبسي العربي : 110، 111.
التجاني أحمد بن محمد العيد : 43، 78.
التجاني أبو العباس أحمد بن محمد : 88، 89.
التجاني محمد بن محمد العيد : 43.
التجاني محمد العروسي بن محمد الصغير : 89، 90.
التركي محمد : 42.
الترمذي : 34.
التليلي محمد الطاهر : هـ، 42، 50، 68، 69، 78، 80، 107، 116.
التماسيني الحاج علي : 89.
التماسيني محمد الصغير : 89.
التماسيني محمد العيد : 38، 89.
التوزري البشير : 50، 98.
التوزري عثمان بن المكي : 67.
التومي محمد : 10.
تيكسيير : 45.

( ج )

جاوحده الحبيب القيرواني : 72.
الجباري محمد العيد : 75.
الجزائري محمد حسين بن علي : 26.
الجلابي سليمان : 9.
جمال الدين أحمد : 67.
الجيلاني سيدي عبد القادر : 83.

( ح )

الحرزولي لزهاري : 101.
حسني حسن عبد الوهاب : 65.
حسني الهاشمي : 31، 79، 98.
حمادي الحسين : ج، 61، 62، 68، 73، 74، 78، 116.

حمادي الساسي : 78.
حمادي علي : 62.
حميداتو الهاشمي : 106.
حناني : 107.
حنكة علي : 63.
حويتي العروسي : 61.
حويذق عبد الكريم : 61.
حويذق مصباح : 108، 110.
( خ )
خزندار الشاذلي : 72.
خيران علي بن سعد : 12، 42، 69، 107، 110، 111.
خير الدين محمد : 105، 110، 111.
( د )
دادة الطيب : 78.
الدراجي الهاشمي : 106، 108.
الدرجيني : 4.
ديبورتر : 10.
ديفو : 9.
ديفيرير : 38.
( ر )
ركيبي عبد الله : 56.
( ز )
الزاهري محمد السعيد : 105.
الزاير الطيب : 73، 81، 116.
زبيدي البشير : 51.
الزبيدي الحاج علي بن الحاج نصر الجريدي : 61، 62.
زبيدي الصادق : ج، 61.
زبيدي الصغير : 51.
( س )
سالم الحاج أحمد : 96.
سالمي مصطفى : هـ، 80.
ستو الحاج العربي : 94.
سعداني عبد العزيز : 42.
سعداني محمود : 43.
سعد الله أبو القاسم : هـ، 55، 57، 58، 59، 99.
سواكر أحمد : 78.
سواكر عثمان : 78.
سوسة عبد الله : 62.
سيدي إبراهيم : 63، 73.
سيدي عبد الرزاق : 45.
سيدي علال : 50.
سيدي مرزوق : 91.
سي سعيد : 39، 86.
سيلا قري تيودور : 45.
سي موسى : 101.
( ش )
الشابي أحمد بن علي : 40.
الشابي أحمد بن مخلوف : 91.
الشابي سيدي عرفة : 91.

الشابي سيدي المسعود : 26، 30، 38، 4، 91، 95، 115.
الشابي علي : 30.
الشارف إبراهيم بن سعد : 40.
شبرو الأخضر : 108.
الشريف إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية : 84.
الشريف أبوبكر بن أحمد بن عبد الله : 60، 84.
الشريف عبد الرزاق : 85.
الشريف عبد العزيز : ج، 12، 42، 69، 70، 85، 93، 105، 106، 109، 110، 111، 112، 117.
الشريف عبد الله : 92.
الشريف محمد الإمام بن إبراهيم : 84.
الشريف محمد بن أحمد بن عبد الله : 60.
الشريف محمد الحسين بن إبراهيم : 84.
الشريف محمد الكبير : 84.
الشريف الهاشمي بن إبراهيم : 11، 38، 84، 85، 93، 105، 110.
الشنقيطي المختار : 89.

( ص )

صالح عبد الحفيظ : 107.
الصمادح إبراهيم : 61، 63، 116.

( ط )

الطولقي علي بن عمر : 60، 86.
الطيب محمد الصالح : 76.
الطيب مولاي : 92.

( ع )

العايب سيدي سالم : 39، 40، 86، 87، 88، 92، 95، 101، 103، 112.
عباسي مسعود : 61، 102، 107.
عبده محمد : 68.
العبيدي أحمد : 68، 69، 80، 96، 97، 116.
العبيدي الطاهر : 68، 69، 70، 71، 78، 79، 80، 88، 96، 97، 116.
العدواني محمد : 3، 9، 40، 102، 108.
العقبي علي بن إبراهيم : 70.
علالي الطاهر : 76.
عمار أحمد : 92.
عمارة الهادي : 63.
عمان سعيدة : د.
العمودي الأمين : 98، 105.
العمودي عبد الرحمن : 62، 70، 95.
العياشي : 6، 8.

( غ )

الغريب عباس : 30.
غنابزية علي : 47.
غولي أحمد : 78.

( ف )

فرج الحاج : 107.
فرحات احميدة الحاج العربي : 107.
فرحات احميدة الطيب : 107.

فضلاء محمد الطاهر : 58.
فوازان أندري : هـ، 4.
فورجيس : 10.

( ق )

القفصي السنوسي : 60.
القماري محمد الساسي : 88، 89.

( ك )

كلكامي إبراهيم : 107، 108.
كوفي : 13.

( ل )

لاكروا فوبوا : 10.
لجْبيِّب : 61، 63.
لغربي محمد بن حمد : 43.
اللجي أحمد بن عبد الله : 30.

( م )

محمد العيد : 52.
مساك أحمد بن إبراهيم : 51.
معمري عبد الرحمن : 78، 102، 108، 111.
معمري يونس : 102.
المملوك العربي : 10.
المناعي محمود بن محمد بن أحمد : 76.
المنزلي محمد الإمام : 60.
المهيدي محمد الصالح : 75.
موساوي العربي : 88، 95.
موساوي الميداني : 44، 78، 79، 80، 88، 101.
ميللي سيللي : 33.
الميلي مبارك : 105، 110، 111.
ميليوت : 12.

( ن )

النبهاني يوسف : 48.
نجاح أحمد : 106.
النجار محمد : 67، 69.
النجعي عبد الكامل بن عبد الله : 105، 106، 107.
النخلي محمد : 67، 68، 96.
النفطي أبو علي حسن بن محمد بن عمران ( سيدي بوعلي ) : 90، 91.
النيفر إبراهيم : 67.
النيفر محمد البشير : 67.

( هـ )

هالي الحفناوي : 69، 75.
هقي العيد بن الساسي : 48.
هقي منة : 48.
هميسي أحميمة : 41.
هميسي حميد : 41.
هميسي الصغير بن محمد : 41.

( و )

الورتلاني الفضيل : 111.
الوسياني أبو الربيع : 4.

( ي )

الياجوري عبد القادر : 12، 42، 62، 69، 78، 80، 107، 110، 111، 116.

اليعلاوي عبد الرحمان : 71.

اليعلاوي المختار بن عمر : 70.

# فهرس الأماكن والبلدان

( أ )

الأستانة : 50.

الأعشاش : 88، 101.

الأغواط : 9، 85.

إفريقيا : 33، 58.

إفريقيا جنوب الصحراء : 18.

أمريكا : 55.

أم العرايس : 20.

الأوراس : 4.

أولاد أحمد : 88، 91.

أولاد العمامي : 74، 78.

( ب )

باتنة : 14.

بئر العاتر : 86.

باريس : 8.

البرج : 60.

بسكرة : 4، 11، 13، 18، 60، 70، 109.

البصرة : 60.

البهيمة : 21، 110.

بوزريعة : د.

البياضة : 43، 111.

بيروت : 9.

( ت )

تاغزوت : 9، 20، 21، 30، 88، 90، 111.

تبسة : 86.

تركيا : 51.

تشاد : 18.

تقرت : 4، 9، 10، 13، 45، 71، 80، 93، 95.

تكسبت : 23، 107، 108، 111.

تلمسان : 103.

تماسين : 4، 89، 101، 103.

توزر : 8، 30، 50، 60، 74، 80، 84، 92، 115، 116.

تونس : أ، ب، ج، د، هـ، 3، 8، 10، 18، 19، 20، 25، 26، 33، 49، 50، 51، 52، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 79، 80، 81، 83، 92، 93، 94، 96، 98، 100، 104، 112، 114، 115، 116، 117.

( ج )

الجريد ( بلاد الجريد التونسي ) : ب، د، هـ، 8، 9، 12، 18، 19، 20، 26، 27، 30، 52، 55، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 73، 80، 83، 84، 90، 91، 92، 93، 95، 100، 102، 112، 114، 115، 116.

الجزائر : ج، د، هـ، 4، 7، 8، 43، 46، 48، 51، 54، 55، 57، 58، 59، 60، 71، 75، 83، 84، 99، 105، 108، 114، 117.

جلهمة : 30.

( ح )

حاسي خليفة : 15، 111.

( خ )

الخبنة : 63.

خنشلة : 19، 86.

( د )

الدبيلة : 10، 13، 21، 92.

دمشق : 9، 51.

الدميثة : 23.

( ر )

الرباح : 38، 84.

الرديف : 20.

الرقيبة : 15، 17، 21، 23، 106، 107، 108، 111.

( ز )

الزاب : 4، 18، 86.

الزرائب : 4.

الزقم : 21، 25، 52، 85، 86، 95، 96، 97، 99، 102، 106، 108، 110، 111.

الزيبان : 112.

( س )

سفاقص : 20.

سكيكدة : 85.

السودان : 18.

سورية : 10.

سوق أهراس : 8.

سيدي عبد الله : 92.

سيدي عمران : 85.

( ش )

شط ملغيغ : 6.

( ص )

الصباغين : 71.

الصحراء : هـ، 3، 4، 6، 21 ، 27، 47، 109.

صفاقس : 58.

( ط )

الطريفاوي : 88، 108، 111.

طولقة : 51.

( ع )

العاصمة ( مدينة الجزائر ) : 12، 51، 85، 98، 103، 105.

عميش : ج، 11، 12، 17، 63، 70، 84، 85، 88، 91، 93، 105، 109، 110، 111.

عين ماضي : 88.

( غ )

غدامس : 4، 8، 18، 19، 89.

( ف )

فاس : 57.

فرنسا : 7، 8، 9، 11، 25، 27، 44، 46، 47، 49، 56، 61، 109، 114.

الفطاحزة : 63.

( ق )

قابس : 7، 19، 58.

القاهرة : 51، 55.

قسنطينة : ج، 7، 11، 14، 42، 57، 98، 103.

قفصة : 20.

قمار : 12، 14، 15، 17، 21، 23، 25، 38، 42، 44، 47، 49، 50، 51، 52، 55، 58، 62، 64، 70، 73، 78، 84، 86، 88، 89، 90، 91، 92، 95، 96، 99، 101، 102، 103، 104، 106، 107، 108، 109، 111، 115، 117.

القيروان : 91.

( ك )

الكوفة : 60.

كوينين : 9، 14، 17، 20، 25، 47، 50، 51، 52، 79، 86، 91، 95، 106، 111، 115.

( ل )

ليبيا : أ، 18، 117.

( م )

مالي : 18.

المدينة المنورة : 109.

المشرق العربي : 25، 54، 56، 57، 94.

المصاعبة : 88.

المظيلة : 20.

المغرب : 4، 75.

المغرب الإسلامي : 65.

المغرب الأقصى : 92.

المغرب العربي : 54، 58.

المقرن : 15، 17.

المكناسي : 74، 78.

الملتوي : 20.

المنستير : 58.

منيسوتا : 55.

( ن )

النخلة : 62، 74، 78.

نفزاوة : 4.

نفطة : 4، 8، 9، 19، 20، 50، 60، 61، 62، 63، 73، 74، 80، 84، 86، 91، 93، 115، 116.

نقرين : 4.

النّمامشة : 4، 112.

النيجر : 18.

نيجيريا : 18.

( هـ )

الهقار : 89.

( و )

وادي ريغ : 4، 18، 25، 86، 89، 101، 112.

وادي سوف ( الوادي، وسوف ) : توجد في أغلب الصفحات تقريبا.

ورقلة : 4، 9، 10.

وزان : 92.

ورماس : 38.

# فهرس الملاحق


| رقم الملحق | العنوان | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| 1 | جدول لقائمة بعض مساجد وادي سوف مع تاريخ التأسيس ومكان التواجد ما بين القرنين 10 و 14 هـ / 16 و20 م | 119 |
| 2 | صورة للشيخ الحسين حمادي سنة 1351 هـ / 1932 م بجامع الزيتونة | 121 |
| 3 | صورة لجامع الزيتونة سنة 1317 هـ / 1900 م | 122 |
| 4 | صورة للشيخين : الهاشمي حسني على اليمين، برفقة حمزة بوكوشة سنة 1350 هـ / 1932 م | 123 |
| 5 | صورة للشيخ علي بن سعد خيران | 124 |
| 6 | سلسلة شيوخ زاوية سيدي سالم الرحمانية العزوزية بوادي سوف | 125 |
| 7 | بوابة الزاوية التجانية بقمار | 126 |
| 8 | صورة للصفحة التاسعة من دفتر التقييم والمتابعة بجامع الزيتونة بتاريخ 9 جمادى الثانية 1351 هـ / 9 أكتوبر 1932 م، وفيها انتقال الشيخ الحسين حمادي إلى السنة الثانية من المرتبة المتوسطة، بإمضاء الشيخ محمد العزيز النيفر | 127 |
| 9 | صورة لدفتر شهادات الشيخ حمزة بوكوشة بجامع الزيتونة، وحصوله على شهادة التطويع ممضاة من طرف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور | 128 |

# فهرس الموضوعات


| الموضوعات | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | أ |
| **الفصل التمهيدي : الأوضاع العامة في منطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس** | |
| أولا : الخصائص الجغرافية لمنطقة وادي سوف | 3 |
| ثانيا : الحياة السياسية والتنظيم الإداري بوادي سوف | 7 |
| ثالثا : الحياة الاقتصادية بوادي سوف وعلاقتها بتونس | 14 |
| رابعا : الحياة الاجتماعية بوادي سوف وعلاقتها بتونس | 21 |
| **الفصل الأول : التعليم بوادي سوف** | |
| أولا : التعليم العربي الإسلامي | 29 |
| ثانيا : التعليم في المدارس الفرنسية | 45 |
| ثالثا : دور علماء تونس في الحياة التعليمية بوادي سوف | 49 |
| **الفصل الثاني : الرحلات العلمية لطلبة وادي سوف إلى تونس وأثرها على العلاقات بين المنطقتين** | |
| أولا : دوافع الرحلات العلمية من وادي سوف إلى تونس | 54 |
| ثانيا : رحلة طلبة العلم لبلاد الجريد التونسي | 59 |
| ثالثا : رحلة طلبة العلم لجامع الزيتونة | 64 |
| رابعا : جهود طلبة وادي سوف بتونس في المجالات الثقافية والعلمية | 71 |
| خامسا : الجهود العلمية لطلبة وادي سوف الدارسين بتونس بالمنطقة | 77 |
| **الفصل الثالث : جهود الطرق الصوفية والحركة الإصلاحية في الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتهما بتونس** | |

| | |
|---|---|
| أولا : دور الطرق الصوفية في الحياة العلمية بوادي سوف وفي ربط العلاقات بينها وبين تونس | 83 |
| ثانيا : جهود الحركة الإصلاحية في الحياة العلمية بوادي سوف وعلاقتها بتونس | 93 |
| الخاتمة | 114 |
| الملاحق | 119 |
| قائمة المصادر والمراجع | 130 |
| **الفهارس** | |
| فهرس الأسماء والأعلام | 142 |
| فهرس الأماكن والبلدان | 149 |
| فهرس الملاحق | 153 |
| فهرس الموضوعات | 154 |